

345
Ibn - ali, - Hajalah, Ahmad ibn - Yahya

Sukhratān al - sultān

كتاب سكردان السلطان تأليف الشيخ الامام العالم

العارف شهاب الدين بن العباس أحمد بن يحيى

ابن أبي بكر الشهير بابن حجلة المغربي

اللمساني الحنفي - رحمه الله

برحمته ورضوانه

آمين

تم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنطق الطير بحكمته * وأجرى البحار السبعة بقدرته *
 وجعل مولانا السلطان سابع من جلس على سرير الملك من أخوته * فرعى
 الله عز وجل في رعيته * وأصبح أعدا الأبدال بعد أخوته النجباء لما
 انتشر في الآفاق من حسن طويته * وترك عدو الدين المخذول مشغولا
 بهممه لعلو همته * وأهلك كل ذي هوى بريح صرصر من صرير أقلامه
 وأسرته * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد * المبدئ
 المعبد * الفعال لما يريد * مقرب البعيد * وخالق العبد والسيد *
 فمنهم شقي وسعيد * شهادة تسوق قائلها الى الجنة يوم تأتي كل نفس معها
 سائق وشهيد * وتحتاج عنه الملكين اذا سألاه في قبره وما يلفظ من قول الا لديه
 رقيب عتيد * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسله على حين فتره *
 وتولى يوم الاحزاب نصره * وأسمع الشرك من رقيق سيفه غليظ ما يكره *
 وكيف لا وقد أنفذ أمره * وعظم فيمن استشهد في المسلين أجره * وأنزل
 عليه السمع المثاني والقرآن العظيم على سبعة أحرف تيمانا وعبرة *

وأمرى

وأمرى به إلى السماء السابعة سابع ليلة خلت من شهر ربيع الأول بعد
سميع مضمين من البعثة وقيل قبل ست من الهجرة * هذا بعد أن ولد صلى
الله عليه وسلم سابع سنة خلت من ملك كسرى الملك العادل * فأنكف به
كف الظلم بين القبائل * وخضبت لمولده الشريف الثريا ناهما بخضاب شفق
الاصائل * وتصلت لهيته من الأعداء المناصل * وعملت في ديوان
سره عمال العوامل * وأقام سيوفه في حصاد أعمار المشركين مقام
المناجل * فكان صلى الله عليه وسلم في الفخر والعلا * أحق بقول أبي
العلا

واني وإن كنت الأخير زمته * لآت بجالم تستطعه الاوائل
فن أجله السبع المثاني ثبنت * وفانرت الشهب الحصى والجنادل
منا نحه سجع فله درها * فكلم وضعت ألبا نهن الاوامل
وأولاده سبع كذا صم عنهم * وفي نامن خف حكمة الافاضل
وحراسه سبع اذا جنى ليله * حموه ولو أن الظلام بحائل
وضاهله سبع في محاسن وجهه * فأوجههم مثل البدور كوامل
ومدحى له في عام سبع وهذه * يوقى سبع في الطويل طوائل
علوت بها نفرا ولم أشك فاقة * على اني بين المساكين نازل
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كثروا في الأحزاب زمرة * وتقوا في
سبل الخيرات أثره * وأصبحت أسفار وجوههم بأيدي سفره * ففهم
الكرام البررة * الذين بايعوه تحت الشجرة * وأورقت غصون رماحهم
بسقياد الكفرة الفجرة * وبدا لهم من المشركين في مرابا سيوفهم تحت
العجاج وجوه يومئذ عليها غره * رضى الله تعالى عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين
* وألحق بهم من خلقهم من الخلفاء ومن تبعهم من التابعين * وحى حى
هذه الشريعة الشريفة المحمدية بأسنة أقلام علمائنا العاملين * وأحيا
ما فيها من الموات ببقاء مولانا السلطان محيى العدل في العالمين * السلطان
ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين * أبى المحاسن

(RECAP)

2271

1406

382

382 (S. 382)

414734

Digitized by Google



حسن صرف الله تعالى عامل سيوفه في رقاب ذوى النفاق * وحرس
غرفات قاعاته السبع * بلائكة السبع الطباقي * مادارت أيام الجمعة * وأشرقت
في لبائها من الثريا نجومها السبعة

أمين أمين لأرضي بسابعة * حتى نضيف إليها ألف آمينا
(وبعد) فلما كانت السبعة من أشرف الاعداد * وكان وجودها بمصر المحروسة
أكثر من سائر البلاد * ألقت منها في هذا الكتاب سنة سبع وخسين
وسبع مائة ما لم أسبق إليه * ولا عثر أحد في الاقاليم السبعة عليه * وسبقني
مصدق هذا الكلام * ولا سيما عند ذكر قصة يوسف الصديق عليه السلام
(وسميت) سكر دان السلطان لاشتتاله على أنواع مختلفة من جذو هزل *
وولاية وعزل * ونصيحة ملوك * وآداب وسلوك * وسر وعبر وتغيير
دول * واتصال ملل * وقطع طريق * وجز مجانيق * وأفعال مكرة *
وأعمال سخرة * وبيان وتبيين * ومدح وتأيين * ويقظة ومنام * وبر
وأثام * وقال وقيل * وأهرام ونيل * وغرائب * ومجائب * مما تلقتنه
من أفواه الشيوخ الاجل * ورويته عن كثرة وقلة * وشاهدته بعين
الحقيقة * والتقطته من التواريخ المعتمدة عليها التقاط الزهر من الحديقة *
وغير ذلك مما هو في معنى رسالتى أسنى المقاصد * والسبع زهرات التى
تجمع بمصر في صعيد واحد * مما لا يحصى كثره * ولا يقال لمنكره عنده *
هذا مع ما يخرط في ذلك من حكايات باهرة * وأحكام كانت للملوك
المتقدمة بمصر والقاهرة * فهو ولا سيما بذكر السبع زهرات تأليف
ظريف * وحضرة تصلح للمقام الشريف * وقالت

اى والربيع التضرير * وزهره المستنير
من نرجس واقاح * كأعين وثغور
ومن شقيق كحسنا * قد أقبلت في حرير
وباسمين كلون الثمين المهجور
وطيب نشر عبر الشبنم الممطور

والآمن

والآس شبه عذار * بخط ظبي غدير
والورد أقبل في جيتش حسنه المنصور

(وربته) على مقدمة وسبعة أبواب، ونتيجة (أما المقدمة) ففي ذكر نبذة مما
وقع في إقليم مصر من هذا العدد على طريق الأجمال * وأما الأبواب (فالأبواب
الأول) في ذكر خاصية هذا العدد وشرفه ومزيتة على غيره من الأعداد
(الباب الثاني) في بيان مالولانا السلطان بهذا العدد من العلاقة وما بينهما
من النسبة والسر المقتضى لنصره ودوام ملكه (الباب الثالث) في هذا إقليم
مصر الذي وقع فيه هذا العدد و ذكر نبذة من أخباره وأخبار القاهرة والنيل
وما جرى مجراه (الباب الرابع) في بيان كون مولانا السلطان أعزه الله تعالى
سابع من جلس على سرير الملك من أخوته و ذكر من ولي الملك من الترك من
أول دولتهم إلى يومنا هذا مختصرا (الباب الخامس) في ذكر طرف يسير من سيرة
مولانا السلطان نصره الله وسيرة أخوته وأبيه وعميه الأشرف والصالح
وجده الملك المنصور (الباب السادس) في ذكر اتفاقات غريبة وأشياء عجيبه
اتفقت لمولانا السلطان ولبعض أخوته وأبيه وعميه الأشرف والصالح
وجده المنصور ولم يسمع بأغرب منها ولم يسبق في أحد إلى التنبيه عليها على هذا
الوجه (الباب السابع) في تفسير بعض ما أودعته خطبة هذا الكتاب والباب
الخامس منه من الآثار النبوية والنكت الأدبية على سبيل الاختصار
(وأما النتيجة) التي مدار هذا الكتاب عليها وعين عنوانه ناظرة إليها في بسط
الكلام على ما تقدم ذكره في المقدمة من هذا العدد وتفصيل مجمله وإيضاح
مشكله ويشمل ذلك أيضا على سبعة أبواب (الباب الأول) في ذكر قصة سيدنا
يوسف عليه السلام وبسط الكلام على ما وقع فيها من هذا العدد (الباب
الثاني) في بسط الكلام على ما وقع في ذلك من قصة موسى وفرعون (الباب
الثالث) في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سير الملوك السالفين بمصر و ذكر
ما كان لبعضهم من الأحوال العجيبة في السحر وغيره مختصرا (الباب
الرابع) في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سيرة الحكام أحد الخلفاء

الفاطميين بمصر وذكروا طرق يسير من اموره الشنيعة وأحكامه المخالفة
لشريعة (الباب الخامس) في بسط الكلام على ما وقع من ذلك من
الحوادث الواقعة بمصر وما فيها (الباب السادس) في بسط الكلام
على ما وقع في القاهرة وضواحيها والاهرام ونواحيها من اقليم مصر
(الباب السابع) في ذكر السبع زهرات التي تجتمع بمصر في صعيد واحد
وذكر ما قيل فيها من منظوم ومشور وغير ذلك واذا كر عقيب كل باب من
هذه الابواب السبعة والابواب التي قبلها سبع حكايات وسميتها خاتمة الباب
* وجميع طائره المستطاب * ليصبح بها كل باب حسنا في باب * مقبول عند
أربابه * ومن الله أسئمة العناية فانه لا حول ولا قوة الا به * فهو حسي
ونعم الوكيل

المقدمة في ذكر نبذة مما وقع في اقليم مصر من هذا
العدد على طريق الاجمال

(أقول) الذي سيرته وحرّره من السير وكتب التفسير وغيرها ان سيدنا
يوسف الصديق عليه السلام أقام عند عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وكانت سبعة أبواب وشهد شاهد
من أهلها ان كان قصصه الآية وكان صغيرا في المهد وعمره سبعة أيام ثم بداهم
من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين فأقام في السجن سبع سنين على
قول الاكثرين ورأى الوليد بن الريان ملك مصر سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى ياسات فقض ذلك على يوسف فقال
ترزعون سبع سنين دأبا فاحصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تحصنون فأدناه الملك
من بعد ذلك سبع شداديا كلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون فأدناه الملك
عند ذلك * وصفه في جميع الممالك * فكان يركب في كل سبعة أيام الى
الموكب في سبعين ألفا وقيل في مائة ألف من عظماء قوم فرعون وكان يوسف
عليه السلام قد رأى الرؤيا الأولى وهو ابن سبع سنين وكانت اخوته
احد عشر سبعة منهم من ليا بنت ليمان وهي بنت خال يعقوب عليه السلام

وكان

وكان أبوه قد كتب إليه حين حبس أخاه بنيامين عنده على الصواع كذابا جاء منه وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فآرحم ترحم واردد عليّ ولدي فان فعلت فإله يجزيك وان لم تفعل دعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك (أقول) ومثل هذا قوله تعالى وكان تحت كثرلها ما وكان أبوهما صالحا قال علماء التفسير أراد به الجد السابغ ولما ذهب يهودا بالقميص والقاه على وجه أبيه مشى ثمانين فرسخا في سبعة أيام وكان معه سبعة أرغفة لم يستوفأ كلها حتى وصل الى ابنه يوسف عليه السلام وسورة يوسف أصلها ثيف وسبعة الاف حرف * وفي هيت لك سبعة أقوال للمفسرين رجة الله عليهم أجمعين (قلت) ويوسف عليه السلام في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله لانه دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله رب العالمين * وسيأتي بسط الكلام على هذا جميعه عند ذكر قصته من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وكان آخر مناجاة موسى عليه السلام يارب أوصني قال أوصيك بأمرين فإله سبع مرات * وحشر فرعون السحرة من المدائن وكانت سبع مدائن وقال اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي وكانت سبعة خلجان * وكان فرعون قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار * وخرج موسى ببني امراييل في ستمائة الف وسبعين ألف مقاتل فخرج فرعون في طلبه وعلى مقدمة جيشه هامان في ألف ألف وسبع مائة ألف مقاتل وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل وقيل كان فرعون في سبعة آلاف ألف وأرسل الله عليه وعلى قومه الطوفان سبعة أيام والجراد سبعة أيام والقمل سبعة أيام والضفادع سبعة أيام وسيأتي الكلام عليه * وملك مصر سبعة من السحرة وكانت لهم الأعمال العجيبة الى الغاية وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى ولبس الخاكيم بمصر الصوف سبع سنين ونزع النساء من الخروج الى الطرقات سبع سنين وسبعة أشهر * ووجد مقتولا في سبع جباب وسيأتي ذكر أحكامه القبيحة ولعنته الصريحة في بابيه (واتفق) ان بعض الامراء الاكابر بمصر سأل جماعة من الفقهاء عن ليلة القدر فقال بعضهم هي في العشر الاواخر

من شهر رمضان في ليلة السابع والعشرين منه وذكر ما رواه الحافظ أبو
الخطاب عمر بن دحية بسنده في كتاب العلم المنشور في فضل الايام والشهور
عن قتادة عن عاصم انهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس رضي الله
عنهما ما دعا عمر رضي الله عنه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة
القدر فأجمعوا على انها في العشر الاواخر من رمضان قال ابن عباس
فقلت اني لاعلم اواني لاطن أى ليلة هي قال عمر وأى ليلة هي فقلت
في سابعة تبقى أو سابعة تمضي من العشر الاواخر فقال عمر من أين علمت ذلك
قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام
وان الدهر يدور على سبعة والطواف بالبيت الشريف سبع ورمى الجمار
سبع وخلق الله ابن آدم من سبع وبأكل في سبع قال فقال عمر لقد فطنت
لأمر ما فطناله فلما فهم الأمير المشار إليه مراده واستحسن إirاده
أخذ في سرد ما يحضره من هذا العدد حتى انتهى الى قوله والمعادن سبعة
والألوان سبعة وأبواب جهنم أعادنا الله منها سبعة والفاصلة وهي ام
القرآن سبع آيات ولا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات فلما سكت قال له
بعض الحاضرين من فقهاء العجم كالمستدرك عليه يا مولانا وربك المالك
الظاهر سبع فنظر الحاضرون اليه وانقلب المجلس ضحكا عليه * وفي
القاهرة الا ان انسان يعرف بابن سبع وفي هذه السنة التي هي سنة سبع
وخسين وسبع مائة كتب الى الشيخ الاديب جمال الدين محمد بن
محمد بن محمد بن تباة المصري رسالة مطولة تشتمل على مقاطيع من
جلتها قوله

يا امام التقي مضى نصف عام * لم يكن فيه من وصولي ربع
سنة ان غفلت عني فيها * كسرتني وكيف لا هو سبوع
(وقوله) ملفزافين اسمها مليحة

تفترس الناس في هواها * مالكة للقلوب تدعو
مليحة حجت وشاعت * نخاب طرف وفازت مع

عجبة الاسم قبل خمس * وقيل ست وقيل سبع
فكتب اليه الجواب عن قوله هذا من جملة رسالتى الموسومة برسالة
الهدى هدفقات رجع القول فى وصف شرف السلطان الذى اشتغل على
احراق قلب الحسود من تلويح وتصريح وأنت ألعازة من المذكر
والمؤنث بكل مليحة ومليح فاطربت بأوتار سطورها السمع وقالت لافكار
المتأذين سيزم الجمع واجهم عن الخوض فى شريعته كل قائلاً ومالى طاقة
بلقاء سبع (ومن جملة هذه الرسالة) قولى أيضاً فى مدرسة شيخون
ومدرسة للعلم فيها مواطن * فشيخونها فردوا بناؤها جمع
لئن بات منها فى القلوب مهابة * فواقفها لث واشياخها سبع
(وقلت أيضاً) فى هذه السنة من جملة ما كتبته على الرسالة الموسومة بالدرّة
السنية والوسيلة النبوية انشاء السلطان أمير المؤمنين أبى عنان
ملك العرب

عريق له فى الملك مجد مؤنث * وبيت قديم فى الفخار قد امس
وآبأوه ممن حوى الملك قبله * لهم أول على المحل وسادس
فأمسوا به كالسبعة الشهب فى السما * وخذامهم فيها الجوار الكوانس
ولله ما أنشأته من رسالة * بدرتها العقد النفيس تنافس
مدحت بها أعلى النيين رتبة * اذا ارتفعت يوم المعاد الجبالس
نبي علا السبع الطباق بنفسه * وما للعلا الا النفوس النفائس
لئن كنت فى الزلفاء رؤياه طامعا * فما أنا من نيل الشفاعة آيس
عليه من البر السلام تحية * توضع وانف الكفر بالرغم عاطس
وصلى عليه الله ما ذكر اسمه * ولا حوجه الارض رطب وبابس
وهذا القدر كاف فى هذا الموضع وسيأتى الكلام على السبع زهرات
والتاج والسبع وجوه وغير ذلك ان شاء الله تعالى

الباب الاول

فى ذكر شرف هذا العدد وخاصيته ومزيته على غيره من الاعداد

(أقول) الكلام عليه من سبعة أوجه (أحدها) قال صاحب النسمات
 الفاشحة وغيره من أرباب علم الرياضة السبعة أول الاعداد الكاملة لانها
 جمعت العدد ~~كله~~ لان العدد أزواج وأفراد فالأزواج منها أول وثلاث
 فالاثنتان أول الأزواج والأربعة عددان والثلاثة أول الأفراد والخمسة
 فردتان فاذا جمعت الزوج الأول مع الفرد الثاني أو الفرد الأول مع الزوج
 الثاني كانت سبعة وهذه الخاصية لا توجد في عدد قبل السبعة (الثاني)
 ما حكاه بعض المفسرين ان العرب تبالغ بالسبعة لان التعديل في نصف
 العدد وهو خمسة اذا زيد عليه واحد كان لادنى المبالغة واذا زيد عليه
 اثنان كان لأقصى المبالغة ولا زيادة على ذلك (الثالث) قال الاستاذ
 أبو علي الكوفي المالقي في واول الثمانية انها لغة فصيحة لبعض العرب من
 شأنهم ان يقولوا اذا عدوا واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية
 تسعة عشرة فهذه هي لغتهم ومتى جاء من كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو
 انتهى (أقول) وانما كان ذلك كذلك لان السبعة عندهم عدد كامل والعدد
 بعدها مستأنف ومنه قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كهم فثبت
 الواو بعد السبعة ولم يثبتها فيما تقدم من الاعداد واللغة الفصحى التي
 أشار إليها هي لغة قريش فيما حكاه الثعلبي عن أبي بكر بن عباس (الرابع)
 قال ابن عطية في تفسيره وقد جعل الله السبع مائة والسبعين والسبعة
 مواقف ونهايات لأشياء عظام فلذلك مشى العرب وغيرهم على ان يجعلوها
 نهايات انتهى (أقول) ويؤيد قوله هذا سبعة مواضع في كتاب الله تعالى
 * أحدها قوله تعالى استغفر لهم أم لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين
 مرة فلن يغفر الله لهم على انه ليس المراد بذكر السبعين هنا حدا
 محدودا لوجود المفعلة بعدها وانما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد
 بدليل ما رواه مجاهد وقتادة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال سوف استغفر لهم أكثر من سبعين مرة فأنزل الله عليه سواء عليهم
 أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الآية * الثاني قوله تعالى

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتا قيل اختار اثني عشر سبطا من
كل سبط ستة فلما صاروا اثنين وسبعين قال ليتخلف منكم اثنان
فتشاجروا فقال أجر من قعد مثل أجر من خرج ففقد كالب ويوشع بن نون
(وروى) انه لم يصب الا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه ان يختار من
الشبان عشرة ليكمل بهم السبعين فاختارهم فأصبحوا شيوخا (قال ابن
اسحق) اختارهم موسى عليه السلام ليستغفروا عما صنعوا وليسألوا الله
تعالى التوبة على من تركوا وراءهم ممن عبد الجبل * الثالث قوله تعالى
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم
ولا يحض على طعام المسكين قبل السلسلة سبعون ذراعا كل ذراع سبعون
باعا كل باع منها كما بين رجة الكوفة ومكة شرفها الله تعالى (وفي الحديث)
لو أرسلت رضا رضة يعني شجرة بقدر رأس الجبل من السماء الى الارض
لبعثت قبل الليل ولو أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل
والنهار قبل أن تبلغ وروى أن جميع أهل النار فيها وروى انها تدخل
من دبر الكافر وتخرج من فيه وقيل من انفه (قال الزمخشري) في الكشف
في قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم
في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينه والثاني
ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف تارك
الفعل (وعن أبي الدرداء) رضى الله عنه انه كان يحرض امرأته على كثرة
المرق لاجل المسكين ويقول خلعت نصف السلسلة بالايمن أفلا تخلع نصفها
بالخض * الرابع والخامس قوله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن الآية قال الامام نضر الدين الرازي رحمه الله وقد اكره الله سبحانه
وتعالى من ذكر السموات والارض في كتابه العزيز وذلك يدل على عظم
شأنهما وعلى ان له سبحانه فيهما امرا عظيمة وحكما بالغة لا تصل اليها افهام
الخلق ولا عقولهم وقد جعل الله اديم السماء ملونا بهذا اللون الازرق
لتنفع بها الابصار الناضرة اليها لان فيه تقوية لها حتى ان الاطباء يأمرون

من أصابه وجع العين بالنظر الى الزرقة فهو تعالى جعل لونها أحسن
الالوان وهو المستدير وجعل شكلها أحسن الاشكال وهو المستدير وقد
زينها سبحانه وتعالى بسبعة أشياء بالمصابيح والقمر والشمس وبالعرش
وبالكرسى وباللوح والقلم فهذه السبعة ثلاثة منها ظاهرة وأربعة منها خفية
ثبت بالدلائل السمعية من الآيات والاخبار * السادس والسابع قوله
تعالى مثل الذين يتفقون أمواهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل
في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وجه استنباط السبع مائة
من هذه الآية الكريمة ان الحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة
حبة فصارت الجملة سبع مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
(الخامس من أصل الباب) قال بعض المفسرين السبعة عدد مقنع لانها
في السموات والارض وفي خلق الانسان وفي رزقه وفي أعضائه التي بها
يطيع الله وبها يعصيه وهي عيناه واذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويده
ورجلاه (وقال) الامام فخر الدين في اسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول
الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللناس سبعة أبواب فكل كلمة من
هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الابواب السبعة عن عضو من الاعضاء
السبعة (السادس) قوله عليه السلام المؤمن يأكل في معي واحد
والكافر في سبعة أمعاء قال الامام فخر الدين الرازي في هذا الاشارة الى قلة
الاكل وكثرة من غير ارادة السبعة بخصوصيتها ويقال ان لجهنم سبعة
أبواب بهذا التفسير (أقول) ولاهل العلم الشريف في هذا الحديث أقوال
منها أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب هذا مثلا للزهادة في الدنيا والحرص
عليها فجعل المؤمن لقناعتة بالسیر من الدنيا كالأكل في معي واحد
والكافر لشدة رغبته في الدنيا كالآكل في سبعة أمعاء قال أبو محمد السيد
البطليني وهذا أصح الأقوال (السابع) ما ألهمني الله تعالى اليه من
استقراء حال هذا العدد وذلك ان حروفه الثلاثة هي سبعة وما تنصرف
منها بتقديم بعضها على بعض وتأخيره يحتمل ست تركيبات خمسة منها مستعملة

في كلام العرب وواحد مهمل والخمسة المستعملة وما نصرف منها لا تخلو
من معنى القوة والعظمة بيان ذلك ان مادتها الاصلية (الاولى) س ب ع
يقال سبعة أى شتمته ووقعت فيه وسبعت الذئاب الغنم أى افرستها وأكلتها
والسبع والسبعة بضم الباء فيهما الاسد واللبوة ويجوز اسكان الباء
فيه ما قال الشاعر * لسان الفتى سبع عليه شداته

وجاء في كلامهم أخذه أخذ سبعة بسكون الباء أى أخذ لبوة وانما قالوا أخذ
سبعة ولم يقولوا أخذ سبع لأن اللبوة انزق من الاسد (الثانية) مادة س ع ب
السعايب من الماء هو الصافي الجارى الذى فيه تمتد وقوة (الثالثة) مادة
ب س ع مهمله لم تستعملها العرب ولا وضعت لها مثالا فيما أظن لاني
كشفت عليها في صحاح الجوهري والمحكم لابن سيده فلم أر أحدا منهما ذكر
لها مثالا ولا تعرض لها وهما ما هما (الرابعة) مادة ب ع س قال في المحكم
البلعس الناقة الضخمة (الخامسة) مادة ع ب س عبس قبيلة من قيس
والعبوس الجمع كثير ويوم عبوس وعبس أى شديد قال الله تعالى يوما
عبوسا قطريرا والعوايس الذئاب القاعدة على اذنانها والعنيس الاسد
(السادسة) مادة ع س ب عسيب اسم جبل قال امرؤ القيس

وانى مقيم ما أقام عسيب * واليعسوب ملك النحل وأميرها وقال أمير
المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه هذا يعسوب قريش أى سيدها
وكل رئيس قوم يسمى يعسوبا واليعسوب أيضا اسم فرس النبي صلى الله
عليه وسلم واليعسوب أيضا غرة في وجه القرس مستطيلة تنقطع من قبل ان
تساوى أعلى المخربن واليعسوب أيضا طائر أعظم من الجراد طويل الذنب
لا يضم جناحيه اذا وقع على الارض يشبه الخيل في الضرع (أقول)
واليعسوب أيضا نوع من الجمل وهو أعظمها فقد ظهر به هذا الاستقراء
والعمل مزينة هذا العدد على غيره وإن القوة لا تنفك عنه حيث لزم
تصاريه حروفه ودارت معها حيث دارت وهذه طريقة تسمى الاشتقاق
الاكبر ولم يتعرض لذكرها من العلماء الا القليل كما بن جنى في الخصائص

قوله البلعس الخ
فيه انه خرج عن
مادة ب ع س الى مادة
ب ل ع س والصواب
ان يشهد بالبعوس
كعبور فى الناقة
السائلة المنهكة
والجمع بعاس وبعاس
كما فى القاموس اه
مصححه

وابن الخباز في شرح الايضاح لما تكلم على هذا الكلام وقد استقرت ما وقعت عليه من كتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك فلم أرعددا مذكورا تراعى الالسنه أكثر من هذا العدد ومن تصدى لذلك علم صحة ما قلته ومعلوم ان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وان من أحب شيئا أكثر من ذكره

* خاتمة الباب وسجع طائر المستطاب *

أولها أقول قد تقدم ان اليعسوب هو ذكرا الجبل ومن غريب ما يحكى عنه ما حكاه أبو حيان التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة ان الجبل تأتي اعشاش نظرائها من الجبل وتأخذ من بيضها وتحضنه فاذا تحركت الفراخ وصار لها قوة على الطيران طارت ولحقت بآتهاتها التي باضتها وهذا من العجائب (وحكى الزنخسرى) في ربيع الاربار ان الجبله تكون في سفالة الريح واليعسوب في علواتها فتلقي كما تلقى النحلة من الفحل بالريح * ثانياً حكى القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه والشيخ شمس الدين الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام في ترجمة العماد الكاتب ان العقاب ليس فيه ذكر وان الذي يسافده حيوان آخر من غير جنسه قبل الثعلب أو غيره وفي ذلك يقول ابن عمن هجوا

ما أنت الا كالعقاب فأمة * معلومة وله أب مجهول

ثالثها حكى الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام أيضاً انه ورد كتاب الى القاهرة من السلطان محمود بن سبكتكين في سنة أربع عشرة وأربع مائة يذكر فيه انه أغل في بلاد الهند حتى جاء الى قلعة فيها سمانه صنم قال وأتيت الى قلعة ليس لها في الدنيا نظير وما للطن بقلعة تسع خمسمائة فيل وعشرين ألف دابة وتقوم لهم ولاء بالعوفة وأعان الله تعالى حتى طلبوا الامان فأمنت ملكهم وأقررت على ولايته بخراج ضرب عليه وانفذ هدايا كثيرة من جملتها طائر على شكل القمرى اذا حضر على الخوان وكان فيه شئ من السم دعت عيناه وجرى منها ماء وجرف فحلاً وبطل بما فحل منه الجرح

فميراً

فبأعلى القور ويلتهم وهذا من العجائب * رابعها حكى أبو الفرج
المعاني بن زكريا النهر واني في كتابه الجليس والاييس عن محمد بن مسلم
السعدى قال توجهت الى يحيى بن أكرم يوما فصرمت اليه فاذا عن يمينه
قطرة مجلدة جلست فقال افتح هذه القمطرة ففتحها فاذا شي قد خرج منها
رأسه رأس انسان ومن سرته الى أسفله زراع في صدره سلعتان فكبرت
وهالت وفزعت ويحيى يضحك فقال لي بلسان فصيح طلق ذاق

أنا الزاغ أبو عجمه * أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحان * ن والنشوة والقهوه
فلا عدوى بذى يخشى * ولا يحذرلى سطوه
ولى أشياء تستظر * ف يوم العرس والدعوه
فنها سلعة فى الظهور لا تسترها القروه
وأما السلعة الاخرى * فلو كان لها عروه
لما شك جميع النسا * س فيها انهار كوه

ثم قال يا كهل أنشدنى شعرا غزلا فقال لي يحيى قد أنشدك فأنشده فأنشدت
أعترك ان اذنبت ثم تابعت * ذنوب فلم أعجبك ثم ذنوب
واكثر حتى قلت لست بصارى * وقد يصرم الانسان وهو حبيب
فصاح زاع زاع ثلاث مرات ثم طار وسقط فى القمطرة فقلت لي يحيى
أعز الله القاضى أو عاشق أيضا فضحك فقلت أيها القاضى ما هذا فقال هو
ما ترى وجهه صاحب اليمن الى أمير المؤمنين وما رآه بعد وكتب معه كتابا
لم أفضضه وأظن انه ذكر فيه شأنه وحاله * خامسها حكى الثعالبي فى كتاب
العرائس ان الهدد يرى الماء تحت الارض كما يرى أحدكم الشراب فى كاسه
فينقر الارض فيعرف موضع الماء فتسخر به الشياطين قال سعيد بن جبير
حين ذكر ابن عباس رضى الله عنهم ما هذا الحديث قال له نافع الازرق أ رأيت
قولك الهدد ينقر الارض فيبصر الماء أ يبصره ولا يبصر الفخ حتى يقع
فى عنقه فقال ابن عباس ويحك اذا نزل المقضاء عى البصر (أقول)

وقريب من هذا ما حكاه أبو الهيثم أن الغراب يصير من تحت الأرض بقدر
منقاره قال ابن الأعرابي وإنما سميت العرب الغراب أعور لأنه يغمض أبدا
أحدى عينيه مقتصر على الأخرى من قوة بصره قال بشار بن برد
وقد ظلموه حين سموه سيديا * كما ظلم الناس الغراب بأعورا
وقد ظرف بعضهم ولطف حيث قال

والأعور المفقوت مع بغضه * خير من الأعشى على كل حال

سادسها حكى أن في بحر المغرب من جهة الأندلس جبلا منقورا وفيه
كنيسة مشروطة على من بهامن الرهبان ضيافة الزوار وتعرف بكنيسة
الغراب لأن في أعلاها قبة كبيرة وعليها غراب لا يبرح ولا يعلم من أين يأكل
فاذا قدم زائر واحد أو أكثر أدخل الغراب رأسه في روزنه بأعلى القبة
وصاح بعددهم فاذا كان الزائر واحدا صاح واحدة وإن كان الزوار سبعة
صاح سبع مرات وإن كانوا أكثر من ذلك صاح بعددهم وهذا من العجائب
سابعها جبل الطير بصعيد مصر الأدنى مطل على النيل وفيه أعجوبة لم
ير مثلها في سائر الأقاليم وهي باقية إلى يومنا هذا وذلك أنه إذا كان آخر
فصل الربيع قدم إليه في يوم معلوم طيور كثيرة بلق سود الأعناق طوفاً
الحواصل سود أطراف الأجنحة في زعاقها بحاجة يقال لها طير الج لها
صياح يسد الآفاق فتقصد مكانا في ذلك الجبل فينفرد منها طائر واحد
فيضرب بمنقاره في مكان مخصوص في شعب الجبل عال لا يمكن الوصول إليه
فإن علق تفرقت الطيور عنه وإن لم يعلق تقدم غيره وضرب بمنقاره في ذلك
الموضع وهكذا واحد بعد واحد حتى يعلق منهم واحد فيبقى معلقا بمنقاره
تنتفرك عنه الطيور حينئذ وتذهب إلى حيث جاءت فلا يزال معلقا بمنقاره
إلى أن يموت فيصنع في العام القابل ويسقط فتأتي الطيور على عادتها
في السنة القابلة فتعمل العمل المذكور وقد أخبرني بهذا غير واحد من
المصريين عن شاهده ذلك وهذا مشهور معروف بمصر إلى يومنا هذا (وحكى)
بعضهم أنه رأى في بعض السنين طيرا تعلق بمنقاره وتفرقت عنه الطيور

ثم اضطرب اضطرابا شديدا واطلق نفسه والتحق بالطيور فدارت عليه
وجعلت تنقره بمنافيرها الى ان عاد وتعلق بمنقاره في ذلك الموضع وهذا
من العجائب التي لم يسمع بمثلهما ولا بأغرب منها * وأما حديث الرخ
والعنقاء وغير ذلك فقد ذكرته في كتابي غرائب العجائب وعجائب الغرائب

الباب الثاني

في بيان مال مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره بهذا العدد من العلاقة
وما بينهما من المناسبة والسر المقضى لنصره ودوام ملكه

وذلك من سبعة أوجه (أولها) انه أعز الله أنصاره وادام علوه واقتداره
سابع من جلس على سرير الملك من اخوته وسأني بيان ذلك في الباب الرابع
ان شاء الله تعالى (الثاني) انه وافق والده السلطان الملك الناصر الشهيد في
سبعة أشياء منها ما هو غريب الى الغاية وسأني ذكرها في الباب السادس
(الثالث) ان الله تعالى خص اقليم مملكته من هذا العدد بما يخص به اقلها
غيره لما تقدم ذكره في المقدمة ولما يأتي ذكره في بقية الابواب من هذا الكتاب
(الرابع) ان له بانقضاء هذه السنة المباركة التي هي سنة سبع وخمسين
وسبع مائة سبع سنين في الملك (الخامس) ان قاعاته المهر وسعة سبع
قاعات متواليات بقلعة الجبل المخروسة (السادس والسابع) انه داخل
تحت قوله عليه السلام سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الحديث
لانه امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى فلما وافق هذا العدد المذكور
من الوجوه السبعة وكان أعنى هذا العدد السابع عند أهل علم الفلك من
الافراد الثابتة دل ذلك على ثبات مملكته ودمار عدوه وهلكته وعظم
شانه وقوة سلطانه وتشييد أركانه ونصره على اعدائه لان التصريف
الذي يكون من السين والباء والعين شيئا شديدا الامر من ذلك السبع والعوس
والعنيس والغنابس والعسيب واليعسوب والسعايب ونحو هذا من
التول وانما قيل للاسد سبع لان قوته ضوعفت سبع مرات وقد تقدم

من الكلام على هذا ما فيه كفاية وهذا القدر كاف هنا

(خاتمة الباب وصبح طائر المستطاب)

(أولها) أقول هذا الذي ذكرته هنا على سبيل المثال بدوام أيام مولانا السلطان لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل قال عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل * وروى عنه عليه السلام أنه لما قدم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل علمته يا سالم يا يسار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلت لنا الذي يار في يسر وما أحسن قول أبي العلاء المعري

سألن فقلت مقصدا سعيد * فكان اسم الأمير لهم قالا

وقوله أيضا

وقد سمع سيدة علما * وذلك من علو القدر قال

(ثانيها) اتفق أنها تساقطت النجوم في أيام أحمد بن طولون فراعته ذلك واحضر من عنده من المتبحرين والعلماء وسألهم ما عندهم في ذلك فأجابوا بشئ قد دخل عليه الجمل الشاعر وهم في الحديث فأنشده في الحال

قالوا تساقطت النجوم * لم لحادث قط عسير

فأجبت عند مقالهم * ببجواب محتك خبير

هذي النجوم الساقطة * تنجوم أعداء الأمير

فتفاهل ابن طولون رحمه الله بقوله واستبشر وأمر له بصلوة مرضية وخلعة

سنية وقال للجماعة أف لكم ما فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا * أقول

وكان هذا الجمل صاحب نادرة وأصدق لهيأ كل سمناف قال له يا أبا عبد الله

لأننا كل السمن لأنه سم زيدت فيه النون فقال وينبغي لك أن تأكل الحية

لأنها حية سقطت منها الألف (ثالثها) حكى أن طاهر بن الحسين خرج

لقتال عيسى بن ماهان وفي كنه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سبها واسبل

كفه فبذرت الدراهم فتطير من ذلك فقام شاعر وأنشده

هذا تبدد شملهم لا غيره * وذهابه من اذهاب الهم

شيء يكون المهتم تصف حروفه * لا خبر في امساكه في الكتم
فتقابل بقوله واحسن جائزته (رابعها) حكى أن رجلا دخل على كافور
الاخشيدي صاحب مصر قد عاله وقال في دعائه أدام الله أيام مولانا بكسر
الميم من أيام فتحدث الناس والجماعة الحاضرون في ذلك وعابوه فقام رجل من
وسط الناس فأنشده مرتجلا

لاغر وأن لحن الداعي لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيتته حالت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * في موضع النصب لاعن قلة النظر
فقد تناءت من هذا السيدنا * والقائل نوزره عن سيد البشر
بأن ايامه خفض بلا نصب * وأن أوقائه صفو بلا ~~كدر~~

(خامسها) حكى أبو مسعود قال قال لي أبو داود المسيحي ما اسمك قلت سعد
فقال ابن من قلت ابن مسعدة قال أبو من قلت أبو مسعود فقال مثلك مثل
اعرابي سألت أترق قال ما اسمك قال فياض فقال ابن من قال ابن القرات
فقال أبو من قال أبو بحر فقال ليس ينبغي لنا أن نلقاك الا في ذورق والانفرق
والعلم المشهور في هذا الباب ما رواه مالك بن أنس رضي الله عنه في الموطأ
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأله رجلا عن اسمه فقال شهاب بن حرقه
فقال ممن قال من أهل حرة النار فقال وابن مسعود فقال بذان لطلبي
فقال ادرك أهلك فقد احترقوا فكان الامر كما قال عمر رضي الله عنه
(سادسها) حكى أن شهاب الدين القوصي كان يوما عند الملك الأشرف فدخل
عليه سعد الدين الحميم وكان بينهما وحشة فقال له الأشرف ما تقول
يا شهاب الدين في سعد الدين فقال يا خوند ان كان عندك فهو سعد السعود
وعلى السباط سعد بلع وفي الخيام عند الضيوف سعد الاخبية وعند المرضى
سعد الذابح فضحك السلطان وأعجبه كلامه وعلم ان بينهما وحشة فاصلى
بينهما وأمر لكل منهما بشريف وعلى ذكر سعد الاخبية قلت أنا وقد
اقتضت الحالة ذلك

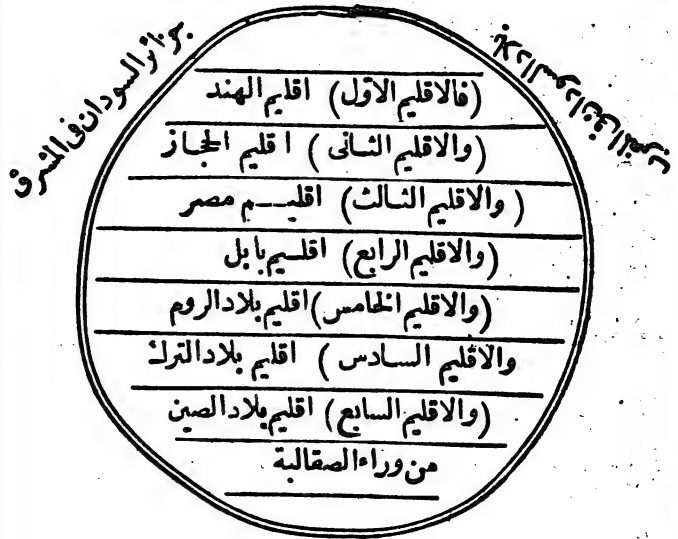
دع عنك مضر فأهلها بعد الوفا * ألقوا الحقا وتحبوا في الابنية
 قلبت بها الاعيان حتى اني * عاينت سعد الدين سعد الاخبية
 (سابعها) حكى ان ابن الرومي كان شديد التطير في لازم بيته ولا يخرج منه
 الا بعد استقرار القرائن الحسنة فيما يسمعه ويتقالم به من الكلمات
 الحسنة والوجوه المليحة فاتفق انه بعث اليه بعض أصحابه في يوم من الايام
 غلاما مليح الوجه حسن الاسم طيب الرائحة فلما طرق الباب عليه خرج
 اليه فسأله في الحضور الى سيده فسمع كلامه وشم طيبه ورأى وجهه المليح
 فتسال حسن من حسن فأجابه الى سؤاله فلما خرج معه رأى دكان خياط على
 رأس الدرب وقد صلب درابتي الباب وهو يأكل تمر فقال ان الدرايتين
 (لا) والتمر (تمر) فالقَالَ قد قال لا تمر قد دخل واغلق الباب وقال والله
 لا مررت معك وله في هذا الباب حكايات عجيبه كثيرة والجنون فنون

الباب الثالث

في ذكر حدة اقليم مصر الذي وقع فيه هذا العدد و ذكر نبذة من اخباره
 واخبار القاهرة ومصر والنيل السعيد وما جرى مجراه على سبيل
 الاختصار

(أقول) حدة اقليم مصر من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش الى اسوان
 طولاً وعرضاً من برقة الى ايلة وهي مسيرة أربعين ليلة ثلاثون ليلة طولاً
 وعشر ليال عرضاً وقريب من هذا الحد ما حكاه بعضهم أيضاً ان حدة اقليم
 مصر من بحر الروم الى الاسكندرية وقيل من برقة الى البر و ينتهي الى ظهر
 الواحات السبع ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة
 من حدة اسوان على أرض البحافى قبلى اسوان حتى ينتهى الى بحر القلزم
 ثم يمتد على بحر القلزم ويتجاوز الى طور سيناء ثم يعطف على تيه بنى اسرائيل
 ماراً الى بحر الروم في الحفائر وراء العريش ورفح ويرجع على الساحل
 ماراً على بحر الروم الى الاسكندرية فيتصل بالحد الذي قد مت ذكره من
 نواحي برقة وهو اقليم عظيم سكنته الجبابرة مثل مصعب بن الوليد والوليد

ابن مصعب وفرعون موسى وفرعون يوسف وموقعه من الاقاليم السبعة
الوسط الثالث * وهذه صفة كرة الارض وموقعها كما تراه في هذه الدائرة
التي تراها والله تعالى أعلم



(فالاقليم الثالث) الذي من جلته اقليم مصر مبدؤ من الشرق فيمر على شمال
بلاد الصين ثم الهند ثم السند ثم كابل وكرمان وسجستان وفارس
والاهواز والعراقين والشأم ومصر والاسكندرية وفيه من البلاد
المعروفة عرقة وكابل وسجستان واصبهان وبست وكرمان ومن
فارس اصطخر وجور وسابور وسيراف وكور الاهواز كلها ومن
الشأم حص ودمشق ومصر وعكا وطبرية وقيسارية وارسوف
والرملة وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين ثم يقطع أسفل مصر
ويعر على تيس ودمياط والقسطاط والقيوم ومن المغرب برقة
وافريقية والقبروان وقبائل العرب والسوس وبلاد طنجة وسبتة

وينتهي الى البحر المحيط وطول وسطه من المشرق الى المغرب ثمانمائة
 ألف وسبعمائة وأربعة وسبعون ميلا وثلاث وعشرون دقيقة وعرضه
 ثمانمائة وثمانية وأربعون ميلا وخمس وأربعون دقيقة وهو في قول القوم
 للمريخ وفي قول الروم لعطارد وله من البروج الحمل والعقرب * وفقت
 مصر كلها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص
 ولما فتحها أتى اليه أهلها وقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري
 الا بها فقال لهم وما ذلك فقالوا له اذا كان ثقتا عشرة ليلة تخلو من شهر
 بؤنة من شهور القبط عمدنا الى جارية بكر بين أباها فأرضينا أبوها
 وجعلنا عليها من الثياب والحلي والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل
 فقال لهم عمرو وهذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا
 بؤنة وأيب ومسرى وهي أسماء ثلاثة أشهر للقبط لا يجري النيل فيها الا قليلا
 ولا كثيرا حتى هموا بالجلأ منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك
 الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فكتب عمر بن
 الخطاب بطاقة وكتب الى عمرو بن العاص اني كتبت اليك بطاقة فألقها
 في النيل فاخذها عمرو فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
 أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجروا ان
 كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فتسأل الله الواحد القهار ان
 يجريك والى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تمها الناس من
 مصر للعلاء أي الرجل فلما ألقى البطاقة في النيل اصبح يوم الصليب وقد
 أجراه الله تعالى ستة عشر ذواعا في ليلة واحدة وقطع الله تبارك وتعالى
 تلك السنة السوء من أهل مصر ببركة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله تعالى عنه انتهى (أقول) وكان مثل هذه البهدة
 في زماننا هذا وذلك ان النصارى كان عندهم صندوق فيه
 اصبع بعض من هلك من عبادهم يسمونه الشهيد وكانوا في كل
 سنة يلقونه في البحر عند شبرا وهي قرية على شاطئ النيل بالقرب من

القاهرة في ثامن بشنس من أشهر القبط ويرغمون ان النيل ما يزيد الا بالقائه
 فيه ثم انهم يعيدونه ويحتزون عليه عندهم الى القابل ثم يلقونه أيضا
 في التاربخ المذكور وكان يتفق بسببه من ركوب الناس في البحر من
 الفساد ما لا يعبر عنه فآلهم الله تعالى من أجرى الخيرات على يديه المقر السيئ
 صرغمش الملاكى الناصرى أمير رأس فوبة فأخذ هذا الصندوق وأحرقه
 وذلك في سنة أربع وخمسين وسبع مائة فاتفق ان النيل المبارك زاد
 في تلك السنة زيادة لم يعهد مثلها في دولة الاسلام من تاريخ الهجرة
 الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والى يومنا هذا انه
 تجاوز عشرين ذراعا وهذا شئ غريب جدا ثم استقر بحرى في ذلك كل
 سنة على جارى عادته في السنين الماضية وبطلت تلك السنة السيئة
 (ومن غريب) ما وقع في زيادته في تلك السنة انه زاد تسعة عشر اصبعاً
 من تسع عشرة ذراعا في تاسع عشر شعبان وهذا اتفاق غريب الى الغاية
 وكنت قد وضعت فيه تلك السنة مقامة جامتها قولى وغرق بقلوب
 الظلمة الذين هم في خوضهم يلعبون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون
 فكلم بها من نصرانى قد كفر بالانجيل ويهودى قال حين أدركه الفرق
 آمنت انه لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل * وقد ذكر الله تعالى مصر
 في ثمانية عشر موضعا في كتابه العزيز (منها) قوله تعالى اهبطوا مصرا فان
 لكم ما سألتكم وقوله تعالى فيما حكاه عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه
 الانهار تجري من تحتي * قال بعض الاطباء ونيلها آية من آيات الله تعالى ومن
 شرب منه زادت قوته وقيل ان ماء دجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد في شهوة
 النساء ويقطع نسل الخليل حتى ان جماعة من العرب لا يسقون منها خيلهم
 وقال أيضا لولا ما بمصر من اللبون والمحوضات ما عاش بها أحد لحلاوة
 ما بها * وذكر المهدوى في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله
 تعالى منح للنيل كل نهر على وجه الارض في المشرق والمغرب وذلك لانه فاذا
 أراد الله تعالى ان يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فاذا انتهى جريانه

الى ما قدوة الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى منصرفه (أقول) ومصادق
هذا الاثر ان النيل مخالفا لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا انقصت
الانهار كلها واذا زادت نقص لانها والله أعلم غده بجائها * وفي أصل النيل
أقول للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال النبل وهي بجبل
قاف وانه يخرق البحر الاخضر بقدره الله تعالى ويمر على معادن الذهب
والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله تعالى الى ان يأتي الى بحيرة
الزنج قال الحاكى لهذا الكلام ولولا ذلك بهنى دخوله في البحر المالح
وما يحتلط به منه لما كان يستطيع ان يشرب منه لشدة حلاوته * وقال قوم
مبدؤه من جبل القمر وانه ينبع من اثني عشرة عينا واختلف في سبب
زيادته ونقصانه فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله عز وجل * وكان الملك الصالح
نجم الدين أيوب رحمه الله تعالى يشتهي ان يعرف أصل النيل فرسم ان
يشترى عبيد صفار زنج وما شا كلهم جلبا لم يستعربوا ويسلموا للصيادي
السمك والجمارة ليعلموهم صفة البحر وصيد السمك وان يكون قوتهم من
السمك لا غير فاذا مهر وافي ذلك تصنع لهم مراكب صفار يركبون فيها
ويأتونه بخير النيل * وكان فرعون يجبي خراج مصر كل سنة مائة ألف
ألف دينار فياخذ الربع من ذلك لنفسه وأهله وبيت ماله والربع الثاني
لوزرائه وأمرائه وكأبه وجنده ويكثر الربع الثالث ذخيرة ويصرف الربع
الرابع في حفر الخيطان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الارض وكان
في كل سنة اذا اكمل التخضير يتقدم قاندين من قواده أو دني قم فيذهب
أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فينأمل القائد كل ناحية وأرض
كل قرية فاذا وجد موضعا باثرا عطلا قد اغفل بذره وكتب الى فرعون
بذلك واعلم اسم العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك فيامر بضرب
عنق ذلك العامل واخذ ماله وولده وربما عادا القائدان ولم يجدوا موضعا
ليبدوا الاردين لتكامل العمارة واستظهار الزراع * وجباها عمرو بن

العاص اثني عشر ألف دينار وكان ذلك أول دخوله اياها ولم يصرف
 عمر بن الخطاب همرو بن العاص وولى عبد الله بن أبي سرح الذي ولاه
 عثمان رضى الله تعالى عنه جبي خراج مصر أربعة عشر ألف دينار
 فنظر عثمان الى عمرو بن العاص وقال علمت ان القصة درت بعدك قال نعم
 ولكن أجاعت أولادها وهذا الذي جباه عمرو وعبد الله بن أبي سرح انما
 هو على الجماجم على كل رأس شئ معلوم خارجا عن الخراج والمقل وغيرهما
 من الاموال الديوانية (وأما القاهرة) المحروسة فان الاصل في بنائها
 جوهر القائد قائد المعز صاحب المغرب ومصر وهو اول من ملك مصر من
 خلفاء الفاطميين وكان السبب في ملكه مصر أن كافورا الاخشيدى
 صاحب مصر لما مات جهز المعز القائد جوهر الى مصر بعسكر عظيم ومعه
 ألف رجل من السلاح ومن الخيل مالا يوصف فلما انتظم حاله وملك مصر
 ضاقت بالجنود والرعية فاخطت سور القاهرة وبنائها وعمل فيها القصور
 وسماها المنصورية وذلك في سنة ثمان وخسين وثلاثمائة من الهجرة النبوية
 الشريفة فلما قدم المعز من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة والسبب
 في ذلك ان جوهر لما قصد اقامة السور جمع المتجمين وأمرهم ان يختاروا
 طالعا لخر الاساس وطالعا لرى حجارته فجعلوا قوائم من خشب بين القسامة
 والقسامة جبل فيه اجراس وافهموا البنائين انه ساعة تحريك الاجراس
 يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ووقف المتجمون لتحويل هذه الساعة
 وأخذ الطالع فانفق وقوع غراب على خشبة من تلك الخشب فقهرت
 الاجراس فظن الموكلون بالبناء ان المتجمين حركوها فاقبلوا ما بأيديهم من
 الطين والحجارة في الاساس فصاح المتجمون (لالا) القاهرة في الطالع فضى
 ذلك وخنهم ما قصدوه وكان الغرض ان يختاروا طالعا لا يخرج البلدة عن
 نسلهم فوقع ان المرنج كان في الطالع وهو يسمى عند المتجمين القاهرة فعملوا
 ان الاتراك لا تزال هذه البلدة تحت حكمهم وانهم لا بد ان يملكوها هذا
 الاقليم فلما قدم المعز اليها وأخبرهم هذه القصة وكانت له خبرة تامة بالجماعة

وأنفهم على ذلك وإن التركة تكون لهم الغلبة على هذه البلدة فسموها
القاهرة وغير اسمها الأول فكان الأمر كما قال وملكها التركة إلى يومنا هذا
وفي القاهرة أيضا في قصور الفاطميين قبة تسمى القاهرة يرسم بعض الناس
أن القاهرة سميت باسمها والصحيح ما قلناه أولا والله تعالى أعلم

«خاتمة الباب وصحيح طائر المستطاب»

(أولها) لما توفي وزير المأمون الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل طلب
المأمون من ولاد الفضل ما خلفه والده فحمل إليه سلة محتومة مقلدة ففتح
قلها فإذا صندوق صغير محتوم وإذا فيه درج وفي الدراج مكتوب بخطه
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه أنه يعيش
سبعاً وأربعين سنة ثم يقتل بين ماء و نار فعاش هذه المدة وقبض عليه غالب
خادم المأمون في حمام بسر خمس وكان قد ثقل أمره على المأمون فدرس عليه
غالباً فقتله مغافصة ومعه جماعة وذلك في سنة اثنين ومائتين وكانت له
معرفة تامة بالتجامة (ثانيها) حكى المسيحي في تاريخ مصر أن أبا الحسن
على بن عبد الرحمن مصنف الزيج الحاكمي كان أبله مغفلاً لا يعلم على طرطور
طويل ويركب على بغلة عالية وكان يخرج خضكة لمن يراه وكان قد أنفى همرة
في الرصد ونسي سائر التجوم فعمل ما لا نظير له وكان يقف لا يكواكب وكانت له
أصابت في علم التجامة (منها) أنه علم أنه يموت قبل موته (بسبعة) أيام وكان
صحباً سالماً فيبض دهلج داره وأعد موضع قبره منها وفرغ من جميع
ما يحتاج إليه وكان كل من خاطبه من أصحابه وأهل بيحاج بهم أنه قد جاءه
الموت وهو يخرج ويدخل ويتصدق ثم أغلق باب داره وقال لجاريته
يا احسان قد أغلقت ما لا افتحه أبداً وصفي الماء من بركة داره وغسل
مسودانه ولم يزل يقرأ قل هو الله أحد إلى أن خرجت روحه بكرة يوم الاثنين
لثلاث خلون من شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة بعد سبعة أيام
كما قال (ثالثها) ومن أصاباته أيضاً أن الحاكم قد أعطاه داراً فقال بأصير
المؤمنين أو يدان تعطيتني غير هذه الدار فقال ولم قال لأن الماء يهاكمها

واطعها فأعطاه غيرهما فخلاهما من غدة ذلك اليوم فلما كان بعد ثلاثة أيام
 جاء سيل عظيم من الجبل إلى القاهرة ورمى قصورا ودورا وكان أمرا مهولا
 لم يرمثله فيما تقدم وذهبت الدوا والمذكورة فيما ذهب كما أخبر (رابعهما) حكى
 القاضي شمس الدين بن خلكان عن أبي معشر أن بعض الملوك طلب رجلا
 من اتباعه ليحاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم أن أبا معشر يدل
 عليه الطريق التي يستخرج بها الخفايا فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدى إليه
 فاختط شتما من الناس وجعل فيه دما وجعل في الدم هاونا من الذهب
 وجلس على الهاون يأما فطلبه الملك وبالغ في طلبه فلما هجر عنه قال لأبي
 معشر عزني موضعه بما جرت به عادتك فعمل المسئلة التي يستخرج بها
 ذلك ثم سكنت ساعة خيرا فقال له الملك ما سبب سكوتك فقال أرى شيئا عجيبا
 فقال ما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بصر من
 دم محيط به سور من نحاس ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال
 له أعد النظر فصل ثم قال لا أرى إلا كما ذكرت وهذا شيء ما وقع لي بمثله فلما
 أيس الملك من القدوة عليه بهذا الطريق نادى في البلد بالامان للرجل فلما
 حضر بين يديه سأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمد فأعجبه بحسن
 احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراج ما به لذلك وهذا من
 العجائب ولأبي معشر أصابات كثيرة من هذا النوع (خامسها) حكى ابن أبي
 صفيحة في كتابه الانباء في تاريخ الأطباء وغيره من أرباب التاريخ أن وزير
 محمود بن صالح صاحب حلب وشيخ اليمانيان المعري زنديق لا يرى أفسل الضور
 ويرجم لق الرسالة فتحصل بضواء العقل فأمر محمود بطلبه إليه وبعث خمسين
 فارسا ليصلوه فلما وصلوا إليه أنزلهم أبواب العلاء دار للضيافة فدخل عليه مسلم
 ابن سليمان فقال يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك فلن
 نتصالح بجزءنا وإن أسلمنا لك كان علما علينا قصد ذوي النمام فقال له هرون
 عليا يا هم فلا بد من علينا في سلطان يذب عنى ثم قام واغتسل وصلى إلى
 نصف الليل ثم قال لعلامة انظروا إلى المزعج ابن هرون قال في كذا وكذا فقال

زنه واضرب تحتها وتدا واجعل في رجلتي خيطا واربطه في الوتد ففعل
غلامه ذلك فسمعنا وهو يقول يا قديم الازل يا عله العلل يا غاية الامل يا صانع
المخلوقات وموجد الموجودات أنا في عزك الذي لا يرام وكنتك الذي لا يضام
الضيوف الضيوف الوزير الوزير ثم ذكر كلمات لا تفهم واذا بهمة عظيمة
فستل عنها فقيل الدار وقعت على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت
الخمسين وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر لا ترجعوا
الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير قال يوسف بن علي فلما شاهدت ذلك دخلت
عليه فقال من أنت فقلت أنا فلان فقال زعموا اني زنديق ثم قال لي اكتب
واملي على قصيدة منها

باتوا وحتى أمانهم مصورة * وبت لم يخطروا منى على بال
وفوقوا لي سهاماً من سهامهم * فاصبحوا وهم منى بامبال
بما ظننوك اذ جندى ملائكة * وجندهم بين طواف ويقال
اذا تنافست الجهال في حلل * وأتيت وخسيس القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة * اخاف من سوء اقوالى وافعالى
وأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبد اكرام واجلال
أصون ديني عن جعل أوامره * اذا تعبد اقوام باجعال
(سادسها) حكى القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان شهاب الدين
السهروردي المقتول بجلب كان بارعا في اصول الفقه اوحدا اهل زمانه
في العلوم الفلسفية وكان يعرف علم السجاء قال وحكى عنه بعض فقهاء المعجم
انه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق المهروسة قال فلما وصلنا الى
القابون لقينا قاطيع غنم مع رجل تركاني فقلت للشيخ يا مولانا تريد من هذه
الغنم رأسانا كله فقال معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم وكان
هناك تركاني فاشترينا من التركاني الرأس بالدراهم ومشيينا فلحقنا رفيق له
وقال ردوا الرأس وخذوا أصغر منه فان هذا ما عرف بيعكم فقتلونا
نحن وياه فلما عرف الشيخ القصة قال لنا خذوا أنفسم الرأس وامشوا وأما

أقرب معه وأرضيه فتقدمنا نحن وبني الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه فلما
بعدنا قليلا تركه الشيخ وتبعنا وبني التركاني عيشي خلفه ويصبح وهو لا يلتفت
إليه فلما رأى أنه لا يكلمه لحقه وقبض على يده اليسرى وقال كيف تروح
وتخلفني وما تعطيني حتى وإذا بيد الشيخ قد انخلعت معه من عند كفته
وبقيت في يد التركاني فلما عاين التركاني ذلك تحير في أمره ورى اليد وخاف
وهرب فرجع الشيخ وأخذ اليد بيده اليمنى ولحقنا وبني التركاني راجعا هاربا
وهو يلتفت إليه حتى غاب عنه فلما وصل إلينا الشيخ رأينا في يده منديلا
لا غير (سابعها) حكى الحكيم بن إبراهيم بن أبي الفضل عن السهروردي
هذا أيضا أنه كان يعرف علم السيمياه وفي ذلك خوارق من وراء العقل
قال فمن ذلك ما اتفق لي معه وذلك أني خرجت معه أنا وجماعة من التلامذة
من باب الفرج بدمشق فبينما نحن بالقرب من الميدان الكبير أجرى بعض
الجماعة ذكر علم السيمياه وبعث به وما للشيخ فيها من اليد الطولى وهو يسمع
فشي قليلا وقال أيعا أحسن دمشق أو هذا الموضع قال فنظرنا فإذا من
جهة الشرق جواسق عالية متدانية بعضها من بعض مضئة وهي من
أحسن شيء يكون من خرفة الحيطان والسقوف وبها طافات كبار وشبابك
فيها نساء علمن أنواع الحلي والاقشة لم يره مثلهن في الدنيا وأصوات مغاني
وملاهي وأشجار ملتفة بعضها على بعض وأنهار جارية كبار فتعجبنا من
ذلك ساعة ثم غاب عنا فعدنا إلى رؤية ما كنا عليه من الأول إلا أني كنت عند
رؤية ذلك الأمر العجيب كأنني في سنة خفيفة ولم يكن إدراكي كالحالة
التي كنت اتحققها مني أولا

الباب الرابع

في بيان كون مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره سابع من جلس على
سرير الملك من أخوته وذكر من ولي الملك من الترك من أول دولتهم وإلى
يومنا هذا على سبيل الاختصار

(أقول) آخر ملوك مصر من بني أيوب الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح

أيوب وكانت مدة ملكه احدا وسبعين يوما ثم قتل وكان السبب
 في قتله انه لما حضر من حصن كيفا بدموت والاه الملك الصالح واستقل
 بالملك في مصر اخذ في ابعاد عماليك اليه وتقريب عماليك الذين وصلوا معه
 الى الشرق فعند ذلك اجتمع جماعة من عماليك اليه واففقوا على قتله
 ودخلوا عليه وفي أيديهم السيوف مجردة فهرب منهم الى برج خشب كان
 في حتمته وعلق عليه بلبه فرمو افيه النار فأحرقوه فخرج من البرج وهرب
 الى البحر فأدركوه وضربوه بالسيوف فرمى نفسه في البحر فبقوه وكتابه
 في المجرفات وجهه الله تعالى حريقا غريبا قتيلا وذلك في يوم الاثنين
 السادس والعشرين من شهر محرم سنة ثمان وأربعين وستائة (قال)
 القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله رحمه الله تعالى ثم بعد ذلك اتفق
 الاشرار وملكوا وشهر الدرام خليل سرية الملك الصالح وحلقوا لها
 واستخلفوا الها جميع العساكر المصرية والثمانية ورتبوا الامير عز الدين
 اييك التركاني أن ياتك العساكر ثم انما تزيحبت الامير عز الدين اييك
 المذكور وكان مملوكا زوجها الملك الصالح وخلفت نفسها لمن الملك وسلمته
 اليه في آخر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فكانت مدة ملكتها
 ثلاثة شهور فقلب الامير عز الدين اييك التركاني للمذكور بالملك المعز
 واستقل بالملك من التاريخ المذكور (فكان) أقول من ملك من الترك
 فبقي في الملك الى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وسمائة ثم خنق
 في الخنق وكان السبب في ذلك انه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل
 لنفسه فبلغ ذلك زوجته شجر الدر فتغيرت عليه وتغير هو عليها أيضا وكرها
 لانها كانت غنى عليه بأنها التي ملكته مضر وسلمت اليه الخزان والاموال
 وكانت تتصرف في ملكه مصروفاتهم وتنهي ومنعته من الاجتماع بزوجته
 التي هي ام ولد لغيره الا ان علي حتى ألزمته بطلاقها فالتصقن اليه فتمت ملكه
 ونزل الى مناظر الوقوف فظن بها أن ياملفي عنت اليه من حلف عليه وتلفظ
 بهوسكن فظنهم فطلع اليه الملقحة وكانت قد اغتبت اليه من يشهد ويخل بالامام

ليلا فدخلت اليه ومعه خمس خدام فأخذ بعضهم ياتيه ويضعونهم بمضايقه
 فاستغاث بشجر الدر فقالت لهم اتركوه فأغلظ لها بعضهم في القول وقال
 لها متى تركناه لا يبقى عليك ولا علينا ثم قتلوه في السرايخ المذكور (وتملك)
 بعده ولده الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز وقبض على شجر الدر
 ودخل بها الى امه فقتلها بالقباقيب الى ان ماتت وورثها في الحسنه في عريضة
 على باب القلعة وبعد أيام دفنت في تربتها فكانت مدة ملك المعز سبع
 سنين الاثلاثة أشهر واما ثم ولي الملك بعده ولده الملك المنصور نور الدين علي
 فبقي في الملك الى سنة سبع وخمسين فاستولى عليه (الملك المظفر)
 سيف الدين قطن في هذه السنة ونشأه وملك بعده وبقي في الملك الى ذى
 القعدة من سنة ثمان وخمسين ثم قتل بالقصير بالقرب من العقولة بدرب
 القاضي بعد كسره اثنا بعين جالوت ودفن بالقصير رحمه الله تعالى (ثم
 ملك) بعده الملك الظاهر بيبرس في الشهر المذكور ودخل الى مصر واستقر
 في الملك الى سنة ست وسبعين وسقاة ثم مات بمشق في السابع والعشرين
 من محرم وتولى بعده (الملك السعيد) ناصر الدين بركة فبقي في الملك الى سنة
 ثمان وسبعين ثم خلع وملك بعده أخوه (الملك العادل) سلامش بن الملك
 الظاهر وكان صغيرا عمره سبع سنين وعمل نيابته الملك المنصور سيف
 الدين أبو المعالي قلاوون التركي الصالح النجدي الالقي وحلف له الامراء
 معه وذكر معا في الخطبة وضربت السكة بوجهين وجهه لسلامش
 الملك العادل ووجه لقلاوون فبقي الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خلع
 (واستقل بالملك) السلطان الملك المنصور وذلك في رجب سنة ثمان وسبعين
 وستمائة واستمر في الملك الى ان توفي رحمه الله تعالى في سادس ذى القعدة
 سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت دولته احدى عشرة سنة وأربعة
 أشهر وكان قد عهد بالملك في حياته لولده السلطان الملك الصالح علي وخطب
 له معه فأدركته المنية وهو شاب فتوفي في حياة أبيه رحمه الله تعالى في شعبان
 المذكور سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أخوته غازية خاتون زوج

السعيد بن الملك الظاهر بشهور ودفعنا عند اتمهما في تربة بين مصر والقاهرة
والسراج الوراق فيه قصيدة يمدحه بها منها قوله

لقد عفى في سلطانه وجماله * فقلته ملك فبهما قد تعففا
وأعرب في تصنيف افعاله التي * وروينا بها عنه الغريب المنصفا

(ثم) ملك بعد الملك المنصور ولده (السلطان الملك الاشرف) صلاح الدين
خليل في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة والده الملك المنصور
واتفق انه خرج الى الصعيد ونزل بأرض الحمامات فلما كان وقت العصر
وهو بتروجه حضر اليه نائب السلطنة الامير يدرأ ومعه جماعة من
الامراء فأحاطوا به ولم يكن معه سيف ولا أحد من عماليكه فبادر اليه يدرأ
وضربه بالسيف فقطع يده فصاح به حسام الدين لاجين وقال له من يريد
الملك تكون هذه ضربة وضربه على كتفه ضربة سقط منها الى الارض
وتركوه في البرية طريقا شرا

فلم تعد لاي صاحب عن الاسي * وعينا على صرف الزمان وساعدا
ألم تزي باليث الشرا قد تناهشت * ذئاب الفلامنه ذوا عا وساعدا

(وكان) ذلك في العشر الاول من المحرم سنة اثنين وتسعين وستمائة
وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام وكان من أبناء الثلاثين
رحمه الله تعالى ثم ملك بعده أخوه (السلطان الملك الناصر) ناصر الدنيا
والدين محمد بن المنصور قلاوون الابن الصالح وجلس على سرير الملك
في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة فبقى في الملك الى المحرم سنة
أربع وتسعين ثم خلع وتولى بعده (الملك العادل) زين الدين كتيبغا
المنصوري واستمر في الملك الى شهر المحرم سنة ست وتسعين وستمائة (ثم
ملك) بعده الملك المنصور (حسام الدين لاجين) المنصوري وأقام في الملك
الى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة فهجم عليه جماعة من
الخفاكية في ليلة الجمعة وهو قاعد يلعب بالشطرنج مع أحد جلسائه فقطعوه
بالسيوف وقضى الله تعالى فيه أمره ثم اتفق الرأي على احضار الملك

الناصر من الكرك فعاد الى ملكه واستمر في الملك من سنة ثمان وتسعين
 وستمائة الى سنة ثمان وسبعمائة فاضطربت احوال مملكته وخشى على
 نفسه فأظهر أنه عازم على التوجه الى الحج الشريف فلما تأهب لذلك وصار
 في أثناء الطريق عرج الى الكرك وأقام بها وثني عزمه عن المسير الى الحج
 وذكر أن قصده الانقطاع والتخلي عن الملك وأمر من كان معه من
 الامراء بالعود الى الديار المصرية فلما رجعوا اتفق الرأي على أن يكون
 بيبرس الجاشنكير سلطانا وسلازنا بباغنه فجلس بيبرس على سرير الملك وسمى
 نفسه بالمظفر فأقام في الملك أحد عشر شهرا (فلما كان) يوم الثلاثاء سادس
 عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة تسع وسبعمائة اضطربت احواله
 وبلغه أن الملك الناصر عازم على التوجه من دمشق اليه لانه كان قد توجه
 اليه جماعة من أمراء المصريين الى الكرك وساروا به الى دمشق فانتظم
 حاله وعزم على العود الى ملكه فلما تحقق الملك المظفر بيبرس ذلك أخذ جميع
 ما في الخزائن من الاموال وتوجه الى جهة اسوان فلما كان يوم الخميس
 الثاني من شوال وصل السلطان الملك الناصر من دمشق الى مصر وجلس
 على سرير الملك في اليوم المذكور وقت الخوان وحلفت له العساكر وانتظم
 حاله وأمر به ادراس وجماعة من الامراء بالتوجه الى الملك المظفر بيبرس
 فتوجهوا اليه فاتفق معهم على أن يدخل تحت طاعة السلطان الملك الناصر
 ويعطيه صهيون واعمالها فلما حضر أودعه الاعتقال وأذاقه النكال
 فانقلب الدست عليه ورأى قبل موته من دموعه غسله بعينيه (وكان)
 مولد السلطان الملك الناصر في الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر
 المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة وتوفي يوم الاربعاء تاسع عشر ذي الحجة
 سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن ليلة الخميس بالمدرسة المنصورية بين
 القصرين وأُتزل على والده الملك المنصورة لا ورون رجهما الله تعالى وكانت
 مدة اقامته في الملك في النوبة الاولى والثانية والثالثة نيفا وأربعين
 سنة (السلطان الملك المنصور أبو بكر) ابن السلطان الملك الناصر محمد بن

فلاوون جلس على سرير الملك يوم الخميس العشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ثاني يوم وفاة والده الملك الناصر المذكور فأقام في الملك شهرين وأياماً قلائل ثم خلع في العشر الاخير من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة (أخوه السلطان الملك الاشرف بك شرف الدين) ابن الملك الناصر جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك المنصور في أواخر شهر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكان عمره يومئذ ست سنين تقريل فأقام في الملك الى يوم الاحد تاسع شوال ثم خلع ووفى سنة ست وأربعين وسبعمائة في أيام أخيه الملك الكامل شعبان والله أعلم بعونه كيف كان (أخوه السلطان الملك الناصر) شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الاشرف بك في عاشر شوال يوم الاثنين سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكان قد قدم من الكرك فأقام بالملك بمصر أربعين يوماً ثم رجع الى الكرك ولم يزل هناك حتى خلع في يوم الخميس ثاني عشر شهر ربيع المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وقتل في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة فكانت مدته الى ان خلع واقيم الملك الصالح سنة أشهر (أخوه السلطان الملك الصالح) عماد الدين ابو القداء اسمعيل ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الناصر احمد في يوم الخميس ثاني عشر ربيع شهر الله المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فأقام في الملك الى أن توفي في سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وأياماً (أخوه السلطان الملك الكامل شعبان) ابن الملك الناصر جلس على سرير الملك بعد أن دفن أخوه الملك الصالح خلفت له أركان الدولة يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول الشيخ جمال الدين بن نباتة حين ولايته الملك في التاريخ المذكور

طلعة سلطاننا سبقت * بكامل السعد في الطلوع

فأعجب لها كيف منه أبدت * هلال شعبان في ربيع
 (أخوه السلطان الملك المظفر حاجي) ابن السلطان الملك الناصر محمد
 جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الكامل في مسهل جمادى
 الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فأقام في الملك إلى ثاني عشر
 شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ثم خلع وانتقل
 إلى رحمة الله تعالى وكانت مدته سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً
 (أخوه مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو المحاسن
 حسن) ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جعله الله تعالى وارث
 الأعمار على المنار محرراً لا تكتفه الأبرار جلس على سرير الملك
 بكرة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان المعظم سنة ثمان وأربعين
 وسبعمائة بعد خلع أخيه الملك المظفر وضربت له البشارة وحضر في البشارة
 إلى الشام المحروس الأمير سيف الدين أسبق الحمودي السلاح دار فصقت
 من دمشق أنهارها السبعة وأصبحت جهتها مباركة الطلعة وأنشق
 زهر ريويتها وألف ورقص غصن بانها وتقصف وأخذت الأسواق
 في الزينة وبرزت من جواهر مسموعة كل درة ثمينة فخرجت الناس
 لربوتها يهرعون وأقاموا في الفرح سبعة أيام قليلاً من الليل ما يجمعون
 وهي إلى الآن تدعو لمولانا السلطان بالسنة ملاكها وعمالها
 وترقب أخباره السارة يعيون شبائكمها

(خاتمة الباب وجميع طائره المستطاب) *

(أولها) أقول قد تقدم أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون والد
 مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره كان ممن نصره الله تعالى على من بغى
 عليه لأنه كان يقال ما أعطى البقي أحداً شيئاً إلا أخذ منه أضعافه وكان
 يقال ما اجتمع الملك والبقي على سرير الإخلا وكان يقال الملك الحازم يئال
 غرضه من عدوه بأربعة أشياء باللين والبذل والمكيدة والمجاهرة بالعداوة
 في آخر وقت إذا رأى الفرصة كما اتفق للملك الناصر رحمه الله تعالى ومثال

هذه الاشياء الاربعة التي ذكرتها من الخراج الذي يخرج في بدن
الانسان فان علاجه في أول مرة التحليل فان لم ينفع فالتلين والانضاج
فان لم ينفع فالطب فان لم يكف فالكى وهو آخر العلاج ولهذا قيل آخر
الطب الكى فان استعمل أحد هذه الاشياء الاربعة المذكورة مكان
الآخر كان ذلك فسادا في التدبير بل يستعمل على الترتيب المذكور والى
الله تعالى عاقبة الامور (ثانيها) الملك الحازم ينال غرضه من اعيادته
بالصبر لان الصبر مطية لا تكبو قال بعض العلماء بسير الملوكة ان العصفرة
الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفرس كان المكتوب فيها كما ان الحديد
يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر (ثالثها) صبر
الملوك عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وغرمتها العفو القوة
الثانية قوة السكالا والحفظ وغرمتها عمارة المملكة القوة الثالثة قوة
الشجاعة وغرمتها في الملوك الثبات في حالة الحرب ولا يراد من الملك الاقدام
على المكافأة فان ذلك من الملوك طيش وتغريروا بما شجاعة الملك ثباته حتى
يكون قطبا للبحار بين ومعتلا للمنزعين ولهذا انكر بعض اهل زماننا على
سلطان بلادنا أمير المؤمنين ابي الحسن الزينى سلطان الغرب رجه الله تعالى
لانه كان يقتحم الهيجا بنفسه ويلحق في الحرب يومه بأمره فهو وان كان
فارسا كرادا وخلص بقائم سيفه مرارا فانه ليس المخاطر بمحمود وان سلم
(رابعها) قال بزرجمهر علامة الظفر بالامور المستعصية المحافظة على الصبر
وملازمة الطلب وكتمان السر ومن كلام الحسن البصري جربنا وجرب
من قبلنا فلم نر شيئا نضع واجود من الصبر ولا أضمر من فقدته به تدوى الامور
ولا يدوى هو بغيره (خامسها) قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ورضي
عنه أو صيكم بنحس لو ضرب بتم اليها آباط الابل كانت لذلك أهلا لا يرجون
أحدكم الاربعة ولا يخافن الاذنب ولا يستحيين أحدكم اذا سئل عما لا يعلم ان
يقول لا أعلم ولا يستحيين أحدكم اذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه وعليك بالصبر
فان الصبر من الايمان كالرأس للجسد ولا خير في جسد لا رأس له ولا في ايمان

لا صبر معه (سادسها) عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها أنها قالت
لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال الحرث بن أسد المحاسبي لكل
شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر
مر لا يهزعه الاخر وما أحسن قول بعضهم

إذا حل بك الأمر * فكن بالصبر لو أذا

والأفانك الأجر * فلا هذا ولا هذا

(سابعها) قال أبو العباس كان لي خصوم ظلمة فشكلتهم إلى أحمد بن أبي دؤاد
القاضي فقلت قد تطافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم
فقلت إن لهم مكرما فقال ولا يحمي المكر النسي الأباهل فقلت انهم كثيرون
فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

الباب الخامس

في ذكر طرف يسير من سيرة مولانا السلطان أعز الله أنصاره وسيرة اخوته
وأبيه وعه الملك الصالح والملك الأشرف وجدته الملك المنصور قلاوون

(أقول) ان السلطان الملك المنصور قلاوون تسلطن بعد خلع الملك العادل
سلامش ابن الملك الظاهر وصفاله الباطن والظاهر فتصرف في البلاد
عرضا وطولا وكانت له في معرفة النظر في الكشف البد الطولى وله في ذلك
الغرائب والعجائب فهو بمن تجنب السبع الموبقات وأكثر من الفتح
والفتوحات فكسر التتار سنة ثمانين وترك القرى من جيشه في حلقة التسعين
وله في القاهرة الاوقاف المبرورة والمدرسة المشهورة والبيمارستان
الذى هو من حسنات الزمان وتحتاج اليه الملوك ويفتقر اليه الفقير
والصاعول فهو عون الفقير وجبر الكسير ولا سيما في هذا الزمان الذى
نظر الله تعالى اليه وجعل الناظر فيه من أجرى اغييات على يديه المقر
الأشرف السيفى صرغمش رأس نوبة الملكى الناصرى أعز الله تعالى
أنصاره

أمير محكم التدبير طب * ملي بالطعام وبالطعام

خبر بالغات ومن عراها * سليل الترك يعرف بالسان
 أتاك عسكرا امراء يدو * لنا آتو به قبل السنان
 له وجه أثار البدر منه * قلبه يستمد النيران
 حكاه البدر في حسن ولكن * يفوق البدر بالشيم الحسان
 وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدا
 كما بين الثريا والثرى لا * كما بين الرعان الى المحان
 انصاره اليماني برق وبل * رعا الله من برق يمانى
 فكم أجلى به ظلماء خطب * وجاء من الضياء بما كفانى
 دمشق النجار عزيز مصر * يمانى الجود صني الاوانى
 ترى الرمدي اذا ما شاهدوه * ضياء في العمون وفي العيان
 فكم قرت لهم عين وأمسى * لنا طر كل عين ناظران
 يسابق فعل هذا قول هذا * فكل سابق بالخير ناني
 فهذا بالسياسة والايدى * وهذا باليدين وباللسان

هذا مع ما أنشأ المقرئ السني المذكور صرف تعالى عنه عظام الامور من
 المدرسة المعظمة على مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت
 الكوفي رضي الله تعالى عنه فانتمى اليه أحسن الانتماء وامست مدرسته
 تنسب الى أبي حنيفة وفقهه أصلها ثابت وفرعها في السماء فلا غروا ذحوث
 بسكنها سكينه وسعها واصبحت بطريفة الشيخ قوام الدين في العلم لا تزل
 فيها عوجا ولا أمنا فهو خاتم السنة الشريفة والاخير الذي لو أدرك الصدر
 الاقول لقبل أبو يوسف أبو حنيفة فאלله تعالى يتقبل دعاء القاعدهم اللواقف
 وبضاعف حسنة مضاعفة الحبة والله يعضاعف

فلها به فضل على الاقران * ما بان في الاغصان فضل البنان
 قد انتب الترخيم في محرابها * زهرا كدر قلاند العقيان
 فكأنه كسرى أنوشروان قد * وضعوا عليه التاج في الايوان
 ولم تب وأبو حنيفة شيخها * ما شبت بشقائق النعمان

حريطوف عصر بحر علومه * حتى كان الناس في طوفان
 ينشئ اليه العلم فهو زمامه * وابو حنيفتنا الامام الثاني
 وغدا في البحث كل طريقة * نسبت الى التحقيق والاتقان
 (السلطان الملك الصالح علي) على الهمة حسن العمة معدود في نجباء
 الابناء وابناء النجباء عهد ابوم الملك المنصور اليه واعتمد في تدبير المملكة
 عليه فمات بعد ان خطب له معه على المنابر ونطقت براسمه الشريعة السنة
 الاقلام في افواه الحماير وقال فيه محيي الدين بن عبد الظاهر من جله كتاب
 كتبه على لسان آية الى بعض الثواب ونحن بحمد الله تعالى حرنا بالصبر
 المثوبة الباطنة والظاهرة وكان من غرضنا ان نجعله ملكا في الدنيا فجعله الله
 ملكا في الآخرة (السلطان الملك الاشرف خليل) كان لينا هاما وبطلا
 ضرغاما افتخ مملكة بالجهاد وتمهيد البلاد فنظف الساحل وقطع عن
 أهله الواصل وصاد فمناخ من جنين قاته ~~ككا~~ وصيدا وأعد لجاراتهم
 ومباراتهم - مسابقات وعدا علبدا فتسور السور على أهون صور وهجم
 البيوت على أهل بيروت ونال الغرض الاسنى من أهل بهسنا فاستد
 بهم اباب الشرحين ففتح وتلا بعدها على قلعة الروم الم غلبت فأفنى
 أوقاته في الحروب وأخذ بئارا بن أيوب ولا سيما حين فتحها وذلك
 أرضها بسنا بك خيله دكا دكا فهدم أسوارها وأسر أسرارها وقتل
 علوجها ورعى مروجها ففرح به السلون واتصروا وقطع دابر القوم
 الذين كفروا وكان رحمه الله مع ما فيه من المبادرة حسن النادرة يحب
 الغرياء ويطارح الادياء * وفيه يقول القاضي محيي الدين بن عبد
 الظاهر يصف فضله الباهر ما رأيت ولا سمعت بأسبق من ذهنه الى الفهم
 ولا أدرك منه لما يزيل الوهم ولقد كتبت عنه واستكبت فاعلم على
 مكتوب قط الا وقرأه جميعه وفهم أصوله المكتوبة وفروعه لايل
 واستدرك على وعلى الكتاب وخرج أشياء كثيرة معه فيها الصواب وذلك
 بحسن تعطف وتلطف ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعظم في نفسه

في آخر وقته الى ان صار يكتب في موضع العلامة (خ) اشارة الى الحرف
 الاول من اسمه ومنع كتاب الانشاء أن يكتبوا لاحد من الامراء والنواب
 الرعيي وكان يقول من زعيم الجيوش غيري وكان يؤخذ على جل الجمل من
 القمح خمسة دراهم مكسنا في باب الجاية بدمشق فأول ولايته وردت منه
 مساححة باسقاط ذلك وبين سطور المرسوم بخطه بقلم العلامة ولكن كشف عن
 رعاياها هذه الظلامة ونسجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة بيت مفرد
 وأزرق الصبيد وقبل ايضه * وأول الفيت قطري نهمل
 واليه تنسب الاشرفية التي يقلعة الجبل المحروسة التي هي الآن كانه الله
 في أرضه ومقل سنة العدل وفرضه والسر في السكان لا في المنزل قد
 اصبحت وعلى وجود خدامها الحسن أشراف ولا ذان شرافتها بين النجوم
 بمصر أقراف فالزهر ازهارها وجد اول نهر المجره انهارها والبروج قصورها
 وهالة القمر سورها والسعود أخبيتها وفريقها وسهيل الى صلة الارزاق
 طريقها وحاجب الشمس اميرها وشيخو شيخ رأيها ومشيرها (شعر)
 شيخوحي جيرانها واجارها * وعلايته منته سهلا جارها
 شيخو في القيان ان هي الوحى * أطنى فوارسها واضرم نارها
 شيخو بيت البرق خلف جواده * يجري ولكن لا يشق غبارها
 شيخو منا جله صواره التي * حصدت بها اعداؤه أعمارها
 شيخو تخاف الاسد منه فاصبحت * مصر وقد أخلت بها اوكارها
 شيخو علت درجانه بمنارة * علت النجوم وحدثت أخبارها
 شيخو في القيان سحب نواله * أرخت عليه من الحياء إزارها
 فله ما بناه من الجامع الذي هو انواع العلوم والمحاسن جامع (شعر)
 ومدرسة للعلم فيها مواطن * فشخونها فردوا ينار جمع
 لثبات منها في القلوب مهابة * فواقها لث واشياخها سبع
 قدأ كثر بها المواهب وسلك فيها يجمع الأئمة الاربعة أحسن المذاهب
 فازاح بعاليهم العلل ومزج الفقهاء بالصوفية فجمع بين العلم والعمل

فأجرها عند الله أفضل وذاتها بالشيخ اكمل وكيف لا وهو
 شيخ الى سبيل الرشاد مسلک * وطريقه في العلم ما لا يجهل
 شيخ يحسن شروحه ويبيانه * ما بات بالمفتاح باب يقفل
 شيخ تجر في العلوم فني رأى * بجزا يسوغ لوارديه المنهل
 شيخ علمه من المهابة رونق * كالسدر لكن وجهه مهمل
 شيخ له في الطالبين مسائل * في العلم عن ليس يسأل يسأل
 شيخ تقدم في العلوم لانه * ان عدأرباب الفضائل أول
 ما قبل هذا كامل في ذاته * الا وقلت الشيخ عندي أكمل
 فآله تعالى يشيد أركانه ويؤيد سلطانه ويسط ظله القليل ويكافئه عن
 حوض السبيل بالسبيل ليصبح باجر الظمان في امان ويدخل الجنة
 مع الصائمين من باب يقال له الريان (السلطان الاعظم الملك الناصر محمد)
 كان ملكا مهابا وجوادا وهابا لمقوة بطش وباس ومهابة في قلوب الناس
 قد حلب اسطر الدهر وجرى ذكره من النيل الى ما وراء النهر وانتشر
 ذكره في الآفاق وأصبح له يته نسب عريق في العراق طالما ضرب مع
 التتر المصاف وقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف فأذا قهم الذكالك وكفى
 الله المؤمنين القتال فهو من خدمته السعادة ونال من أعدائه ما أراد
 وزياده امسك الى أن مات ما ينيف عن مائة وستين أميرا وكان يقتص
 الشارد ويصطاد الغزال وهو قاعد وكان رحمه الله يحب ممالكة ويبالغ
 في اكرامهم ويتغالى في محبتهم وانما هم فكان يذل في أعنانهم النقود
 النضة وينفق عليهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والله جارا لله
 حيث يقول
 فان وجوه الترك والله جاراها * بدور على امثالها ينفق البذر
 فعظموا في أيامه وتخلوا في انعامه فلمنهم الامن حسنت آثاره وبني
 المدارس والجوامع فانتشر العلم وارتفع مناره
 ليس القتي بقي لا يستضاء به * ولا يكون له في الارض آثار

ولاسيما ما أنشأه المقر السيفي الملكي منجك الناصري وزير الديار المصرية
كان كافل الممالك بالملكة الاطرا بلسسة الآن من الجامع الذي جمع
الحاسن واجتمع بصهر يحبه ما غير أسن كم أطلعت زهر قناديله نجما وكم
مشيت فيه وان كنت أحب الصالحين ولست منهم على الماء والمرء يصلحه
القرين الصالح والخانقاه الذي تشرق من طلعة الصوفية بالعلم والعمل
وأصبحت كأنهم من المنقطعين الى الله تعالى في رأس جبل وهي الآن
مما ذكرت بسكانها أهل وبلا دي ذكرى حبيب وأصبح لي بهابين الصوفية
حظ ونصيب فأنا وان كنت شيخهم خادمهم على الحقيقة وسالك
الطريق أمامهم فلا غرو اذا تكلمت على الطريقة فقلت

أرى معة التوحيد أعظم منة * على غيظ جهال الوري التنوية
فأشهد أن الله لأرب غيره * وأن رسول الله خير البرية
ومن مذهبي حب النبي وآله * وأصحابه والتابعين الاثمة
ولم أخش في أثناء قولي دسانسا * فباويل من أمسى من الحشوية
ولو كان هذا موضع القول أظهرت * بدائع تظلي عنهم كل بدعة
ويشت قول المحدثين بأسرهم * بأبيات نظم كالخصون المنيعه
تري الهمز فيها مثل ورق حاتم * وقد أعربت عن ألسن أعجمية

فيا لها من خانقاه تشرق قناديلها في كل زاوية ويعجز عن وصف صهر يحبه
صريع الدلاء وحاد الراوية فكم فيها للصوفية من خلوه وكم لهروس
منارها من جلوه فالله تعالى يضاعف للواقف والقاعد بها الحسنات
ويرفع لسان منارها الدرجات ويكثره في أمة صاحب الكونز ويقتر
عينه بالصهر يخرج يوم العطش الاكبر ويروي سيوفه من دماء عدو الدين
الخذول ويتقبل فيه دعاء المملوك حيث يقوم ويقول

أمنجك سل في الاعداء بترك * ولا تترك من الجهال بترك
فباع الشر منك اليوم شبر * فدخلت أهل الزبغ فترك
وصلب في جذوع النخل منهم * لينكسر الصليب اذا وبتك

فكم سكنت من خفقان قلب * اذا ما قيل جيشهم تحرك
فادركت المعالي بالعوالي * ولكن فضل جودك ليس يدرك
نجودك حول شاطئ البحر يجري * فيا لله فيسه ما ابرك
وقد أوحشت مصر احين قالت * تولى الله حيث حلت نصرك
(الملك المنصور) أبو بكر رحمه الله تعالى كان أبوه الملك الناصر قد نص
عليه واسند الوصية بالملك اليه وذلك بحضرة قوصون وبشتاك
وبجاعة من الامراء الاتراك فما اختلف عليه اثنان ولا قيل هذان
خصمان فسار سيرة حسنه وجلس على سرير الملك وقد ناهز العشرين سنه
فولى من ولى وعزل من أدر وولى فبسط العدل واكثر البذل وأجرل
العطيه وأحبته الرعيه وعامل خاصكيه آييه بالمعروف وبذل فيهم
الالوف بعد الالوف فقبل سارا أبو بكر سيرة العمرين وطار الخبر بعلو
همته الى النيرين فلم يكن الارثيما استد ساعده وتهدت قواعده
اذ سولت له قرناؤه وخانه الدهر وابناؤه فنسبوه بركوب البحر الى
الغوص مع الخائضين وشهدوا وما شهدنا الا بما علمنا وما كالأغيب حافظين
يت

ومن الذي يجوم من الناس سالما * وللناس قال بالظنون وقيل
وقد علم الله تعالى تحريف ذلك القول وضعف روايته من تلك السنة الى
هذا العام فلا حول فلم يكن الا كسنة من النوم أو يوم أو بعض يوم
اذا خذ بفته وقيل كانت ولاية أبي بكر قلته فخرج سابع سبعة من اخوته
الى قوص وفقد هناك شخصه الكريم على الخوص فاصبح وقد أضمرته
البلاد وليس انتقدته حتى الخطيب السواد فاغض هناك جفن طرفه
المتنبه وكان ذلك آخر العهد به رحمه الله تعالى (الملك الاشرف بكك)
تصرف في الاحكام صغيرا وأوفى على صغرسنه ملكا كبيرا فكان
سابورى الولاية صغيرا الى الغايه لاجرم انه جرى عليه ما يشيب به
الوليد وقالت الابام لمكس مراده انك لتعلم ما تريد فخذل بعد أخيه

المنصور وجرت عليه والله غالب على أمره أمور فانتصر أخوه الملك الناصر عليه ونزع الملك باليد القوية من بين يديه فلم يزل في أسر الاعتقال وتبه الانتقال الى ان الحق بعنه الاشراف وقد قدم على الخنسة وأشرف فترعت لفقده الاسنان قرع الاسننه وطار خبره في الآفاق فهينته له عصفورا من عصافير الخننه فباله من موروث اورث في القلب حرنا وجنى ورد من لاجنى عليه وربما عوقب من لاجنى (وقيل) وجرم جره سقها قوم * فخل بغير جانيه العقاب

وقال آخر

غيرى جنى وانا المعاقب فيكم * فكأننى سبابة المتندم
(وكان) قوصون فى أيامه مشير دولته ولسان مملكته فاستولى على الممالك وتصرف فى المملوك والممالك فامهل قليلا ثم أخذ أخذًا ويلا فقدم ولم يتفقه الندم ولحقت طرايطه الهجم فنهبت خانقاه وتكسكت لشوم رأيه وراياته فبطل زمره وطبله وخلان الخيول اصطبله فاستغنى به الحسود وأصبح عبرة فى الوجود وكيف لا وقد فارق الاهل والولد وأصبح فى الاسكندرية ورجله فى صفد ولم يزل بها سبع سبعة من الاهراء المعتقلين الى أن مضى فيهم حكم رب العالمين وفرغ زيت قنديلهم وأمر بجرؤحهم بعد تعديلهم فخلأ منهم المكان ودخلوا فى خبر كان (الملك الناصر) شهاب الدين أحمد كان أكبر اخوته سفا وأرجحهم فى العين وزنا فهو لينهم القالب وشهابهم الناقب وكان ابوه قد أخرجه الى الصكره وهو صغير السن فجعلها محط رحاله وكثانة سهامه ورجاله فأقام بها سبعة وأنشأ بها أنشآت عدة فلم يزل بها الى ان حدث بالشام مظالم وفعل الفخري مع نائب دمشق فعل الخية بظالم واتفق بعد ذلك لقوصون ما تقدم ذكره واشتهر بين الناس أمره فعند ذلك خطبت له عتقاء الممالك وطلب الى مدمر من هنالك فحضر بعد ثبوت ومهله ودخل المدينة على حين غفله فجلس على سرير الملك بعد خلع أخيه المذكور انفا وأمر بقتل

سبعة من الامراء المعتقلين بالاسكندرية ممن كان له عطف فوقع في دماهم
 بلسان السنان وقال حين اخذ بنار أخيه أبي بكر واثارات عثمان فلم يكن
 الا كروية الحبيب أو غيبة الرقيب أو غمرة حاجب أو مشقة كاتب اذكر
 واجعا الى الكرك التي هي تربة أترابه ومنارة منازل أحبابه بيت
 ركب الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وكان في أثناء ذلك قد أمسك أميرين أحدهما نائبه والاخر عضده وساعده
 فجعلهما عند وصوله الى الكرك مثله وقتلها مشرقه فأهمل جانب
 مساعده وأقبل على ما كان عليه من اللهو أيام والده فتفاقم الامر
 واختصم زيد وعمر وقاتلوا الخلفاء وخرجت الخوارج في الاطراف
 وتمرت بنو غير وقيل للخير فيهم لا خير ولا مير فأتبع الخوارج على الراعي
 وزرع رجاله ابن نفسه المزارع فقطفت الطرقات وكثرت السرقات
 واضطربت الاقوال وعظمت الازعاج والافوال ووقع المراء
 ونجاذبت الآراء وكثر الفساد وخرت البلاد قال الامر الى خلفه
 وولاية أخيه الصالح وكان ذلك من أكبر المصالح (السلطان الملك الصالح)
 عماد الدين اسمعيل كان من أجود الاخوه وأكبرهم حرورة ويخوه على
 شكله طلاوه وفيه خير وتلاوه اتفقت عليه الآراء بعد خلع أخيه الناصر
 وحلفت له العساكر ودقت له البشائر فعدل في الاحكام وعامل الرعية
 بالاكرام فاستمنت به البلاد وظابت قلوب العباد (فلو ترك القطا لبلاد
 لنا) فزال بولايته لباس وقيل لمطيب محاسنه (ماني وقوفك ساعة من
 من قاس) (وكان) أخوه الملك الناصر قد تحصن في الكرك وأخرج جمتهامن
 أخرج وترك فيها من ترك بيت

سعدوا ومورا لا تضر وآمن * ما ليس ينجيهم من الاقدار

فأمر بتجهيز العساكر اليه والتضييق عليه فأقبل اليه ابن صبح حين أذرب
 الظلام وكسيت رؤس الجبال عمامة الغمام
 غمام دجا مطراتقا * فأخط ودقه البلد المرها

هذا بعد ان دق النفير وجع العشير فأخلى الضباع وملاً بأهل البقاع
 البقاع وكثر بأهل السويداء السواد واكثر من الحجارين الذين تقبوا
 في البلاد ثم تكاثرت من بعده العساكر فاقبل من المصريين كل شجاع
 معتقل من ربحه بناسر فدبت في أثرهم الديابات وزحفت الزحافات
 فتأهب للقاهم واستقل جمعهم وهم ما هم جمع كثير وجهم غفير قدملائ
 شعوب قبائلهم الشعاب واصبحت المصريون منهم والشاميون عدد
 الرمل والحصى والتراب فاحدقت به حدائق العساكر واحاطوا بالقلعة
 احاطة السواد بالنظر فاستقبلت مناجيتهم عيون مراميهما في النظر
 وتلقته من سورها على رأى العامة بوجهه ابلط من الحجر فحجوا حين سكن
 الريح من خنادقها الهاوية وهجروا عن وصف قوارير نقطها وما أدراك
 ماهيه فسورها على شفاجر فهار وبروجها بين النجوم عالية المقدار
 فالتهم بينهم القتال وتكسرت النصال على النصال واخذت الفرسان
 والرماة في التمريك والتسكين وذبح من نزل به القضاء من الشباب بغير
 سكن فخن عليهم ظلام القبار واختلط ونزل على منجنيق الشاميين من
 منجنيقها الفضبان السخط فجعل منه القائم جذاً اذا وقيل له فلان كسر
 فقال شئ من هذا وشئ من هذا فوقع بعد الصصة في العطب وتلت عليه
 النار بتيدأبى لهب هذا والجو بظلام القتام ممتلى وابن صبح ينشد
 ألا أيها الليل الطويل الانجلي وتابع بالغ في القتال والتهريض ويوقع
 الناس من ربحه ونشابه بالطويل العريض بيت

فعلى التراب من الدمام مساجد * وعلى السماء من الهجاج مسوح
 فلم تزل الاعمار كالآوقات تنصرم ونار الحرب من سنة ثلاث الى سنة
 خمس واربعين تضطرم فحين أخذت الاموال في النقاد والنقوب في النفوذ
 واشرفوا على أخذها لان كل محاصر مأخوذ شككت القلعة الى ربهها
 ودخلت فكايه النفوذ الى صميم قلبها فبرزت متبرجات الابراج وأصبحت
 عيون مراميهما سريرة الاختلاج فحاسوا خللال الديار واقتلعوا من

وسط القلعة وسط النهار فلم يسعه والحالة هذه غير التسليم والقُدوم بعد
ذلك على رب كريم وكان قتلته في صفر سنة خمس وأربعين وسبع مائة
(السلطان الملك الكامل شعبان) كان الملك الصالح أخاه لأبويه فأُسند
الوصية بالملك اليه فجلس على سرير الملك بعد التبا والتى وعهد اليه
الخليفة كعهود أخيه التي دلت وكان شديد الباس صعب المراس ازرق
العينين طويل الساعدين محدد الانف يعتزم الرجال بالف استماله
حب المال واتبع من ديوانه وحفظته كاتب اليمن وكاتب الشمال فأخذ
القطيعة على الاقطاعات وأقام لذلك ديواناً قائم الذات فوقع في المهالك
وأنتكرت الناس عليه ذلك فخالف العواذل وقدم الاراذل فضعف
الامر واشتط وانحطت البازات وارتفع البط وكان قد خرج عليه
يلبغا كاتب الشام فشق العصا وخالف أمره وعصى وكان ذلك باتفاق
منه مع جماعة من المصريين وبعض الامراء الشاميين فشق ذلك عليه
وأمر بتجهيز العساكر اليه ف ضرب النفير وجذب العسكر المسير فحين ضاق
بهم متسع الفضاء ووردوا بثر البيضاء ورجع منهم الصادر والوارد
وجلوأ عليه جملة رجل واحد فحين رأى القبار نار وسل المبتار نزل من
القلعة بكمود صخر حطه السيل وقال لفرسه الادهم حين وقع في سوادهم
أهلك والليل فالتحم القتال بينهم واشتد وسقط في يده فأخذه قبضا باليد
(وكان) رجه الله كأخيه الملك الصالح لميل الى الحسنة وحب المولودات
من النساء طالما أخذت السمربله وسكن حب السوداء في سويداء قلبه
فخالف فيها عذ الاشقي وانشد احب لحبها السودان حتى يبت
البسما الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
ومن أحسن ما قيل في هذا النوع قول ابن قلاقس
وب سودا وهي بيضاء معنى * نافس المسك في اممها الكافور
مثل حب العيون فحسبه لنا * س سوادا وانما هو نور
وقال احمد بن بكر الكاتب

يامن فؤادى فيها * متيما لا يزال
ان كان الليل بدر * فانت للصبح خال

وقال الآخر

يارب سوداء تجلى * يحسنها الظلمات
ماذا يعيرون فيها * وكلها حسنات

وقال الآخر مضمنا

وسوداء الاديم اذا تبدت * ترى ما ما النعيم جرى عليه
وأهانا تطرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال الآخر

غنصن من الابنوس أبدي * من مسك دارين لي غمارا
ليل نعيم اطفال فيه * للطيب لا أشتهى نهرا

وقول الآخر

يا سودا يسبح في بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لخذ الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

وقال بعضهم ولطف

علقتها سوداء مصقولة * سواد عيني صبغه فيها
ما انكسف البدر على غم * وفوره الالحم ككها
لاجل ذا الازمان أوقاتهما * مؤرخات بلبالها

(السلطان الملك المنظر حاجي) جلس على سرير الملائكة بعد أن خيم المذخور
وجرت عليه بعد الامور امور هذا بعد ان أمر ونهى ونهر وضقت له
الايام وعقد صفوا الليالي يحدث الكدر فلم يزل ناعم البال خلى البلبال
الى ان مسك جماعة من الكبراء وأولاد الامراء فروع الصغير وقتل
الكبير فعامل الناس بالزجر والمدة وتجاوز فيهم ذباب سيفه الحد فحام
جام الحيام وذهبت بقية القوم الكرام بيت
فلم يبق الا من جاها من الطبا * لمى شفتيها والمضى الفواهد

فلما بلغت الروح التراقي وعمل عامل سيقه حساب الباقي سلب
القرار وطلب النار وأخذ من مشير القوم في تحريضهم وخرجوا الى
قتال بعضهم وفضيضم قنأه اقتالهم ونزل من القلعة الى نزالهم فلما
ترأى الجمعان اصطلم عليه الفريقان فدنا منهم حين دنا منه الاجل
وقيل لمن لام فيه سبق السيف العذل وكان في خلال ذلك قد اشتغل
بالطيور وعذل عن تدبير الامور والتهى عن الاحكام بلعب الحمام
بجعل السطوح داره والشمس سراجها والبرج مناره فأطاع سلطان هواه
وخالف من نهاه فبالغ في المراء وانتصب بكلام الوشاة على الاغراء

ما كلام الوشاة الا كلام * وحمام الاراك الاحمام

(آخر)

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حثين فانه من حمام
وما انظر في قول بعض البغادة مواليا

جيمات اراك الدوح ما اتين * يا ورق الاعناق كلما نحتن
هذا وائتن ازواجاً فلو كنتن * مثلي فرادى ويايم الله ما عشتن

(وقال آخر)

ولقد ألفت على الاراك حائلة * تدي فنون النوح في الانثان
ساويتها لما تساويناضى * كل ينوح على غصون البان

وقال المجنون

ولولم يرعنى الرانجون لراعنى * حاتم ورق في الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذاهوى * نوائح ما تجرى لهق دموع

وقال السراج الوراق

وورقاء أرقى نوحها * لها مثل مالى فواد صريع
تنوح وأكتم سرى وما * أبوح ودمعى لسرى مذبذب
كانا اقسما الهوى بيننا * فنها النواح ومضى الدموع

وقال القاضي محي الدين بن عتبة الطاهر رحمه الله تعالى

نسب الناس للجماعة حزناً * وأراها في الحزن ليست هنالك
خسبت كفها وطوقت الجيد * وغنت وما الحزين كذلك
وقال صفي الدين الحلي عفا الله عنه

وبشرت بوفاء النبل ساجدة * كأنها في غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لانتفك نائحة * كان افراخها في كفها ذبحت
وقال آخر

حجام الاراك ألا فاخبرينا * لمن تسدين ومن تعولينا
فشقت بالنوح منا القلوب * وابكيت بالنذب منا العيون
تعالى نقم مأتما للهموم * ونقول اخواننا الطاعنين
ونسعدكي لكي تسعدينا * فان الحزين يواسي الحزينا

(حكى) ان الامام فخر الدين الرازي كان جالسا يتكلم في بعض مجالس وعظه
فبينما هو في هذه الحالة واذا بيازي تابع حمامة ولم يزل خلفها حتى ألقت
نفسها على الامام فخر الدين ودخلت في كفه فانصرف عنها البازي فتعجب
الناس من ذلك وكان شرف الدين بن عنين حاضرا فقام وأنشد أبيانا
منها قوله

جاءت سليمان الزمان حمامة * والموت يلعب في جناحي خاطف
من نيا الورقاء أن محلكم * حرم وانك ملجأ للخائف
فأجازه الامام فخر الدين بألف دينار (مولانا السلطان الملك الناصر ناصر
الدنيا والدين أبو المحاسن حسن بن) حسن الذات سعيد الحركات له تهجد
وصيام ومحبة في النبي عليه أفضل الصلاة والسلام نعمته في النيل
الى السماء الرابع وسار سيرة حسنة كسيرة أخيه اسمعيل فهو بقية
السلف الصالح كيف لا وقد تجنب اللثم وعدل في الامم وأصلح بين الذئب
والغنم واقبى بأبيه في العدل ومن يشابه أبه فما ظلم وكان بهذا الوصف
الطائل أحق بقول القائل

لسنا وان كرمت أوائلنا * يمعلى الاحساب تشك

بنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

فلم تزل دولته ماشية وأمة الملك تقول لسرحه هل أتاك حديث الفاشية
فبدت لهم كرامات ثم يد لهم من بعد ما رأوا الآيات فغاب كالبدر
في صحابه ورجع كالسيف المسلول من قرابه فخفضت له الرقاب وضرب
بين الظلم وقلعته بسور له باب فأنشده الدهر * بغيرك راعيا عيب الذئاب *
فأزال عن القلوب الوجيل وأصبحت لموشحات مدائحهم زجل وأى
زجل وقالت قلعة المحروسة لسحب الارزاق يا سارية الجبل

غدا سلطانا ملك البرايا * رعا الله يعدل في الرعايا
حواصل عدل والده حواها * فأخرج من زواياها الخبايا
فيامل كالنفس الملهمة رأي * به يقضى اذا اشتبهت قضاي
لئن أمست نهري من عيوب * فقد كسبت بنا تلك العرايا
وان صلت سيوفك في الاعادي * رأيت تلك الصلاة من الخطايا
فمهلا في التهادي في الايادي * فقد حزن النهاية في العطايا
ووجهك حاز كل الحسن طرا * فهل خلقت خلقتك من بقايا

* (خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب) *

(اولها) الملك المعادل مكنوف بعون الله محروس بعين الله (حكى) ان عبد الله
ابن طاهر قال لبعض العباد الزهاد كم تبنى هذه الدولة فينا وتدم قال مادام
بساط العدل والانصاف مبسوطا في هذا الايوان ثم تلا قوله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وكان يقول) لاسلطان الابرجال
ولارجال الابعمال ولا مال الابعمار ولا عمارة الابعدل وحسن سياسة
(ثانيها) دخل شبيب على المهدي فقال احذروا يا امير المؤمنين من يوم
لا يله بعده واعدل ما استطعت فانت تجازي بالعدل عدلا وبالجهور جورا
وزين نفسك بالتقوى فانك في الحنن لا تجد احدا يعيرك زينه (وسئل) امير
المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما كان سبب توبتك قال كنت

أضرب غلاماً على فخذ في اذكار البله التي يكون حينئذ يوم القيامة فأثر ذلك
الكلام في قلبي (ثلاثها) قال سليمان بن عبد الملك لابي حازم بن النخعي حين
هذه الاثر فقال بشيئين قال وما هو قال لا تأخذ شيئاً الا بعقبي قال ومن
يطبق هذا قال من طلب الجنة وهرب من النار (رابعا) حكى الهمداني ان
سواد بالقي السلطان مكشاه السجوق وهو يركي فسأله السلطان عن سبب
بكائه فقال ابنت بطيخا بدر بهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة من الاثر
فأخذه وسقى وما لي حيلة فقال له أمسك واستدعي فراشا وكان ذلك في أول
قدوم البطيخ وقال له ان نفسي قد ناقت الى البطيخ فطف في العسكر وانظر
من عنده شئ منه فأحضره الى فذهب الفراش وطاف في العسكر ثم عاد
ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الامير فلان فأحضره وقال من
أين لك هذا البطيخ فقال جله به الغلمان فقال يا ريدهم الساعة فحضر وقد
عرف نية السلطان فيهم فهرجهم وعاد وقال لم أجدهم فالتفت السلطان
لصاحب البطيخ وقال هذا ملوكي وقد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين
أخذوا وجمعتك والله لن خلية لا ضربن عنقك فأخذه بيده وخرج من بين
يدي السلطان فاشترى الامير نفسه منه بثلاثمائة دينار فعاد صاحب
البطيخ وقال يا مولانا السلطان قد بعث المملوك بثلاثمائة دينار فقال او قد
رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة (خامسها) اقول وكان هذا
السلطان رحمه الله تعالى لهجا بالصيد حتى انه ضبط ما اصطاده بيده
فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار وقال اني أخاف الله
سبحانه وتعالى من ازهاق الارواح فقبر ما كلة وصاد به ذلك كلما
قتل صيدا تصدق بدينار (وخرج) من الكوفة لتوديع الحاج وشيعهم
بالقرب من واسط فصاد في طريقه وحشا كثيرا فبقي هناك منازعة من
حوافر الحمر الوحشية وقرون الطيلاء التي صادها في تلك الطريق والمنارة
باقية الى الآن وتعرف بمنارة القرون (سادسها) اقول على ذكر الصيد حكى
ابن قتيبة ان كثيرا دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك

بحق علي بن أبي طالب هل رأيت أعشق منك قال يا أمير المؤمنين لو أنشدني
بجفت أخبرتك قال أنشدك بحق الأما أخبرني قال نعم بينما أنا أسير
في بعض القلوات إذا أنا برجل قد نصب حبالا فقلت ما أجلسك هنا قال
أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالي هذه لاصيب لهم شيئا فكفينا
وبعضنا من الجوع يومنا هذا فقلت رأيت ان أنت جعك وأصبت لهم
شيئا تجعل لي منه جزأ قال نعم فبينما نحن كذلك اذ وقعت طيبة في الحبال
فخرجنا بتدريج فدرني اليهم فخلوها وأطلقها فقلت له ما جئتك على هذا قال
دخلتني رقعة لها لثبها بليلي وأنشأ يقول

أيا شبيه ليلي لا تراعي لاني * لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطقهم من وثاقها * فأنت الليلى ما حيت طليق

(سابعها) حكى صاحب زهر الأديبان الملك بهرام جور خرج يوما
متصيدا فقع له جار وحش فأبعه حتى صرعه وقدا انقطع عن أصحابه
فقرل عن فرسه يريد ذبحه ومزراع فقال له اسلك على فرسي وتشاغل بذبح
الحمار فحانت منه القاتنة قرأى الراعي يقطع جوهر عذرا فرسه وكان العذار
ياقوتيا فقول بهرام جور وجهه عنه وقال تأمل العيب عيب وعقوبة من
لا يستطيع الدفاع عن نفسه سقته والعص من أفعال الملوك وسرعة العقوبة
من أفعال العامة (فلما) رجع الى عسكره قال له الوزير أيها الملك السعيد
لما أرى جوهر عذرا فرسك مقلعا فبسم وقال أخذه من لا يرده ورأه من
لا ينم عليه فن رأى منك منكم صاحبنا فلا يطالبه * وعلى ذكرك الحمار
الوحشي حكى القاضى شمس الدين بن خلكان ان بعض الامراء اصطاد
بهاو وحش في سنة ستين وسماة فطعموه فسلم ينضج ولا أثر فيه كثرة
الوقود عليه ثم افتقدوا جلده فاذا هو مذكوع على أذنه بهرام جور قال وقد
أحضره الى قرايته كذلك وهنا يقتضى ان لهذا الحمار قرينان ثلثمائة
سنة فان بهرام جور كان قبيل البعثة الشريفة بمدة متطلعة وهو الوحش
نعمش دهر اطويلا والله أعلم

(الباب السادس)

في ذكر اتفاقات عجيبه واشياء غريبة اتفقت لمولانا السلطان أعز الله تعالى
انصاره ولبعض اخوته وأبيه وعمه الاشرف وجده الملك المنصور لم يسمع
بأغرب منها ولم يسبقني أحد الى التنبيه عليها على هذا الوجه

(أقول) مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله تعالى أنصاره وافق والده
في سبعة أشياء (الاول منها والثاني) انه وافقه في اللقب الخاص بالملك
واللقب العام لانه الناصر ناصر الدين والدين ووالده الناصر ناصر الدنيا
والدين (الثالث) انه ترك الملك وعاد اليه ووالده ترك الملك وعاد اليه
(الرابع) انه جلس على سرير الملك في المدة الاولى في رابع عشر الشهر
ووالده لما جلس على سرير الملك في المدة الاولى كان في رابع عشر الشهر
(الخامس) انه عاد الى الملك وجلس على سريرته في ثاني شوال ووالده لما عاد
الى الملك جلس على سريرته في ثاني شوال وهذا اتفاق غريب الى الغاية
(السادس) انه وزله متعم وب سيف ووالده كذلك (السابع) ان
والده أقام مدة بلا وزير ولا نائب ومولانا السلطان أقام مدة بلا وزير
ولا نائب (ومن غريب الاتفاق) ان الملك المظفر كحك ولي الملك وهو صغير
الى الغاية لان عمره كان خمس سنين وأشهرها وكحك لفظ تركي معناه بالعربي
صغير كانه لوحظ فيه حال التسمية انه يلى الملك وهو صغير فكان ذلك من
غريب الاتفاق (ومن غريب الاتفاق) ان أخاه السلطان الملك الكامل
شعبان كان قد حبس أخاه المظفر حاجي وضيق عليه وأراد ان يني عليه
حائطاً فانفق انهم مدتوا السعاط على انه يأكل ويجهزوا طعام أخيه حاجي
اليه لبأ كنه في السجن فلم يكن الا كلع البصر اذ خلع الكامل ودخل
فأكل طعام أخيه في السجن وخرج أخوه حاجي وجلس على سرير
الملك واكل طعام السعاط فسبحان مقسم الارزاق الفعال لما يريد لا يستل
عما يفعل وهم يستلون (ومن غريب الاتفاق) ان بعض الامراء كان السبب
في قتل الملك المنصور أبي بكر بعد اخر اوجه سابع سبعة من اخوته الى قوص

وهم الملك المنصور المذكور وأخوه رمضان ويوسف وشعبان وحاجي
 واسماعيل فلما قدم الملك الناصر أحمد من الكرك وتولى الملك أمر بقتل
 الأمير المشار إليه سبع سبعة من الأمراء المعتقلين معه في الاسكندرية وهم
 قوصون وبرسغا والطنبغا نائب الشام وجركق بن بهادر وغيرهم (ومن
 غريب الاتفاق) ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما عزم على
 التوجه من دمشق الى الديار المصرية وكان الملك المظفر بيبرس هو السلطان
 يومئذ فلما بلغه حركة الناصر وتوجهه اليه في عسكر الشام وجماعة من
 الأمراء المصريين الذين نفروا اليه اضطربت احواله وخلق نفسه من
 الملك في مصر في الساعة التي ركب فيها السلطان الملك الناصر من دمشق
 وذلك في الثانية من نهار الثلاثاء وهو من غريب الاتفاق فكانت هذه
 الساعة التي ركب فيها السلطان الملك الناصر كما يقال ساعة سعد ومنها
 استمر في الملك الى أن مات على فراشه في التاريخ المتقدم والله تعالى أعلم
 (ومن غريب الاتفاق) ما حكى عن الملك الاشرف انه كان جالسا في بعض
 الايام في الميدان والقراء بين يديه يقرؤون القرآن الشريف وكان والده الملك
 الناصر قلاوون يحاصر طرابلس فقال الملك نصره الله في هذه الساعة
 أخذ طرابلس وشاع ذلك عنه وملاء الافواه والاسماع فلم تحض الامسافة
 الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس في الساعة المذكورة فكان
 الامر كما قال وذلك لامر كشفه الله لذهنه الشريف وأطلعه الله تعالى عليه
 ان الملوكة نقيبة الازدهان (وحكى) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ان
 الشيخ الفقيه العالم شرف الدين البوصيري رأى في منامه قبل سير الملك
 الاشرف الى حصار عكا في شوال سنة تسع وثمانين كان قائلا ينشد
 قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صكا
 وساق سلطانتها اليهم * خيال تدل الجبال دكا
 وأقسم الترك منذ سارت * لا يتركوا للفرنج ملكا
 فأخبر بذلك جماعة منهم دوا ببعثته فسار السلطان الملك الاشرف في أثناء ذلك

ففضله الله تعالى على يديه فكان الامر كما قال ولم يترك لهم فيها ولا في بقية
الساحل ملكا واستقر ذلك بحمد الله تعالى الي يومنا هذا وفيه يقول القاضي
عبي الدين بن عبد الظاهر

يا بني الاصفر قد حبل بكم * نعمة الله التي لا تفصل

نزل الاشرف في ساحلكم * أبشر وامنم يصقع متصل

وقال شمس الدين محمد بن قانم فيه وفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب رجهما الله تعالى

ملكنا قد لقبنا بالصلاح * فهذا خليل وزا يوسف

فيوسف لاشك في فضله * ولكن خليل هو الاشرف

(ومن غريب الاتفاق) ما حكى عن وزير المصاحب شمس الدين بن السلحوس
بحمد الله تعالى ذلك انه لما صارت اليه الوزارة وتمكن فيها وارسل يطلب
آقاربه وأهل محبته ومودته من الشام فكلهم أجابه وحل أبوابه الاثنى عشر
واحدا من آقاربه فانه خاف على نفسه ولم يوافق على الحضور من الشام
بل كتب اليه يتيين وهما هذان

تثبت يا وزير الارض واعلم * بأنك قد وطلت على الافاعي

وكن بالله معصما فاني * اخاف عليك من نهش النجاشي

فاتفق ان الملك الاشرف قتل وعمل النجاشي وزا أخيه الملك الناصر
وأمسك ابن السلحوس وجميع آقاربه وأصحابه وأذاقهم النكال ولم يزل
يعاقب ابن السلحوس حتى مات فكان الامر كما قال (ومن غريب الاتفاق)
ما حكى عن الملك المنصور قلاوون انه خرج في بعض الايام الى قبة النصر هو
وجامعة من الامراء على شيبيل الفرجة وضربت له صواوين خفاف
فاستدعى بخراف من الرمان البداري فغرضها وقبلها وقبح منها خروفا
من أحصها أعضاء وفرق بقية الخراف على الامراء وقال ليقم كل واحد
منكم ويذبح خروفه ويشويه بيده مثل ما كنا نعمل في بلادنا واتي الاقل
ثم قام وذبح الخروف الذي اختار وشواه بيده فلما انتهى طلب الامراء

لبأكلوا معه ثم أخذ الكنف المين وأكلت الامراء بقية الخروف فلما اكل
 لحم الكنف جزده الى ان نقاه وتركه قليلا الى ان جف ثم قام فجعل يلوحه
 على النار برقى ثم أخرجه ونظر اليه وأطال فيه التأمل ثم نفل عليه وشبهه
 وألقاه من يده فسأله بعض الامراء عن ذلك بعد ان سكن غيظه فقال والله
 حاشاك قال عن هذا الصبي فبقي لا يخرج الى الشام فانه متى خرج اليها هرب
 وعمل فتنة كبيرة فلم يزل فبقي مؤخر اعنده بهذا السبب مدة حياته فلما مات
 وتسلطن بعده ولده الملك الاشرف ومات وتسلطن بعده لاجين بعد خلق
 الملك الناصر فاخرج قبيح نائب اعنه الى الشام فحرب بينهم اوحشة فهرب
 قبيح الى الشرق وعمل الفتنة العظيمة بمجي قازان وعسكر التار فخرى على
 المسلمين ما لا يمكن شرحه فكان الامر كما قال الملك المنصور رحمه الله تعالى
 (وكان) قبيح عثره الله في نفسه فتنة دهن ورد محبا ليوم مشوم قال القاضي
 محي الدين بن فضل الله العمري رحمه الله تعالى حكى لي قبيح المذكور بعد
 عوده قال لما تلاقينا نحن وأنتم تتعجب حيث لنا التار فهتم قازان بالهروب
 وطلبني ليضرب عني قبل ان يرجع لان خروجه كان برأي فقطعت لذلك
 فلما صرت بين يديه قال لي ايش هذا فاضربت له جوقا ثم قلت انا اخبر
 بأصحابنا وهم ليس لهم الاجل رجل واحد فالقازان يصبر ويصبر كيف ما يبق
 قد امة أحد منهم فثبت فكان الامر كما قلت وخلصت من يده (فلما)
 انكسرت ارا د ان يسوق عليكم فقلت انه متى ساق عليكم ما يبق منكم أحد
 فقلت القازان يصبر فان هؤلاء أصحابنا خباث وربما يكون لهم مكن وقد
 انهزموا مكيدة حتى تسوق خلفهم فيردوا علينا ويطلع الكمين وراءنا فوق
 حتى ابعدهم عنا فلولانا ما قتل منكم أحد ولولا انا ما يبق منكم أحد
 (أقول) وعلى ذكر الملك المنصور اخبرني جمال الدين يوسف بن يعقوب
 المقدسي قراءة من لفظه ونحن نسمع في مستهل شهر ربيع الاول سنة ثلاث
 وأربعين وسبعمائة بدمشق المحروسة قال اخبرنا شيخنا قاضي قضاة
 العساكر المنصور نور الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد القادر الصائغ

الانصارى الشافعى بقراءة عليه في يوم الجمعة الرابع والعشرين من ربيع
 الاول سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق
 المحروسة قال حدثني سيف الدين قليج بن عبد الله المالكى المنصورى وكان من
 خيار الجنود وعقلائهم وأدبهم وأفضلهم وله سؤالات حسنة في العلوم
 العقلية والاصول قال بعثنى الملك المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله
 تعالى الى ملك الغرب بتقدمة وهدية سنية فأقت عنده فجاءت رسالة الى ملك
 الغرب من بعض ملوك الفرنج الكبار المعادين للمسلمين انه بعث يطلب من
 ملك الغرب ان يشفع له في تزويج ابنه بعض بنات ملوك الفرنج وكان والدها
 منها ذاك الملك الغرب ومدعيًا محبته وكان الملك المستشفع به قبل ذلك معاديا
 للمسلمين عداوة شديدة ومؤذيًا لهم ولكن جلده هوى ولده على ان بعث الى
 ملك الغرب في ذلك فاحتاج ملك الغرب الى ارسال رسول الى ملك الفرنج
 بسبب ذلك فقال لي تذهب في هذه القصبة فتمنع فقال هذا فيه مصلحة
 للمسلمين والراى انك تذهب فيه فلم يبرح بي حتى ذهبت وأذيت رسالته الى
 ملك الفرنج وقضيت أربه منه وأقت عنده ملك الفرنج مدة فأعجبه حالى
 وأحببني كثيرا وعرض على المقام عنده مبقيا على دينى دين الاسلام وان
 يستطلقني من الملك المنصور ملك الاسلام فقلت لاسبيل الى ذلك أبدا فأجازني
 وأكرمني فلما أردت الانصراف من عنده قال لي اريد أن أتحدثك بأمر عظيم
 لا يحصل لاحد من المسلمين في هذا الزمان مثله فتعجبت من ذلك وقت من أين
 ذلك فأخرج صندوقا مضمنا بالذهب ففحصه وأخرج منه مقلة من ذهب ثم
 أخرج منها كتابا قد زال أكثر حرفه وقد الصق عليه خرقة حرير فقال
 أندرى ما هذا قلت لا فقال هذا كتاب نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أفضل
 ما صلى على أحد من خلقه الى جاتى قيصر ومازلنا توارثه ملكا بعد ملك
 الى الآن وكل ملك كان عنده حفظه وقد أوصانا أجدادنا من الملوك انه
 مادام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وان هذه الوصية تلقيناها من
 جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم

وتبارك

وتبارك به ولا يعرف أحد من النصارى هذا الا نحن ولولا عزتك وكرامتك
عندي ولتقتي بعقلك ودينك لما أطلعك عليه فأخذته وعظمته وتباركت
به ولم أقدر على قراءته لتقطع أجزائه ورفه من طول البلاء والعق وجرحت
بهذه الرسالة مهادة بين ملك الغرب والملك الذي بعث اليه ليستشفع به مدة
وكفى الله تعالى المسلمين شرهم

(خاتمة الباب وسجع طائر المستطاب)

(أولها) أقول ومن غريب الاتفاق الذي يغرط في سلك هذا الباب
ما حكاه الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه البداية والنهاية ان رجلا
بمكة شرفها الله تعالى بزعم ثيابه ليفتسل من ما زمرم وأخرج من عضده
دمج ذهب زنته خسون مثقالا فوضعه مع ثيابه فلما فرغ من اغتساله لبس
ثيابه ونسى الدمج ومضى وصار بعد ذلك الى بغداد وبقي مدة سنين بعد
ذلك وأيس منه ولم يبق معه الا شيء يسير فاشترى به زجاجة ليكسب فيه فبينما
هو يطوف به واذا به قد سقط عن رأسه فتكسبر جبهه فوقف يكي فاجتمع
الناس حوله يتألمون له وقال من جملة كلامه والله يا جماعة اخير لقد ذهب
مني من مدة سنين دمج ذهب عند بئر زمرم زنته خسون مثقالا ما باليت
لفقده كما باليت لتكسبر هذا الزجاج وما ذاك الا ان هذا جميع ما أملكه
فقال له رجل من الجماعة فأنا لقيت ذلك الدمج وأخرجه من عضده ودفعه
اليه فتعجب الناس من غريب هذا الاتفاق (ثانيها) حكى الشيخ عماد
الدين بن كثير في تاريخه المذكور ايضا مثل هذه الحكاية فيما ذكر ابن
الساعاتي سنة احدى وخسين وستمائة ان رجلا كان ببغداد وعلى رأسه
زبادى فاشفى فزلق فتكسرت فوقف يكي فألم الناس لفقره وحاجته وانه
لم يملك غيرها فأعطاه رجل من الحاضرين ديناراً فلما أخذه نظره فيه طويلا
ثم قال والله هذا دينارى أعرفه قد ذهب منى عام أول فستمه بعض
الحاضرين فقال له ذلك الرجل وما علامة ما قلت قال زنته كذا وكذا
وكان معه ثلاثة وعشرون ديناراً فوزنوه فوجدوه كما ذكر فأخرج له الرجل

ثلاثة وعشرين دينارا كذلك وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه
فتعجب الناس من ذلك غاية العجب (قالتها) حكى عن الامير عز الدين ايدمر
السنياني الدوادار انه أنشد القاضي تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن
الانير الحلبي كاتب السر الشريف عند ما خدم بديوان الانشاء في الايام
الظاهرة أول اجتماعه به ولم يكن يعلم اسمه ولا اسم آية قول الشاعر
كانت مساهلة الركبان تخبرني * عن أحمد بن سعيد أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت * أذنني بأحسن مما قد رأيت بصري
فقال له القاضي تاج الدين يا مولانا ما تعرف أحمد بن سعيد فقال لا والله فقال
الممولك أحمد بن سعيد فتعجبنا من غرابة هذا الاتفاق (أقول) البيهقي
المذكور ابن هاني الأندلسي ورواهما بعضهم بلعفر بن فلاح
(رابعها) حكى الشريف في شرح المقامات انه كان رجل بالبصرة يعرف
دواء ظلمة البصر فينتفع به الناس فأتته فأتته فأتته فأتته فأتته فأتته
ذلك الخليل بن أحمد فقال له نسخة فقالوا له نسخة لم نجد لها قال فهل له من
آية بعمله فيها قالوا نعم له آية يجمع فيها الخلطا قال فأوتوني بها فأحضرها
له فجعل يشمها ويخرج نوعا ونوعا حتى ذكر خمسة عشر نوعا ثم سأل عن جودها
وتقادرها فاعرفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه للناس فانتفعوا به مثل
تلك المنفعة ثم وجدت النسخة في كتاب الرجل فيها ستة عشر نوعا لم يعمل
منها الا خلطا واحدا (خامسها) حكى القاضي شمس الدين بن خلصان
في تاريخه قال أخبرني بعض الفضلاء انه رأى في مجموع ان بعض الادباء
اجتاز بدار الشريف الرضي بسمر من رأى وهو لا يعرفها فقرأها وقد أثنى
عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت بديباجتها وبقايا رسوخها تشهد لها
بالنضارة وحسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وطوارق
الحدثان وتمثل بقول الشريف

ولقد وقفت على ربوعهم * وطلولها بيد البليغ
فبكيت حتى ضج من لعب * نضوى ويلع بعدلى الركب

وتلفت

وتلفت عيني فذخفت * عني الطلول تلفت القلب
 فزبه شخص فمعه ينشد هذه الايات فقال أتعرف هذه الايات لمن
 فقال لا قال والله انم صاحب هذه الدار الشريف الرضى فتعجبنا من
 حسن هذا الاتفاق (ومثل) هذه الحكاية ما ذكر الحريري في درة الغواص
 في أوهام الخواص ان عبدة الجرهمي عاش ثلثمائة سنة وأدرك الاسلام
 وأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثني
 باعجب ما رأيت في عمرك قال مررت يوما بقوم يدفنون ميتا فلما انتهيت
 اليهم أغرو رقت عيناى بالدموع فقلت بقول الشاعر وأنشدت أبياتا منها
 وبينما المرء في الاحياء مغشيط * اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصير
 يسكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحى مسرور
 فقال لي رجل منهم أتعرف قاتل هذا الشعر فقلت لا فقال ان قاتله هذا
 الذى دفناه الساعة وأنت الغريب الذى يسكى عليه ولا تعرفه وهذا الذى
 خرج من قبره هو أمس الناس به رحما وأسرتهم بموته فقال له معاوية لقد
 حكيت غريبا (سادسها) قال أبو اسحق بن خفاجة الاندلسى كنت أنا
 وعبد الجليل مارين في بعض الطرقات فرأينا رأسين من رؤس الفرنج قد
 قطعوا وجعلوا على رمح عال فقال لى هبل لك أن تعمل فيهما شيئا فقلت
 في الحال

ألا رب رأس لا تراول بينه * وبين أخيه والمزار قريب
 أناف به صلد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه فهو خطيب
 وسكت فقال عبد الجليل

وبنشدنا أنا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسب
 فان لايزره صاحب أو خليه * فقد زاره نسر هناك وذيب
 فها هو أما سنه فهو ضاحك * وها هو أما وجهه فكتيب
 يقول حذار الاغترار فرما * أنا خ قتيلى ومريلى
 فقلت له أنت القليل وأنا السليب قال فما لبثنا ان خرج علينا قطعة من

الفرنج فهربت فكان القتييل وكنت السليب (قال) ابن خاقان في قلات
العقبان عند ذكرك هذه الحكاية فما أتم قوله حتى لاح لهم اقمام كانه أعنم
فانقشع عن قطعة خيل كقطع ليل فما أجلت الا وعبد الجليل قتييل وابن
خضاجة سليب وهذا من أغرب منقول وأصدق منقول (أقول) ومثل
هذه الحكاية ما انفق لي في طريق مصر وذلك اني كنت أنشأت مقامة وأنا
في دمشق سنة اثنين وخمسين وسبعمائة وذكرت فيها المنازل من دمشق
الى الديار المصرية ووصفت كل منزلة بما يتعلق بها فجاء منها قولي فوصلنا
القرابي وقد نهقت غربانه على الجيف في تلك الروابي فلم نشعر الا وبني ياضة
أصبحوا بنا محمد قين كانوا يقصون الاثر خلفنا في الله بالمسلمين ثم اني
لما سافرت صحبت معي المقامة المذكورة فلما وصلنا الى المكان المذكور وعند
الصباح كما ذكرت أصبح حولنا جماعة من بني ياضة فلما سلم الله تعالى عليهم
وكفنا ناشرتهم أخرجت المقامة التي كانت معي وأوقفت عليها رفقتي
في الطريق وأعلمت اني تخيلت وقوع مثل هذا وأنا بدمشق فتعجبوا من
غرابية هذا الاتفاق وكان من جملة الرفاق في الطريق القاضي كمال الدين
ابن الصائغ قاضي سرمين الآن وفي ذلك أقول

شاهدت في الرمل أهوالا غرائبها * لا تنقض ما بقي في الارض ديار
من كل شيخ غدا طرطوره عجبا * كانه علم في رأسه نار
(سابعها) حكى سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان المعتصم ولد في سنة
ثمانين ومائة في ثامن شهر منها ومات لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
وهو ثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمانية فتوحات ووقف بيابا ثمانية
ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة وخلافته ثمانى
سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وخلف ثمانية بنين وثمانى بنات وثمانية
آلاف دينار وثمانمائة ألف ألف درهم وثمانين ألف فرس وثمانين ألف جبل
وبغل ودابة وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية
وبنى ثمانية قصور ونقش خاتمه الحمد لله وهما ثمانية أحرف وكانت علماته

الآثر الثمانية عشر ألفا وطالعه الثمانية في كل شيء ويدعى بالثمن والثمانيني
 (أقول) هذا من العجائب التي لم يسمع بثملها ومن غريب ما تنفق للمعتصم
 هذا أيضا أنه كان قاعدا في مجلس انسه والكاس في يده فبلغه ان امرأة
 شريفة في الاسر عند علي من عروج الروم في عمورية وأنه لطمه اعلى وجهها
 يوما فصاحت واعتصمها فقال لها العلي ما يجي اليك الاعلى أبلق فختم
 المعتصم الكاس وناوله للساقى وقال والله ما شربته الا بعد ذلك الشريفة
 من الاسر وقتل العلي ثم نادى في العساكر المحمدية بالرحيل الى غزوة عمورية
 وأمر العسكران لا يخرج أحد منهم الاعلى أبلق فخرجوا معه في سبعين ألف
 أبلق فلما فتح الله عليه بفتح عمورية وطلبها وهو يقول لبيك لبيك وطلب العلي
 صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيود الشريفة وقال للساقى
 انتفى بكاسي المحنوم فأنا به ففك ختمه وشربه وقال الآن طاب الشراب
 سامحه الله تعالى وعفاه عنه وجزاه خيرا

(الباب السابع)

في تفسير بعض ما أودعته خطبة هذا الكتاب والباب الخامن من الآثار
 النبوية وغير ذلك على سبيل الاختصار
 (قوله) فأصبح من الابدال بعد اخوته النجباء فيه اشارة الى قول
 الكلثاني النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخبار
 سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فسكر النقباء الغرب ومسكن
 النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخبار انجوت في الارض والعمد
 في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا حدث للعامة أمر ابتهل النقباء
 ثم النجباء ثم الاخبار ثم العمدة فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته
 حتى تجاب دعوته قوله على حين فترة الفترة السكون والاتقطاع فهو وصلى
 الله عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لان الرسل كانت الى وقت رفع عيسى
 عليه الصلاة والسلام متواترة قوله وتولى يوم الاحزاب نصره وكان في غزوة
 الخندق وهي احدى السبع غزوات التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم

لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل الا في سبع وهي غزوة بدر وأحد والخندق
وبنى قريظة والمصطلق وخيبر والطائف فغزوة بدر الكبرى كانت بعد سنة
وثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وأصحابه يومئذ رضى
الله عنهم ثلثمائة وتسعة عشر رجلا وهو عدد قوم طالوت والمشركون من
بين السبع مائة والالف فكان ذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله
تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وغزوة أحد يوم السبت لسبع خلون من
شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة الشريفة وفيها كان جبريل
وميكائيل يقاتلان عن عيسى النبي صلى الله عليه وسلم ويساره اشدد القتال
وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فيهم سبع مائة درع ومعهم مائة فرس وثلاثة
آلاف بعير وغزوة بنى قريظة في ذى القعدة سنة خمس بعد الاحزاب بسنة عشر
يوما وفي هذه الغزوة حكم النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فبين سبي من
المشركين فحكم فيهم ان يقتل كل من جرت عليه الموسى ونسبى النساء وتقسم
الاموال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق
سبع اربعة والرقيع السماء فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
الشريفة لسبع ليال بقين من ذى الحجة وأمرهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم
أخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا رسلا
رسلا فضربت أعناقهم وكانوا بين السماة والسبع مائة واصطنى منهم ريحانة
وغزوة خيبر في السنة السابعة وفيها قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وجميع من قتل فيهم من
الصحابة سبعة عشر وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قاتل أيضا بوادي
القرى والغابة وبني النضير والله أعلم (قوله) وأنزل عليه السبع المثاني السبع
المثاني الفاتحة قيل سميت بذلك لانها سبع آيات بالاجماع وقيل السبع الطوال
البقرة وآل عمران الى الاعراف والسابعة الانفال وقيل براءة وقيل كلاهما
لانه لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل الم وقيل السبع المثاني القرآن كله لانه
سبعة اسما ع فسميت المثاني على هذا لما فيها من الثناء على الله تعالى

أولها فيها من تكرير القصص والوعد والوعيد فتكون الواو على هذا القول في قوله والقرآن مقحمة والقرآن بدل من المثاني فكان السبب في نزول هذه الآية الكريمة المشار إليها أنه جاء في يوم واحد من بصرى واذرعان سبع قوافل ليهود قريظة والنضير فيها أنواع الاموال فقال المسلمون لو كانت لنا هذه الاموال أنفقناها في سبيل الله وتقور بناها فنزل ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم الآية والمعنى هذه السبع المثاني خير من هذه السبع قوافل (قوله) وأسرى به قال الزهري كان الاسراء بعلم بعنه الشريف صلى الله عليه وسلم بسبع سنين (وروى) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه أسرى به ليلة السابع من شهر ربيع الاقل قبل الهجرة بسنة وكذا قال أنس رضي الله عنه (وقوله) سابع سنة خلت من ملك كسرى الملك العادل قال الزمخشري في ربيع الابرار لم يكن بعد اردشير اعدل من كسرى أنوشروان وهو الذي ولد النبي صلى الله عليه وسلم لسبع سنين خلت من ملكه وقال ولدت في زمن كسرى الملك العادل وكان غيره من دولة الا كسرة ظلمة يستعبدون الاحرار ويؤتأثرون عليهم بكل شيء فلا يجسر احد منهم أن يطبخ سبكا جالا ولا يلبس ديباجا ولا ينكح حسناء ولا يؤدب ولده ولا يمتد الى امرأة يده فكان حال الرعية معهم كما قال مسعدة ابن عمرو للمؤمن كل ما يصلح للمولى على العبيد حرام (قوله) فن أجله السبع المثاني ثبت أي كثر ما فيها من القصص والوعد والوعيد وغير ذلك اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان وبما يكون من اخبار الام وأحوال يوم القيامة وغير ذلك وعلى هذا قول من قال ان المراد بالمثاني القرآن كله وهو قول جماعة من المفسرين (قوله) وفاخرت الشهب الحصى والجنادل لانها بتسيحها في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم صار لها فضل ونخ وشراف على ما سواها وقد ثبت في الصحيح من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان الحصى سجع في كفه ثم وضعه في كف أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم فسمع (قوله) منائحهم سبع المنائح جمع منيحة وهي الشاة أو الناقة

تعطيها الغيرك ليلها ثم يردها عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم سبع أعز
مناخ وهن عجرة وزمرة وسقيا وبركة وورسة واطلال واطراف
وكانت أم أيمن ترعاهن وأم أيمن هذه رضى الله عنها إحدى الاماء السبع
التي للنبي صلى الله عليه وسلم وهن سلى أم رافع وبركة أم أيمن ورضوى
وخضرة وميمونة بنت سعد وريحانة القرظية على الخلاف ومارية
القطبية (قوله) وأولاده سبع قال أبو بكر البرقي كان جميع ولد النبي صلى
الله عليه وسلم سبعة ويقال ثمانية القاسم وبه كان يكنى وعبد الله واسمه
الطيب الطاهر وقيل الطاهر غير الطيب وإبراهيم وزينب ورقية وأم
كثوم وفاطمة وكلهم من خديجة الأبراهيم فانه من مارية القطبية التي
أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية للنبي صلى الله عليه وسلم في سنة
سبع من الهجرة فلما ولدت له إبراهيم علق عنه النبي صلى الله عليه وسلم بكبس
يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق عنه بوزن شعره فضة على المساكين وأمر
بشعره فدفن في الارض ولمامات دفن بالبقيع ورش عليه الماء وقال له الحق
بسلقنا الصالح وقال ان له فائرا يتم رضاعه في الجنة وقال لوعاش لوضعت
الجزية عن كل قطبي ولمامات القاسم ثم عبد الله قال العاصي بن وائل
السمعي قد انقطع ولده فهو أبترا فنزل الله تعالى ان شئت انك هو الأبترا (قوله)
وحراسه سبع حراس النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وهم سعد بن معاذ
وسعد بن أبي وقاص وعبد بن بشر والزيبر بن العوام ومحمد بن مسلمة
الانصاري وأبو أيوب الانصاري وذو كوان فلما نزل والله يعصمك من الناس
ترك الحراس وجاء أيضا ان ذكوان بن عبد الله بن قيس من جملة حرسه
صلى الله عليه وسلم (وقوله) وضاهاه سبع جاء ان الذين كانوا يشبهون
النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وهم الحسن بن علي وجعفر بن أبي طالب
وقثم بن العباس وأبوسفيان بن الحرث والسائب بن عبيد ومسلم بن عتب
وكل من بن زبيعة بن مالك وهو رجل من أهل البصرة وجهه البهيم معاوية
رضي الله عنه فأخضره وقبل بين عينييه وأقطعه قطيعة وكان أنس بن مالك

رضى الله عنه اذا رآه يبكي (قوله) واحببنا ما فيها من الموات ببقاء مولانا
السلطان محيي العدل في العالمين الموات الارض الخراب التي هي غير عامرة
قال الطحاوي هي ما ليس بملك لاحد ولا هي من مرافق البلد وكانت خارجة
عن البلد سواء قربت منه أو بعدت وقيل البقعة التي لو وقف الرجل على
أذناها من العامر ونادى بأعلى صوته لم يسمعه أقرب من في العامر اليه
(قوله) عامل سيوفه العامل من أسماء الرياح وانما أراد به ههنا اسم الفاعل
من عمل يعمل فهو عامل (وقوله) وحرس غرفات قاعاته السبع بلائكة
السبع الطباق أرادهم القاعات السبع التي بقلعة الجبل المحروسة التي
بناها والده السلطان الملك الناصر رحمه الله تعالى (وقوله) واشرق
في لياليها من الثريا وما السبعة الذي يظهر من الثريا في الغالب سبعة
أنجم وجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى منها أحد عشر نجما وفي
الظاهر منها القالب الناس سبعة نجوم قال بعضهم

خليلى انى للثريا الحاسد * وانى على ريب الزمان لو اجد
أجمع منها شملها وهي سبعة * وافقد من أحبيته وهو واحد
وقال محب الدين محمد بن عبد الله الكاتب

حكمت طبقات فيروز جادمية * ثرت عليه سبع حبات لؤلؤ
وقال التهاى في تشبيه الثريا
وللثريا ركوع فوق أرجلنا * كأنه قطعة من فروة النمر
وقال ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لا كل عنقود
وقال أيضا رحمه الله تعالى

زارنى والدجى أحمر الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
وقال أيضا عفا الله عنه

كان الثريا في أواخر ليلها * تفتح نوراً ولحماً مفضل
وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسي رحمه الله تعالى في فرس أدهم
جال في أنجم من الحلي بيض * وقص من الظلام مزال
فبند الليل ملجماً بالثريا * وبذا البرق مصرجاً بالهلال

(أقول) هذا التشبيه الذي ماله شبيهه والبديع الذي اخل خجائل الربيع
فلو حاوله محاول لم يقرب طائل واني ذلك وابن الثريا من المتناول (وقد ذكرت)
ما قبل في الخليل من المقاطيع الحسنة في كتابي الموسوم بالتنويه في محاسن
التشبيه (قوله) في معنى رسالتي أسنى المقاصد هي رسالة مطبولة كتبت بها الى
السلطان الملك المجاهد صاحب اليمن وسيمتها أسنى المقاصد في مدح الملك
المجاهد فتشتمل على مقاطيع في معنى كافات الشتاء السبعة التي لابن
سكرة وغير ذلك ومن جملة هذه الرسالة قصيدة سبعة أبيات في مدح مولانا
السلطان الملك الناصر عز الله تعالى أنصاره وهي هذه

لئن أنسيت من يهواك غيرك * فما أحلى على الافواه ذكرك
فقل ما شئت واحكم في البرايا * فكل الناس يمتثلون أمرك
فيامن راح بعد ذل مسهما * على حلو الشجائل ما مترك
ويا من راح يشكو كسر قلب * أرى بالناصر السلطان جبرك
فبما لك أعلاه كل وصف * يقصر عنه مد الله عمرك
وعا ل الله من ملك همام * أعز الله بالتأييد نصرك
اشمر للدعا في الارض أزرى * ورب في السما قد شد أزورك

(قوله) في الباب الخامس في ترجمة الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر
وبذل فيهم الالوف بعد الالوف كان رحمه الله تعالى ملكاً معطاءً حمل اليه
من مال بشتاك واقبغا عبد الواحد ومال برسغا ما يقارب أربعة آلاف
ألف درهم وأكثروها جميعها لخاصكبة أبيه الملك الناصر وكان عزمه ان
لا يغير قاعدة من قواعد جده الملك المنصور ويطل ما كان أبوه احده (قوله)

في ترجمة الملك الاشرف بختيار وكان ساوورى الولاية صغيرا الى الغاية ساوور
المشار اليه هو ساوور ذوالا كاف بن هرمز كان أبوه قدماء وخلقه جلا فوضع
التاج على بطن أمته فولى الملك وهو في بطن أمته واستقلت الوزراء بتدبير الملك
فلما بلغ من العمر ست عشرة سنة قتل خلقا كثيرا من العرب وخلع أكااف
كثير منهم فقبل له ذوالا كاف وكان في أيام مملكته قد دخل منه كرا الى
القسطنطينية فصادف وليمة لقميص وقد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل
في جملة الناس وجلس على بعض الموائد وكان قميص قد أمر مصورا أن
يأتيه بصورة ساوور فلما أتاه بها أمرهم فصورت على آنية الشراب من الذهب
والفضة فأقوى من كان على المائدة التي عليها ساوور بكائن فنظر بعض الخدام
الى الصورة التي على الكائن وساوور مقابل له على المائدة فتعجب من اتفاق
الصورتين وتقارب الشبهين فقام من فوره الى الملك فأخبره بذلك فخل بين
يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة ساوور وهربت لامر خفته فلم يقبل
ذلك منه وأمر بقتله فأقر بنفسه فعند ذلك أمر قميص فعملت له من جلود البقر
صورة بقرة وطبقت عليه جلود البقر سمع طبقات وأدخل ساوور في تلك
الصورة وغام حكايته الى ان خلاص وعاد الى مملكته في كتاب سلوان المطاع
في السلوانة الثانية منه وهي حكاية غريبة مشتملة على أنواع كثيرة من
الحكم والقوائد (قوله) وفعل الفخرى مع نائب دمشق فعل الخيبة بظالم
يشير الى حكاية لطيفة ذكرها الصقلي في كتابه سلوان المطاع أيضا (قوله) ركب
الاهوال في زورته البيت للعكوك فيه اشارة الى سرعة عود السلطان الملك
الناصر أحمد رحمه الله تعالى الى الكرك لانه لما جاء الى مصر وجلس على
سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الاشرف أقام أربعين يوما وكر راجعا الى
الكرك وقبل البيت المشار اليه

بي من قد زارني مكتما * خائف من كل شئ جزعا
زائر تم عليه عرفه * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
وصد القفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجمعا

ركب الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا
(ومن أحسن) ما قيل في الزبارة قول الطغرائي رحمه الله تعالى
خبروها اني مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي * فأبت وهي تشتهي ان تعودا
وأنتني في خفمة وهي تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأني مضى فلم تتمالك * ان املت على عطا وجيدا
(قوله) وكان في أثناء ذلك قد أمسك أميرين كبيرين وهما قاطلو بغا الفخري
وطشمر حص أخضر وكان قد استنابه بمصر وأخرج الفخري تائباً الى الشام
ثم بعد أيام قلائل أمسك طشمر نائبه في مصر وأرسل أمسك الفخري
في أثناء الطريق قبل وصوله الى دمشق وتوجه الى الكرك وقتلها هناك
ولم يستحسن الناس ذلك منه لانه قتلها ما بغير موجب والله أعلم وفي طشمر
حص أخضر يقول بعض أهل العصر

طوى الردى طشمر بعدما * بالغ في دفع الردى واحترس
عهدي به كان شديد القوى * أشجع من يركب ظهر القرمس
ألم يقولوا حصاً أخضرا * تعجبوا بالله كيف اندرس
(وقال) فيه الشهاب أجدين الاطروش بعد عوده من الشرق
لما رجعت الينا * من شقة البعد والين
خلناك تحنو علينا * يا حص اخضر بقلين
رقال فيه ابراهيم المعمار

أوردت نفسك ذلاً * ورد النفوس المهانة
وبالرشا حزت مالا * ملأت منه الخزانه
وكم عليكم قلوب * يا حص اخضر ملانه
(وقوله) جم غفيرا الجم الغفير هو الجماعة الكثيرة من الناس يقال جاؤا
جماء غفيرا ممدودا والجماء الغفيرا أى جاؤا بجموعهم الشريف والوضيع
ولم يتخلف منهم أحد وكانت فيهم كثرة (قوله)

أحب حبها السودان حتى * أحب حبها سود الكلاب
هذا البيت لبعض العرب وأراد قائله أن محبوبته لما كانت سوداء أحب
كل شيء أسود من أجلها كما قال ابراهيم بن سيبويه وقد عنف على محبة
سوداء

يكون الخلال في خذ قبيح * فيكسوها الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من * يراها كلها في العين خلا
وقد تقدم من الايات في هذا المعنى ما فيه الكفاية وبقي حكاية تتعلق
بالبيت المذكور لا بأس بذكرها (وهي) ان عريب بفتح العين المهملة وكسر
الراء كانت بارعة الحسنة كاملة الطرف حاذقة بالفاء وقول الشعر معدومة
المثل اشتراها المعتصم بمائة ألف دينار وأعنتها وكانت من جوارى
المأمون وكان شديد الكلف بحبها أنشد في بعض الايام مداعبا لها
انا المأمون والملك الهمام * على اني بحبك مستهام
أترضى أن أموت عليك وجدا * ويبقى الناس ليس لهم امام
فقلت لها يا أمير المؤمنين والدك هرون اعشق منك حيث قال
ملك الثلاث الانسات عناني * وحلان من قلبي أعز مكانى
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه استظن أعز من سلطانى
وذلك ان والدك أمير المؤمنين قدم ذكر جواريه في شعره على نفسه وأنت
قدمت ذكر نفسك على من زعمت انك تهواه فقال لها أمير المؤمنين صدقت
الا انى منفرد بحبك وحيد الرشيد بين ثلاث جوار وشتان بين ربة الحبين
فقلت له اعرفهن يا أمير المؤمنين أما الواحدة فهى فلانة فانها انت
المقصودة بحبه وأما الاخرى ان فانها محبوبة ثان لها فأحبها - ما لاجلها
وقربها من قلبه بسيم كما قال خالد بن يزيد بن معاوية فى رمله
احب بنى العوام من أجل حبها * ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
وكما قال الآخر

أحب لها السودان حتى * أحب لها سود الكلاب
فهذان أحبا القبيحتين من أجل محبوتيهما وذا العشق هاتين الوصيفتين
تقربا إلى قلب معشوقيهما وهذا المخرج لعذراء أمير المؤمنين هرون فأين
المخرج لعذراء أمير المؤمنين فاستحيا منها وعظم وجدته بها المارأى من فضلها
وحسن أدبها وخطابها وسيأتى تطير هذه الحكاية في خاتمة الباب إن شاء الله
تعالى (قوله) ونخرجوا إلى قتاله بعضهم وقضيتهم إذا خرجوا ولم يتخلف
منهم أحد (قوله) سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب
في الأمر الذي لا يقدر على رده وحكاية معروفة عند أهل الأدب (ومن
أحسن) ما قيل في العذل قول بعضهم

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحبته جنة * قلت ولا قولك قرآن

(وقال وهب) بن جابر الخزازي

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لودري * أخذ الراسمى الذى يلحى
وقلت أنا فى العذل

وعاذل بالغ فى عذله * وقال لما هاج بلبل

بعارض المحبوب ما انتهى * قلت ولا بالسيف والوالى

وقال بلدينا شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله تعالى

اسرفت فى اللوم ولم تقتصر * وزدت فى اللوم يا ذا العذل

قد رضيت نفسى بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

وقد عقدت للعذل بابا مستقلا فى كتابى ديوان الصباية وذكرت فيه أشياء
ملحة

(خاتمة الباب وجميع طائر المستطاب)

(أولها) أقول قد تقدم الوعد بالآتيان بمثل حكاية غريب جارية المأمون وما
اشبهها فاقول (حكى) أبو الفرج فى كتاب الأغاني أن دنانير جارية خالد بن يحيى

البرمكي كانت صفراء مولدة من أحسن الناس وجها وأظرفهم وأكلهم
أدبا وأثرهم رواية للشعر وضروب الغناء ولها كتاب مجرد في الاغانى فلما
جرى للبرامكة ما جرى أحضرها الرشيد وأمرها ان تغنى فقالت بأصبر
المؤمنين انى آليت على نفسى أن لأغنى بعد سيدى أيداف غضب وأمر بضعفها
فصفت وأقيمت على رجلها وأعطيت العود فاخذته وهى تبكى أخذ بكاء
فاندفعت وغنت

يادارسلى بنارح السند * من للشايبا ومسقط اللبد
لما رأيت الديار قد درست * أيقنت أن النعيم لم يعد
فرق لها الرشيد وأمر باطلاقها فانصرفت وهى تبكى (قلت) واقه معدورة
فى عدم غنائها وطول بكائها وعنائها لان خالد البرمكى مولاها رجه الله تعالى
كان يتصدق عنها فى كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لانها كانت
لاتصومه مما أصابها من العلة الكلبية فكانت لاتصبر على الطعام الساعة
الواحدة (ووجد) على حائط بخطها ماصورة النيك على أربعة أقسام
فالاول شهوة والثانى لذة والثالث شفاء والرابع داء وسوالى أيرين أحوج
من أير الى حرين وكتبته دنابر جارية البرامكة (ثانيها) أقول من عجيب
ما رأيت فى موافاة النساء ما حكاها أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى
أن هدية بن خشرم لما أمر معاوية بقتله أرسل الى امرأته فى الليل وكان
يحبها فقال لها انتنى اجتمع بك وأودعك فأنته فى الليل بلباس طيب فغادها
وبكت وبكى ثم كان بينهما ما كان فلما أصبح أخرج من السجن ومضى به
ليقتل فالتفت فرأى امرأته فأندشد

اقلنى على اللوم وارعى لمن رعى * ولا تجزى مما أصاب فأوجعها
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأزعا
فمالت زوجته الى جزار فأخذت شفرته فجذعت أنفها بها وجاءته ندى
مجدوعة فقالت له أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح فرفس فى قيوده وقال
الا نطاب الموت فلما أراد واقله قال لا مثله بلغنى أن القليل يعقل ساعة بعد

سقوط رأسه فان عقلت فاننا قاض رجل وباسطها ثلاثا فافعل ذلك حين
 قتل وهذا من العجايب رحمه الله تعالى (وحكى) أبو محمد البطليوسي
 في شرح أبيات الجبل ان هدية كان قد قتل زيادة بن زيد فدفعته فيه
 أكبر قريش سبع ديات فأبى عبد الرحمن اخو زيادة أن يقبلها وكان
 لزيادة المقتول ابن لم يبلغ الحلم فقال معاوية ابنه أولى بطلب دمه فلبسهن
 هدية حتى يبلغ ابنه فرجما رضى بالدية فحبس هدية سبع سنين حتى بلغ
 المنصور فمرض عليه قبول الدية فأبى الاقتل صاحبه فقتل هدية كما
 قدمنا (ثالثها) حكى أن علية بنت المهدي كانت من اجل الناس
 واحذقهم يقول الشعر الجيد ونصوغ الالحان الحسنة وكانت لا تغنى
 ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة للصلاة فاذا ظهرت أقبلت على الصلاة
 وقراءة القرآن وكانت تقول ما حرم الله شيئا الا رجعت فيه لحلل بدلائله
 فبأى شيء يحتج عاصبه وكانت تموى خادما من خدام الرشيد اسمه طل
 خلف عليها الرشيد أن لا تكلمه ولا تسمى باسمه فامتثلت امره في ذلك
 مدة فاطلع الرشيد عليها يوما وهي تتلو آخر سورة البقرة فلما بلغت الى
 قوله تعالى فان لم يصبروا بل وأرادت أن تقول فطل فقلت فالذى نها عنه
 أمير المؤمنين فدخل الرشيد فقبل رأسها وعجب من حسن وفائها وقال
 قد وهبت لك طملا ولا أمتنعك بعدها من شيء تريد منه (رابعها) قال
 أبو الفرج الاصفهاني كانت عنان مولدة من مولدات اليمامة وبها
 نشأت وتأديت واشتراها النطاق ورباها وكانت مليحة الشعر سريعة
 البديهة تجارى فحول الشعراء وتعاوضهم فتنصف منهم دخل عليها ابو نواس
 يوما فحدث ساعة ثم قال لها قد قلت ابيانا فالتها فقال

ان لي ابرا خبيثا * لونه يحكى الكمين
 لورأى في الجوصيدا * لنزا حتى يموتا
 أو رأى في السقف دبرا * التحول عنكبوتا
 أو رأه جوف بحر * خلتسه قد صار حوتا

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت (وكتب) الوزير عامر
الى هند المغربية يستدعيها الى مجلس أنس بعد قطيعة كانت منها
يا هند هل لك في زيارة قتيبة * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سواء البلبابل قد شدت فتداكروا * نغمات عودك في الثقبيل الاول
فكبت اليه الجواب

ياسيد احاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع فحولك أننى * كنت الجواب مع الرسول المقبل

النتيجة التي صدر الكتاب عليها وعين عنوانه ناطرة اليها في بسط الكلام
على ما تقدم ذكره في المقدمة من هذا العدد وتفصيل مجمله وايضاح مشكله
وتشمل أيضا على سبعة أبواب

الباب الاول في ذكر قصة يوسف عليه السلام وبسط الكلام على
ما وقع فيها من هذا العدد

(فأقول) وبالله التوفيق نظرت في سبعة تفاسير قبل الكلام على هذه القصة
التي هي قصة يوسف عليه السلام فوجدتها كما أخبر الله تعالى أحسن
القصص قال بعض المفسرين انما كانت أحسن القصص لاشتمالها على
ذكر المحب والمحبوب وسيرتهما وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين وسير
الملوك والسلاطين والعلماء والملائكة والشياطين والتجار والرجال والنساء
وذكر مكرهن وحيلهن وفيها ذكر التوحيد والفقهاء والسيرة وتعبير الرؤيا
والسياسة والمعايشة وتدبير المعاش وجمل القوائد التي تصلح للدنيا والآخرة
وبغير ذلك فمن اول قصة يوسف عليه السلام ما رواه وهب رضى الله عنه
أن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى وهو ابن سبع سنين ان أحد عشر
غصنا كانت ممر كوزة في الارض كهيمة الدائرة واذا بغصن وثب عليها
حتى اقلعها وغلبها فوصف ذلك لآبيه فقال اياك أن تذكر هذا لاختوتك
ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
يسجدون له فقصها على آبيه فقال لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك

كيدا أى يحتالون على هلاكك لانهم يعلمون تأويلها فيحسدونك وكان
يعقوب عليه السلام يؤثر يوسف بزيادة المحبة والشفقة على اخوته لما يرى
فيه من النجاة وكانت اخوته يحسدونه على ذلك فلما بلغتهم الرؤيا تزايد
حسدهم له حتى قالوا ليوسف وأخوه أحب الى آيينا منا ونحن عصبة أى
جماعة وكانوا أحد عشر سبعة منهم من ليان بنت ليلان خال يعقوب وأربعة
من سريمين اقلوا يوسف وأطرحوه أرضا يحل لكم وجه أبيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين تائبين لله تعالى مما جئتم عليه فلما ذهبوا به وأجمعوا
أن يجعلوه فى غيابة الحب قيل هو يتر على ثلاثة قراسخ من منزل يعقوب
عليه السلام وأوحينا اليه قيل أوحى الله تعالى اليه فى الصغر كما أوحى الى
يحيى وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبأهم بأمرهم هذا وهم
لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبريا سلطانك وبعد ذلك عن أذهانهم
لطول المدة المبدلة للهيات والاشكال وذلك معنى قوله تعالى فدخلوا عليه
فعرّفهم وهم له منكرون (وكان) دعاؤه حين القوة فى الحب مما لقنه جبريل
عليه السلام حين هبط اليه وأقعده على الصخرة سالما لم يضره شئ على
ما حكاه الثعلبى اللهم يا مؤنس كل غريب يا صاحب كل وحيد يا ملجأ كل
خائف يا كاشف كل كربة يا عالم كل نجوى يا منتهى كل شكوى يا حاضر
كل الملا يا حي يا قيوم أسألك أن تقذف رجلا فى قلبى حتى لا يكون لى
شغل غيرك وأن تجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا منك على كل شئ قدير
فلما رجعوا الى آيههم بعد اللقاء يوسف فى الحب قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق
أى نترامى وتركا يوسف عند متاعنا أى عند ثيابنا فأكله الذئب وما أنت
بمؤمن لنا أى مصدق لنا أى لسوء ظنك بنا وشدة محبتك ليوسف ولو كما
صادقين وجاؤا على قبضه بدم كذب أى هو كذب لانه كان دم شاة فألقاه على
وجهه وبكى حتى خضبت لحيته ووجهه بدم القماميص وقال تالله ما رأيت
كالיום ذئبا أحكم من هذا أكل ولدى ولم يمزق عليه قميصه وعلم بهذا السبب
أن الذئب لم يأكله فأعرض عنهم وقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل

والله المستعان على ما تصفون فلما وصل يوسف الى مصر مع السيارة
الذين التقطوه من الجب وشروه بثمن بخس دراهم معدودة أي وباعوه وقال
الذي اشتراه من مصر لا مراة أنه أكرمي مثواه عسي أن ينفعنا اذا تدرب
وراض الامور فينفعنا أو يتخذ ولدًا أي تنبأه لانه أعنى قطفير عزير مصر
الذى اشترى يوسف كان عقيماً لا يولد له فنقرس في يوسف الرشديفا
اخطأت فراسته ولهذا قيل أصدق الناس فراسة ثلاثة عزيز
مصر حين قال عن يوسف عليه السلام عسي أن ينفعنا وبنت شعيب حين
قالت عن موسى عليه السلام يا أبت استأجره ان خير من استأجرت
القوى الامين وابوبكر الصديق حين استخلف عمر رضى الله عنهما
وفي القصة عن وهب بن منبه لما قدمت السيارة بيوسف الى مصر دخلوا به
السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهباً ووزنه
فضة ووزنه مسكاً وحريراً فكان وزنه اربعمائة رطل فابتاعه قطفير بهذا
الثلث وكان قطفير عزير مصر وكان على خزائنها الملك يومئذ بمصر الريان
ابن الوليد بن ثوران من العمالة قال وهب واقام يوسف في دار العزيز
(سبع) سنين حتى بلغ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ليوافقها
وعقلت الابواب وكانت (سبعة) ابواب وقالت هيت لك وفي هيت
(سبعة) اقوال للمفسرين ومعناها على قول بعضهم تعال وقال الكسائي
هي لغة لاهل حوران وقعت لاهل الحجاز قال ابو عبيد سألت شيخنا عالماً
من أهل حوران فقال انها الغنم وقيل معناها بالقبطية هلم فقال يوسف
معاذ الله أي أستجير بالله واعوذ به مما دعوتني اليه انه ربي أي زوجك
قطفير سيدي أحسن مثواي أي منزلي فلا اخونه في اهله ولقد همت به
وهمهم بالولاء أن رأى برهان ربه (قال) اهل الحقائق اللهم همان هم مقسم
ثابت وهو اذا كان معه عزم وقوة ونية وعقد مثل هم امرأة العزيز والعبد
مواخذه وهم عارض وارد لا يثبت له وهو الخطرة وحديث النفس من
غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف والعبد غير مواخذه مالم يتكلم به

أوفيه قال ابن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة قال اذا كانت
عزما أخذ بها (وعن) أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة فان عملها كتبت له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم
عبدي بسئية ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سئية واحدة
فان تركها من أجل كتبتها له حسنة فحين استبقا الباب وتعلقت بقميصه
من خلفه خرقة وواجهها زوجهما قطفير فقزعت منه فقالت ما جزاء من
اراد بأهلك سواي يعني الزنا ثم خافت على يوسف أن يقتل فقالت الان بسجن
أو عذاب أليم أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن
نفسى فقررت منها فأدركتنى فشقت قميصى فجعل العزيز ينظر مرة الى يوسف
ومرة اليها متعجبا متعجرا منهما وكان فى البيت صبي فى المهد تحت السرير
عمره (سبعة) أيام فنادى بأعلى صوته بلسان بين أيها العزيز ان لك عندى
مما أنت فيه فرجا وقال كما اخبر الله عز وجل عنه ان كان قميصه قد من قبل
الآية فلما رأى قطفير قميصه قد من دبر تبين له خيانتها وبراءة يوسف عليه
السلام فقال انه أى هذا الصنع من كيد كتن يا معشر النساء ان كيد كتن
عظيم ثم التفت الى يوسف وقال يوسف أعرض عن هذا ولا تذكره لاحد
وقيل لا تكثر به فقد بان عذرك ثم قال لا مرأته استغفرى لذنبك انك كنت
من الخاطئين قال الزمخشري ما كان العزيز الا رجلا حليما وقيل انه كان
قليل الغيرة قال الشيخ أنير الدين أبو حيان فى تفسير هذه الآية الكريمة
وتربه اقليم مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال وأين هذا مما جرى
لبعض ملوك بلادنا وهوانه كان مع ندمائه الخصبين به فى مجلس أنس
وجارية تغنى من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه يبتين من الجارية
وكانت قد غنت بهما فالبث ان جرى برأس الجارية مقطوعا فطشت وقال
له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط مغشيا عليه ومضى مدة حمية
ذلك الملك (أقول) واين غيرة هذا الملك على جاريته من غيرة عبد المحسن

الصوري على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خرة الصبا * به غفلة من لوعتي ونجيب
 وشاركني في حبه كل ماجد * بشاركني في مهجتي بنصيب
 فلا تلزموني غيرة ما ألفتها * فان حبيبي من أحب حبيبي
 (وقد ذكرت) في الغيرة أشياء مليحة في كتابي ديوان الصبا فلما اشتهرت قصة
 امرأة العزيز مع يوسف قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن
 نفسه قد شغفها حبا وهو لا يرضى بها ولا يعيل اليها انال تراها في ضلال مبين
 أي في هلاك وخسران بين فلما سمعت بذكرهن أي بقولهن أرسلت اليهن
 وأعدت لهن مأكلا أي هبات لهن من مجالس ينكثن عليها في كل مجلس جام
 غسل وأترج وسكينا وقالت بحق عليكين الاما أظعنتم فتاى العبراني يوسف
 اذا مربيكن الساعة فقلن سمعنا وطاعة ثم انهن ازينت يوسف بأوفى زينة من
 الجواهر والمواقيت واللباس الفاخر والطيب وقالت اخرج عليهن فلما
 رأيتهن أكبرنه أي رأيته في أعينهن كبيرا (وقيل) حضن من الدهش (قال)
 ابن عباس أمنين وأمدن من الدهش وقطن أيديهن يحسبن انهن يقطعن
 الاترج ولم يجدن ألبا لخر أيديهن لاشتغال قلوبهن لحسنه (قال) وهب كن
 أربعين امرأة فبات منهن تسع وجدد ابه وكدا عليه وقلن حاش لله ما هذا
 بشرا ان هذا الا ملك كريم نزل علينا من السماء فخر علينا (قال) عكرمة
 كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر
 النجوم (قال) كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جمع الشعر ضخيم
 العنق مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خيمص
 البطن صغير السرة اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت
 في كلامه شعاع الشمس من ثنائه لا يستطيع أحد وصفه وكان جبينه كضوء
 النهار عند الليل وكان يشبه آدم يوم خلقه الله تعالى وصوره وفتح فيه من
 روحه وقيل انه ورث ذلك الحسن من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس
 الحسن فلما رأت امرأة العزيز حال النسوة وما تم عليهن من حسن يوسف

قالت

قالت فذلكن الذى لمتننى فيه أى فى حبه ثم صرحت بما فعلت من شدة
كفها به فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى امتنع وانما صرحت
به لأنها علمت انه لا ملامة عليها منه وقد اصابهن ما اصابهن من رؤيته فقلن
له اطع مولاتك وأخذن فى لومه وتغيبه على عدم اجابته الى سؤالها فقالت
امرأة العزيز ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار
يوسف السجن على المعصية فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه
قبل لو لم يقل السجن أحب الى مما يدعوننى اليه لم يبتل والاولى بالعبدان
يسأل الله العافية ذكره البغوى فاستجاب لله فيه فصرف عنه كيدهن انه هو
السميع العليم ثم بد الهن من بعد ما رأوا الآيات أى الدالة على براءة يوسف
عليه السلام من قذ القميص وكلام الطفل ليسجننه حتى حين (قال) عكرمة
سبع سنين (وفى القصة) انهما أيسر منه دخلت على الريان ملك مصر
وكانت ابنة عمه فترحم لها فقالت له يا سيدى انى عبد اعبى اعصانى
وودن لو أذنت فى سجنه لعل تزول المعصية عنه فاذن لها فى سجنه فحينئذ
دعت الحدادين وأمرتهم ان يصنعوا له قيودا فقيده وجعلته على حمار
وطيف به ونودى عليه هذا جزاء من يعصى سيده الملك وهو يقول هذا
أيسر وأهون من سرايل القطران وشرب الخمر وأكل الزقوم وكان قصدها
ليسجنه استعطافه لعله يوافقه فلما طالت عليه المدة أرادت خروجه فجاء
زوجها العزيز وسجد بين يدي الملك الريان وقال بعزتك لا تخرج به أبدا
فقدمت على سجنه فكانت ترقى على أعلى قصرها وتسكى من العشاء حتى
يصبح الصباح وتقول ليت شعرى يا يوسف أنت نائم أم يتفان ليت شعرى
كيف حالك فكدمت عليه اربع سنين (وكان) قد دخل مع يوسف السجن
فتيان أى غلامان الريان بن الوليد ملك مصر أحدهما سابقه والاخر
خبازه وكان الملك قد غضب عليهم ما وسبب ذلك ان جماعة من بطائه أرادوا
قتله واغتياه فضمنوا لى وخبازه ما لا جزى لى على ان يسما الملك فى طعامه
وشرا به فأجابهم الى ذلك وعلم الملك بالقصة فحين حضر الطعام والشراب أمر

الملك الساقى ان يشرب من الشراب فشرب فلم يضره لانه كان لم يصنع فيه
شياء الى الآن ثم امر الخباز ان يأكل من الطعام فامتنع فخر بذلك الطعام
في دابة فهلك من فورهما فخرسهما جميعا ثم قتل الخباز كما أتى بيانه ان
شاء الله تعالى (اقول) وابن فعل هذا الملك من قتله الخباز وبخبريه
الطعام المسموم في الدابة حتى هلك من فعل الصاحب بن عباد رحمه الله
تعالى (وذلك) انه جلس يوما في مجلس انسه فتأوله الساقى كاسا فلما
اراد شربها قال له بعض خدامه يا سيدى ان هذا الذى في يدك مسموم
فقال له وما الدليل على صحة قولك فقال التجربة في الساقى فقال ويحك
لا استحمل ذلك قال ففى دجاجة قال ان الثنيل بالحيوان لا يجوز ثم امر بصب
ما فى القدح وقال لا تأكله دارى بعد هذا اليوم ابدأ ولم يقطع عنه معلومه
حتى مات (وكان) يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله
انى اعبر الاحلام فقال له الساقى أيها العالم انى رأيت كائنى في بستان واذا
انابأصل حبله عليها ثلاثة عناقيده من عنب فخنيت ما وكان كاس الملك يمدى
فعضرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الخباز رأيت كأن على رأسى
ثلاث سلال من الخبز والاطعمة واذا سباع الطير يأكلن منه فذلك
قوله تعالى قال أحدهما انى ارانى اعصر خمرأى عنباً بلقة عمان يذل
على ذلك قراءة ابن مسعود اعصر عنباً أو سماه خمرأى عنباً وما يؤل اليه وقال
الآخر انى ارانى اجل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه ينبتان تأويله أى
أخبرنا بما يؤل اليه الامر اننا نزال من المحسنين العالمين الذين احسنوا
العلم فقال يوسف يا صاحبي السجن اما احذكما وهو الساقى فيسقى ربه
خمرأى كما رأى والثلاثة عناقيده التى رآها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم
يخرجه الملك فيعود الى ما كان عليه وما الاخر وهو الخباز فانه يصلب
والسلال الثلاث التى رآها ثلاثة أيام يمتلئ في السجن ثم يخرجه
الملك في اليوم الرابع فيصلبه قتل كل الطير من رأسه قال ابن مسعود
فلما سمعا قول يوسف قالاما رأينا شيناً وانما كنا نلعب فقال يوسف

قضى الامر الذي فيه تستفتيان أى الذى سألتما عنه ووجب
الحكم بالذى اخبرتكما به وأيقام لم تريا * عن انس بن مالك رضى
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا لاول عبارة (وعنه) صلى الله
عليه وسلم قال لا تقصها الا على حبيب أو وليب (وعن) ابن عباس رضى الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شهد على عينيه ما لم تريا
فى النوم كف ان يعقد بين شعيرتين على جهنم وليس بعاق ومن استمع لحديث
قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه الا تلك المذاب يوم القيامة فوقع بعد ثلاثة
أيام ما ذكره يوسف عليه السلام من صلب الخباز وخلص الساقى الذى
قال له اذكرنى عند ربك أى عند سيدى ذلك الملك وقل له ان فى السجن غلاما
محبوسا ظمأ فانساه الشيطان ذكر ربه أى نسي الساقى ان يذكر يوسف لربه
الملك فلبث فى السجن بضع سنين أى (سبع) سنين على قول الاكثيرين قال
وهب أصاب أيوب البلاء (سبع) سنين ولبث يوسف فى السجن (سبع) سنين
وعذب بجنحة نصر بالسخ (سبع) سنين (وعن) الحسن رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخى يوسف لولا كلمته التى قالها
مالبث فى السجن طول مالبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك فقال الله يا يوسف
اتخذت من دونى وكيلا ثم بكى الحسن وقال فخشى اذا انزل بنا امر تضرعنا الى
الناس (قال الامام) نخر الدين الرازى فى تفسيره واعلم بأن الاستعانة بالناس
جائزة فى الشريعة الا ان حسنات الابرا سيئات المقربين فهذا وان كان
جائزا العامة الخلق الا ان الاولى بالصديقين ان يقطعوا نظرهم عن الاسباب
بالكلية وان لا يشتغلوا بالاسباب الذى جربته من اول هموى الى
آخره ان الانسان كلما عول فى امر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك
سيلا الى البلاء والمحنة والشدة والرزية واذا عول العبد على الله تعالى ولم
يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على احسن الوجوه فهذه
التجربة قد استمرت من اول عمرى الى هذا الوقت الذى بلغت فيه (السابع)
والخمين فعند هذا استقر قلبى على انه لا مصلحة للانسان فى التعويل على شئ

سوى الله تعالى (واعلم) ان الله تعالى اذا اراد شيأهيا اسبابه بدليل أنه لما نادى
فرج يوسف عليه الصلاة والسلام رأى ملك مصر فى النوم (سبع) بقرات
سمان خرجن من نهر يابس (وسبع) بقرات عجاف فابتلعت العجاف
السمان ورأى (سبع) سنبلات خضر قد انهدجها و (سبعها) أخر يابسات
فالتمت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليهما فجمع الكهنة وذكرها لهم
وهذا المراد بقوله تعالى يا أيها الملأ اقتوفى فى رؤياى فقال القوم هذه الرؤيا
مختلطة فلا تقدر على تأويلها وتعبيرها فكان ذلك سببا لخلاص يوسف عليه
السلام من السجن لان الملك لما شاهد ان ناقص الضعيف استولى على
الكامل القوى شهدت فطرته بأن هذا ليس بحيد وانه مقدر بنوع من أنواع
الشر الا أنه ما علم كيفية الحال فيه والشئ اذا كان معلوما من وجه مجهولا
من وجه آخر عظم توق النفس الى تكميل تلك المعرفة وقويت الرغبة
فى اتمام الناقص لاسيما اذا كان الانسان عظيم الشأن واسع المملكة وكان
ذلك الشئ ذا الاعلى الشر من بعض الوجوه فهذا الطريق قوى عزم الملك
فى تحصيل العلم بتعبير هذه الرؤيا وان الله تعالى أعجز المفسرين الذين حضروا
عنده عن الجواب وعما عليهم ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه السلام
من تلك الهمة فقالوا وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الشراى ان
فى السجن رجلا فاضلا خالجا كثير العلم كثير الطاعة قصص أنا والخبايا
عليه منامين فذكرنا ويلهما وصدق فى الكل وما أخطأ فى حرف فان أردت
مضيت اليه وجئت بك بالجواب فهذا معنى قوله تعالى وقال الذى نجا منهما
واذكر بعد امة أى تذكر بعد حين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلوا يوسف وأياها
الصدىق اقتنا فى (سبع) بقرات سمان يأكلهن (سبع) عجاف
(وسبع) سنبلات خضر وأخر يابسات فان الملك رأى هذه الرؤيا لعل يرجع
الى الناس أصحاب الملك وأهل مصر لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فقال يوسف
تزرعون (سبع) سنين دأبأى متتابعة كعادتكم فى الزراعة فاحصدتم
فذروه فى سنبله لثلاثة سنين فلهذه (السبع) البقرات السمان الا قليلا مما

تأكلون فادرسوه ثم يأتي من بعد ذلك (سمع) شداد أي خط أي جذب يأكلون
ما قدمتم لهم من الطعام في السنين (السمع) الخصبه الا قليلا مما تحصنون
أي تدخرون للعرث ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس أي يعطرون من
القيث وفيه يعصرون من العنب خرا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم دهنا
في قول الأكثرين فلما رجع الساقى وأخبر الملك بما أفتاه يوسف قال انتوني
بهذا الرجل الذي فسر هذه الرؤيا فقالوا انه في السجن منذ (سمع) سنين
فقال انتوني به على كل حال فلما جاء الرسول الى يوسف وقال له أجب الملك
أي أن يخرج معه وتثبت في الاجابة لتظهر براهه ساحتها مما حبس لاجله وقال
للرسول ارجع الى ربك أي الى سيدك فاستأذنا بال النسوة الاية فرجع
اليه وأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك باحضار النسوة اللاتي
قطعن أيديهن وسألهن عن القصة فعند ذلك قالت امرأة العزيز الان
حخص الحق أي ظهر وتبين أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي فعند ذلك قال الملك انتوني به استخلصه
لنفسى أي اجعله خالصا فلما خرج يوسف من السجن دعاه لاهل بدعوة تعرف
بركته الى يومنا هذا الذي هو من سنة (سمع) وخمسين و (سبعة) مائة فقال
اللهم عطف عليهم قلوب الاخبار ولا تم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس
بالاخبار من كل بلد (وكتب) على باب السجن هذا قبر الاحياء ومنزل
البلاء وتجربة الاصدقاء وشمانة الاعداء ثم اغتسل وتنظف من درن
السجن ولبس ثيابا جدد احسانا ورجل على عجلة الملك وهي عجلة تجربها القيلة
فلما وصل الى باب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه
عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ثم سلم على الملك بالعربية فقال
الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمي اسمعيل ثم دعاه بالبرانية فقال له الملك
وما هذا اللسان فقال لسان آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب (قال) وهب
وكان الملك يعرف (سبعين) لسانا فكلما تكلم الملك بلسان أجابه يوسف بذلك

اللسان فأعجب الملك أمره وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فأجلسه الملك
على سريره وقال أحب أن أسمع تأويل رؤياي من لنتك فأعاد عليه ما تقدم
ذكره وقال صلى الله عليه وسلم أرى أن ترفع الزرع بقصبه وسنبله وتبني له
المخازن العظمى فيكون القصب والسنبل علقا للدواب وجبه للناس وتأمر
الناس في السنين الخصبية يرفعون إلى أهرامك من طعامهم الخمس فيكنفك
من الطعام الذي جمعه لأهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي
يمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجمع عند أحد من قبلك فقال
الملك ومن لي بتدبير هذه الأمور ولوجعت أهل مصر جميعا ما أطاقوه ولم
يكونوا فيه أمناء فقال يوسف عند ذلك اجعلني على خزان الأرض اني حفيظ
عليهم أي حفيظ بما يصل إلى من الطعام عليهم بحماية المال فوصف نفسه
بالأمانة والكفاية التي هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل
إلى أمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتكسب مما لا حيلة
تبعث الأنبياء إلى العباد ولعله إن أحد أغبره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب
التولية ابتغاء وجه الله تعالى لأحب الملك والدينا فولاها الملك ذلك وقال انك
اليوم لديك أمين أي ذو مكانة ومنزلة أمين على الخزان ثم إن الملك توجّه
وألبسه خاتمته وقلده بسيفه ووضع له سرير من ذهب موكلا بالدر
والياقوت وروى أنه قال أما السرير فاشيده ملكك وأما الخاتم فادبره
أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس أبائي فقال قد وضعتك عليك
أجلالاً وأقراراً بفضلك فجلس على السرير وفوض إليه الأمر جميعه
وكان طول السرير ثلاثين ذراعاً وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا
وستون مقرمة وكان الملك قد عزل قطيفر فهلك بهد عزله بأيام فتزوج يوسف
أمرأته فلما دخل عليها فقال لها أليس هذا أخيراً مما كنت تريدين فقالت
أيها الصديق إن زوجي كان غنياً لا يأتي النساء وكنت أنت من المحسن
والجمال بما لا يوصف تعذرا إليه بذلك من شدة كلفها به وجهها له فوجد لها
عذراً فولدت له ولدين (وروى) أنه أحبها أضعاف ما كانت تحبه في أول مرة

فقال لها ما شأنك لا تخيفيني كما صككت فقلت له لما ذقت محبة الله تعالى
شغلتنى عن كل شئ وكانت قد اسأت على يديه هى والملك وخلق كثير فعديل
يوسف عليه السلام فى الاحكام وأحبه الخاص والعام وكان يركب
فى كل (سبعة) ايام الى الموكب فى مائة ألف من عظماء قوم فرعون
فدانت له الماوله وخضعت له الرقاب وذلك معنى قوله تعالى وكذلك مكنا
ليوسف فى الارض أى أرض مصر قال البحتري

اما فى رسول الله يوسف اسوة * لملك محبوب ساعلى الظلم والافك
اقام جيل الصبر فى السجن برهة * قال به الصبر الجليل الى الملك
وكتب بعضهم الى صديق له

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأقول وفروج به آخر الحزن
فلا تياسا فالتة ملك يوسف * خرائته بعد الخلاص من السجن
فلما استقر حال يوسف دخلت السنون (السبع) الخصبه فامر باصلاح
المزارع والفلاحة والزراعة وأمرهم ان يتوسعوا فيها فوق العادة فلما
ادركت الغلة أمرهم بجمعها فجمعت ثم بنى لها الخواصل والاهرام
فجمعت فيها فضاقت عنها المخازن فى أول سنة ولم يزل يفعل ذلك فى كل سنة
الى ان انقضت (السبع) سنين الخصبه ودخلت (السبع) سنين المجدة
فوقع الفلاء واشتد البلاء وحصل عندهم من الجوع ما منع الهجوع قال
بعض الحكماء للجوع والقمط سبيان أحدهما أن النفس تحب الطعام
أكثر من العادة والثانى أن يفتقد الطعام فلا يوجد فتجوع النفس واجتمع
عذان السبيان فى عهد يوسف فأتته النساء والصبيان ينادون الجوع الجوع
فيا كلون ولا يشبعون وفى القصة انه لما دخلت السنون المجدة كان أول
من حصل له الجوع الملك فاتته نصف الليل ينادى الجوع الجوع فقال يوسف
هذا وان القمح قد عاله فأبرأه الله فى السنة الاولى من السنين (السبع)
المجدة فقد كل شئ أعدوه فى السنين السبع الخصبه لانهم كانوا يأكلون
فلا يشبعون فجعلوا يتساعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة

بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية
بالخلى والجواهر وفي السنة الثالثة بالمواشى وفي السنة الرابعة بالعبيد
والاماء وفي السنة الخامسة بالعقار وفي السنة السادسة باولادهم ونساءهم
وفي السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرّة الا صار عبد اليوسف
فقال الناس ما رأينا كالיום ملكاً أبداً ولا أعظم من هذا فقال يوسف للملك
كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فأتى فقال له الملك الرأى رأيت وأنت تبع
لك ومن بعض رعيته وعمالك فقال يوسف انى أشهد الله وأشهدك انى
قد أعثقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أموالهم وأملاكمهم (وروى)
أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع في تلك السنين من الطعام فقبل له التجوع
وفي يدك خزائن الارض فقال اخاف أن أشبع فأنتهى الجياع وكان يأمر
طباخ الملك أن يجعل غداً نصف النهار حتى يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى
الجياع فمن جهل الملوكة غداً هم نصف النهار (وكان) قد نزل بالشأم وأرض
كنعان التي هي أرض يعقوب عليه السلام من القمح مازل بأرض مصر
فأرسل يعقوب عليه السلام للميرة فحين دخلوا على يوسف عرفهم وهم له
منكرون لانه كان بين رميم له في الحب وبين قدومهم عليه (سبعون) سنة
وقيل ثمانون سنة فلما سألهم وقال من أنتم فأتى أنكر حالكم فقالوا من
أرض الشأم اصابنا الجهد فحننا ثم اتوا فقال لهم عيون جئتم تنظرون عودة
بلادنا فقالوا والله ما نحن عيون ولكنا اخوة بنو نبي واحد صديق يقال له
يعقوب قال فكم أنتم قالوا اثنا عشر فهلك منا أخ وذهب معنا الى البرية
فأكله الذئب وكان له أخ من أمه فأبونا يتسلى به عن أخينا الهالك قال فمن
يعلم ان الذى تقولونه حق قالوا نحن ييلاد لابه رفقنا فيها أحد قال فأقولى بأخ
لكم من أبيكم ان كنتم صادقين فانا أرضى بذلك (قالوا) استرأود عنه أباه ولما
لتاعلون) فعند ذلك جهزهم بجهازهم يعنى حل لكل واحد منهم بغير امن
الطعام (وقال) لفتيته اجعلوا بضاعتهم أى عن بضاعتهم (في رحالهم) لعلهم
يعرفونهم اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون) الى قيسل انما فعل يوسف

ذلك

ذلك لانه علم ان امانتهم وديانتهم تحم لهم على رد البضاعة ولا يستحلون
امسا كهافيرجعون لاجلها وقيل لانه رأى أخذ عن الطعام من أبيه
واخوته مع حاجتهم اليه لو ما قرده اليهم (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبا نانا)
انا قد مننا على خير رجل ما رأينا أشبه بك منه ولا به منك أنزلنا واكرمنا
وأحسن البنا وفي لنا الكيل وأخبروه بالقصة وقالوا يا أبا نانا (منع منا الكيل)
ان لم نذهب باخي بنا (فارسل معنا أختنا) بنيامين (نكتل) وانا له لحافظون)
فحفظه أشد الحفظ حتى نرده اليك فقال يعقوب (هل آمنه كم عليه الا كما
امنكم على أخيه من قبل قالته خير حفظا وهو ارحم الراحمين ولم يفتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم) أي عن بضاعتهم (ردت اليهم قالوا يا أبا نانا ما ينبغي
هذه بضاعتنا ردت اليها) أي أي شيء نطلب وراء هذا وفي لنا الكيل ورد
علينا الثمن أرادوا بذلك أن يطيبوا قلب أبيهم (وغير أهلنا) نشترى لهم
الطعام (وحفظ أختنا) بنيامين اذا أنفذه معنا (وزداد كيل بعير ذلك كيل
يسير) متيسر على من يتكاله لنا السخانة لاشقة فيه فقال لهم أبوههم (ان
ارسله معكم حتى تؤثوني موثقاً من الله) أي تحلفون لي بحق محمد خاتم النبيين
ان خنتوني في ولدي فأنت منه برآ يوم القيامة وهو منكم بريء (فلما أتوه
موثقهم قال الله على ما نقول وكيل) أي شاهد فلما أرادوا الخروج (قال)
لهم (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد واحدوا) من أبواب متفرقة)
خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى جمال وصور حسان وقامات ممتدة
(وما أغنى عنكم من الله من شيء) يعني الحذر لا يتفقد من القدر (ان الحكم
الله) أي الامر والقضاء والتدبير (عليه توكلت) أي اعتمدت (وعليه
فليتوكل المتوكلون) وقيل انما أراد دخولهم من أبواب متفرقة لانه بلغه أن
يوسف بمصر فأراد أن يفرقوا لعل أحدا منهم أن يراه فيخبره به فين دخلوا على
يوسف قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فأمر بأحسن المنازل
فزين بأنواع الزينة وجعلت فيه صواني الذهب مملوءة بالطيب عينا وشمالا
وأقام عن عينه ألف وصيف وعن يساره كذلك ثم جالس وأمرهم فدخلوا

عليه فاجلسهم وأمر بأنواع الأطعمة فحضرت على موائد الذهب فاجلس كل اثنين منهم على مائدة فيق بنيامين وحده فبكي وتذكر في نفسه أن أخى يوسف لو كان حياً لا كنت معه فقال يوسف لقد بقي أخوك هذا وحيداً فأجلسه على مائدته ثم انزل كل اثنين في بيت وقال هذا الاثنى له يعنى أخاه بنيامين فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح ثم قال انى انا أخوك فلا تبتهس اى لا تحزن (بما كانوا يفعلون) بنا فيعاصى فان الله قد احسن البنا وجمعنا على خير فلا تعلمهم بشئ مما علمتكم به فلما تعافوا وقعا ناقضت الملائكة فى السماء ثم قال يا أخى لا تحف فانى اريد أن آخذك منهم وتبقى عندى حتى نبعث الى أينافسأ حمال بحملة فى أخذك فلا تحزن ولا يشق عليك قال افعل ما بدارك قال فانى أؤم صاعى هذا فى يدك ثم نادى عليك بالسرقه ليعنى ذلك على أخذك عندى قال فافعل فذلك قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى فى حكمه لان الملك كان اذا أتى بسارق كشف الجلد عن قرنيه وسمل عينيه (الا أن يشاء الله) يعنى ان يوسف لم يمكنه أخذ أخيه فى دين الملك لولا ما أجراه الله على السنة اخوته أن جراه السارق الاسترقاق حيث قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اى جراه الموجود فى رحله ان يسلم الى الميسروق منه وكان ذلك سنة آل يعقوب فى السارق فحين امر بتجهيزهم جعل السقاية فى رحل أخيه بنيامين وهى مشربة كان يشرب بها الملك من ذهب مرصعة بالخواهر (ثم استخرجهما من وعاء أخيه) بنيامين فلما رأى اخوته ذلك نكسوا رؤسهم حياء منه واعتذروا اليه وقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من أبيه وامه (من قبل) أى قبل هذا قيل ان السرقة التى ذكروها عن يوسف عليه السلام أن سائلأ جاء فأخذ بيضة من البيت فأعطاهم السائل فغير بذلك وليس هذا بسرقة سلام الله على نبينا وعليه (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) ثم أنهم راودوه وترفعوا اليه وقالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا متعلق القلب به (فخذوا أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين) ان فعلت ذلك (قال

معاذ الله) أى أعوذ بالله (ان تأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده * فلما استأسوا
منه) أى أيسوا من أخذ أحدهم عوضاً عن أخيهم بنيامين رجعوا الى أبيهم
وقالوا (يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا) من سرقة وتيقناه لان
الصواع استخرج من وعائه (وما كمال الغيب) أى للامر الخفى (حافظين)
أسرق بالعصاة أم دس عليه الصواع في رحله ولم يشعر فقال لهم أبوهم عند
ذلك (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) أردعوه علمتم بنيامين رجاء منفضة فعاد
من ذلك سر (فصبر جيل) لاجزع فيه - (عسى الله) الآية (يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف وأخيه) تحسس في الخبر وتحسس في السر (ولا تأسوا
من روح الله) أى لا تقطوا من فرج الله (انه لا يأس من روح الله الا القوم
الكافرون) يريدان المؤمن يرجو فرج الله في الشدائد والكافر يقنط في
الشدّة (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وشكوا اليه حالهم وما حصل عند
أبيهم من فراق بنيامين (قالوا يا أيها العزيز رمسنا وأهلنا الضرة) فرق لهم
(وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) ثم رفع التاج عن رأسه وكان فيسه
علامة مثل الشامة ولا يسه يعقوب مثلها حين رأوها (قالوا أئنتك لانت
يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) بنيامين (قدمت الله علينا) وجمع ثلثنا بعد
ما فرق بيننا (انه من يتق) الزنا (ويصبر) على الغربة (فان الله لا يضيع أجر
المحسنين) الصابرين القائمين بطاعته (وفي القصة) أن يعقوب عليه السلام
لما قبل له ان بنيامين سرق وأخذ في سرقة قال لرويل اكتب باسم الله ابراهيم
واسحق ويعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله أما بعد فانا نحن أهل بيت موكل بنا بالبلاء فما جدى ابراهيم فألقى
في نار الخرد وأما أبي اسحق فوضعت المديّة على فخذه فقده الله بذبح عظيم
بعد ان شئت يده ورجلاه ووضع المسكين على قنائه وأما نافع كان لي ابن وكان
أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية فأبوا بقميصه ملطخا بالدماء
وقالوا قد أكله الذئب فبكت عليه حتى ذهبت عيناى وكان لي ابن هو
أخو من أمّه وكنت أنسلى به فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل

ميت لا نسرق ولا نلدسار قافا رحم ترحم واردد ولدي فان فعلت فالتة يجزيك
 وان لم تفعل والادعوت عليك دعوة تدرلك (السابع) من ولدك فلما وصل
 الكتاب الى يوسف وقرأه بكى وعيل صبره وعرف اخوته بنفسه فاستحبوا
 منه واعتذروا اليه مما وقع منهم في حقته (قال لا تريب عليكم اليوم
 يغفر الله لكم وهو ارحم الراحين) ثم قال لهم ما فعل أبي بعدى قالوا ذهبت
 عيناه من البكاء فقال (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجهه ابى يأت
 بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين) فقال يهودا أما ذهبت بالقميص بلطفا
 بالدم وأخبرته أن يوسف أكله الذئب وأنا أذهب اليه بالقميص فأخبره
 أنه حي فأفرجه كما أخرته فسار غمانين فرسخا في (سبعة) أيام وكان معه
 (سبعة) أرغفة زوادة (ولما فصلت العير) يعنى فارقت عريش مصر الى
 أرض كنعان (قال أبوه) لولد ولدك (انى لا جدريح يوسف لولا أن تغمدون)
 أى تسقهونى فى قول مجاهد (وفى القصة) ان الرشح استأذنت ربها
 فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن تأتية البشرى فاذن لها فأتته
 وروى أن يعقوب سأل البشير كيف تركت يوسف قال ملك مصر قال
 يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال لئن
 تمت النعمة مالى ما أكفئك به على بشارتك الا الدعاء هرقن الله عليك
 سكرات الموت ولا جعل لك الى بخيل حاجة فلما التى القميص (على
 وجهه ارتد بصيرا) بعد ما كان اعى وقويا بعد ان كان ضعيفا و (قال ألم
 أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وأن الله تعالى يجمعنا
 فقالوا عند ذلك (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف
 أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) قبل أنه أخر الدعاء الى وقت السحر لان
 الدعاء بالاسحار لا يحجب فلما دنا يعقوب من مصر كرم يوسف الملك فى خروجه
 اليه فخرج يوسف والملك فى أربع مائة ألف من الخند وركب معهما
 أهل مصر فلما نظر يعقوب الى الخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون
 مصر قال هذا ابنك فلما دنا كل واحد من صاحبه ترجل يوسف وذهب

ليبتدئ أباه بالسلام فنعمه من ذلك لان القادم يسلم أولا فقال يعقوب
السلام عليك يا مذهب الاحزان (قال) سفيان لما التقيا عانق كل واحد منهما
صاحبه وبكى وقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرى أما تعلم ان
القيامة تجتمعنا قال بلى والله كن خفت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك
(قال) وهب دخل يعقوب الى مصر وأولاده وهم اثنان وسبعون انسانا من
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام وهم ستمائة ألف وخمسمائة
وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والعواجر والرمي وكانت الذرية ألف
ألف ومائة ألف سوى المقاتلة فلما دخل يوسف بأبيه وأهله الى مصر قال
(ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع أبويه على العرش) أى السرير (وخرخوا
له سجدا) يعنى أباه وخالته واخوته وكان تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد
بالسجود وضع الجبهة على الارض لان ذلك لا يجوز الا لله تعالى وانما ذلك
الانحناء على سبيل التواضع والتعظيم لاعلى جهة الصلاة والعبادة فعند
ذلك قال يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) وهى الاحد عشر كوبا
والشمس والقمر را هم له ساجدين (قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ
أخرجنى من السجن) ولم يقل من الحب مع كونه أقول ما ابتلى به لئلا يذكر
اخوته ما فعلوه به فيكون فى ذلك توبيخ لهم ولما جمع الله عز وجل شمل يوسف
بأبيه وأقر عينه بأخيه وأتم له رؤياه وكان موسعا عليه فى دنياه علم أن
ذلك لا يدوم ولا بد من فراقه فأراد نعيمها هو أفضل منه فتأقت نفسه الى الجنة
فتمنى الموت ودعا ولم يتمنى قبلة ولا بعده الموت فقال (رب قد آتيتنى من
الملك) يعنى ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر
السموات والارض) أى خالقهما (أنت ولى) أى معينى (فى الدنيا والاخرة
توفى مسلما والحقى بالصالحين)

(خاتمة الباب وسبب طائره الاستطاب)

(أولها) حكى الثعالبي وغيره من المفسرين أن اخوة يوسف كانوا قد
اصطادوا ذبأبا ولطخواه بالدم وأثقفوه بالمبال ثم جازأه الى أيهم وقالوا يا أبا

هذا الذئب الذي يحل باغنامنا ويفترسها ولعله الذي فجعنا في أحننا لانشدك
في ذلك وهذا دم عليه فقال يعقوب أطلقوه فأطلقوه فقبصص له ذنبه وأقبل
يدنومنه فقال له يعقوب ادن فدنا حتى ألصق خسته بفخذه فقال أيها الذئب
لم فجعتني في ولدي وأورثني بهذه حزننا طويلا ثم قال اللهم أنطقه فانطقه الله
تعالى فقال والذي اصطفاك نبيانا ما أكلت لحمه ولا ضربت جلده ولا نتفت
شعره والله مالي بولدك عهد وانما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحي مصر
في طلب أخ لي فقدته فلا أدري أحي هو أم ميت فاصطادني وولدك وأوثقوني
وأحضروني وان سلوم الانبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش والله
لا أقت في بلاد يفعل فيها أولاد الانبياء بالوحوش هكذا فأطلقه يعقوب وقال
لبنيه لقد أنيتم بالحق على أنفسكم هذا ذئب خرج يتتبع ذمام أخيه وأنتم
ضيعتم أخاكم وعلتم أن الذئب يرى مما جئتم به بل سولت لكم أنفسكم أمرا
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (ثانيها) ثبت في الصحيحين عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينما راع
في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت اليه الذئب وقال
من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبيننا رجل يسوق بقرة قد جل
عليها فالتفت اليه فكلمته فقالت اني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للعرث
فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أو من بذلك
أنا وأبو بكر وعمر ورواه البخاري ومسلم وقوله يوم السبع هو يسكون الباء قال
ابن الأعرابي (السبع) أرض المحشر (ثالثها) ثبت أيضا في صحيح الترمذي عن
أبي سعيد الخدري قال بينما راع يرعى غنما أذا جاءه ذئب فأخذ منها شاة فقال
الراعي ينشه وبين الشاة فاقى الذئب على ذنبه فقال ياراهي اتق الله تحول
بيني وبين رزق رزقني الله عز وجل فقال الراعي العجب من ذئب مقيم يكلمني
بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالبيعة يحدث الناس أخبارا من قد سلف فساق الأعرابي غنمه حتى أتى
المدينة فزواها ناحية ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه فقال النبي صلى الله

عليه وسلم صدقت ثم قال ان من اشراط الساعة ان تكلم السباع الانس
والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عدبة سوطه وشرائه
وتجبره فخذ بهما احداث اهل اورد ابو عيسى الترمذي بعض هذا الحديث
في جامعه عن سفيان بن الربيع عن أبيه عن القاسم بن الفضل وقال هذا
حديث حسن صحيح (أقول) قال القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف
حقوق المصطفى عند ذكر هذا الحديث مانعه وروى حديث الذئب عن
أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقف على غمك وترك نيامك يبعث قط
أعظم قدرا منه قد فحمت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون
قتالهم وما يبينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى قال الراعي
من لي بغني قال الذئب أنا لها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه الغنم ومضى وذكر
قصته واسلامه ووجود النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم عد الى غمك تجد ها فرفها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاء منها
(رابعها) قال القاضي عياض في الشفا أيضا وقد روى مثل هذا ابن وهب
أنه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجده أخذ طيبا
فدخل الطيب الحرم فانصرف الذئب فمجبنا من ذلك فقال الذئب أعجب من
ذلك محمد بن عبد الله بلدينه يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
أبوسفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا ليكة لتترككن اخلوا انتهى أقول
فيا عجباً كيف يعصى الاله أم كيف يجده الواحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

إلى واقعه (وقال آخر)

في الارض آيات فلاتك منكرا * فمجايب الاشياء من آياته
(خامسها) روى عن الشعبي انه قال خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون
فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنا فقال الاسد للذئب اقسم فقال حمار
الوحش للملك والغزال الى الارنب للثعلب قال فرفع الاسد يده وضرب
رأس الذئب ضربة فاذا هو منجدل بين يديه ثم قال للثعلب اقسم هذه بيننا

فقال الحمار يتغذى به الملك والغزال يتغشى به والارنب بين ذلك فقال الاسد
ويحك ما أقضالك من الذي علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس
الذئب (سادسها) حكى عن العرب ان الذئب اذا أراد النوم راح بين عينيه
فينام باحدى عينيه فيغمض الواحدة ويفتح الاخرى اتسكون حارسة
له من شر ما يؤذيه وفي ذلك يقول شاعرهم وهو جند بن هلال
ينام باحدى مقلتيه ويتقى * بالآخرى الاعادى فهو يقظان نائم
(وحكى) أيضا ان الارنب ينام وعينه مفتوحة وان وفي ذلك يقول المتنبي
ارانب غير أنهم مالوك * مفتحة عيونهم ينام
وهذا من العجائب (سابعها) حكى ابو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى
ان اسدا كان يلازمه ويحضر مجلسه ذئب وأعلب وان الاسد وجد علة
فرض بها وتأنى الثعلب أياما ففقدته الاسد وسأل عنه من الذئب وقال ما
فعل الثعلب فالى لم أراه منذ أيام مع ما عرض لى من المرض فانتزها الذئب
ليغرى به الاسد ويفسد حاله عنده ويحمله على مكره فقال أيها الملك ما هو
الآن وقف على علك فاستبست بنفسه ومضى فيما يخصه من لهوه وكسبه
فبلغ الثعلب ما قاله الذئب فوافى الاسد فلما دخل عليه قال له الاسد ما آخرك
عنى مع علمك بعلقى وحاجتى الى كونك بالقرب منى قال أيها الملك لما وقفت
على العلة العارضة لك لم يقر لى قرار فجعلت أجول البلاد وأجوب الآفاق
الى أن وقف على ما يشئى الملك من مرضه فقال قد علمت أنك لا تفارق
نصيحتى ولا تخرج عن طاعتى فما الذى وقفت عليه مما أشقتى به قال تناولك
خصيتى الذئب فانه يريدك حين يستقر فى جوفك فقال أنا عامل هذا تخرج
الثعلب وجلس فى دهليز الاسد ووافى الذئب فحين وقف بين يدي الاسد
وثب عليه والتقم خصيتيه فخرج الذئب والدم يسيل على فخذيه فلما
مر بالثعلب قال له يا صاحب السراويل الاجر اذا جالست الملوكة فانظر
كيف تذكر حاشيتهم عندهم (اقول) ومن غريب الاتفاق ما اتفق
لابى الفرج المعافى راوى هذه الحكاية أنه قال حجبت سنة وكنت بمعى

في أيام التشريق فسمعت مناديا ينادي يا أبا الفرج فقلت له ليريدني ثم قلت
في الناس خلق كثير من يكنى أبا الفرج فله ينادي غيبي فلم أجبه فلما رأى
انه لم يجبه أحد نادى يا أبا الفرج المعافي فهممت ان اجيبه ثم قلت قد يتفق
ان يكون أحدا سمع المعافي ويكنى أبا الفرج فنادى يا أبا الفرج المعافي بن
زكريا النهرواني فقلت لم أشك في مناداته اباي اذ ذكر اسمي وكنيتي واسم أبي
وبلدني الذي أنسب اليه فقلت لها إذا فخرت يد فقال اهلك من نهروان
الشرق قلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فجمعت من اتفاق الاسم
والكنية واسم الاب وما أنسب اليه وعلمت ان بالغرب . وضعا يسمى
النهروان غير النهروان الذي في العراق حكى هذه الحكاية عند أبي عبد الله
الجدي وهي من العجائب

الباب الثاني في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في قصة موسى

عليه السلام وفرعون

(أقول) قد تقدم في المقدمة ان آخر مناجاة موسى عليه السلام يارب أوصني
فقال أوصيك بأمرين قال سبع مرات ولما استأجر شعيب . وصي عليه ما السلام
لرعى الغنم قال له ادخل هذا البيت اميت عنده فيه عصي الانبياء عليهم السلام
فخدمها عصا نطرد بها السباع من غنمك وكان املا فدخل فأخذ عصا كان قد
هبط بها آدم من الجنة وتوارثها الانبياء عليهم السلام حتى وصلت الى شعيب
عليه السلام فقال لموسى ردها وخذ غيرها ففعل ذلك فما وقع في يده غيرها
سبع مرات فعلم ان لها شانا (وقيل) ان ملكا جاء شعيبا في صورة انسان
فأودعه هذه العصا فأمر شعيب ابنته بان تدفع الى موسى عصا فلم يقع في يدها
الا هذه العصا سبع مرات فدفعها الى موسى ثم ندب على ذلك لانها كانت
عنده وديعة فخرج بها موسى فقبضه شعيب وقال ردا للعصا فقال هي عصا
فاختصمنا الى أول قادم يقدم عليهما فقدم عليهما ملك في صورة انسان فقال
لومسي ألق العصا فنأخذها منك كما فهي له فألقها فاعالجها شعيب فلم يطقها
فأخذها . وصي فعلم شعيب انه اله ثم قال له اذا بلغت مفرق الطرق فلا تأخذ

عن يمينك فان هنالك تبتنا أخافه عليك وعلى غمك فأخذت النجم فذلك
الموضع بغير اختيار موسى فجاءه فوجده كثيرا الكلا فنام فجاء التنين فقاتله
العصا حتى قتله ثم عادت مكانها فاستيقظ موسى فوجد العصا صامة والتنين
مقتولا فلا درناح لذلك وعلم ان للعصا شأنا عظيما في آياتها العظيمة ما أخبر الله
تعالى في قوله تعالى ما يكاد عن فرعون ان كنت جنت بآية فأبى بها ان كنت من
الصادقين فألقى عصاه فاذا هي نعبان ممين أي حنية صفراء شقراء فاغرة فاها
بين لمحيها ثم انون ذراعا (قيل) وارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على
ذنبها ووضعت حنكها الاسفل في الارض والاعلى على سطح القصر الذي فيه
فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث قيل أخذ البطن في ذلك اليوم
أربعمائة مرة وجلت على الناس فانهم زموا ومات منهم مائة وخمسة وعشرون
ألفا قتل بعضهم بعضا فدخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا
أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا فسكت
فرعون بعد ذلك وأرسل في المداثر حاشرين هم الشرايط يحشرون الناس أي
يجمعون السحرة من مديات الصعيد اذ كانت بها أئمة السحرة وهذه المداثر
التي أرسل فرعون فيها من يحشر السحرة وكانت سبع مديات حكاهما
المهدوى في تفسيره وهي شطا وابوصير وبيا وطنان وارمنت
واتريب وانصنا (قال) الكواشي في تفسير قوله تعالى ثم أتوا صفا كانوا
سبعين ألفا ساحر مع كل ساحر منهم جبل وعصا كل ألف صف (أقول) فعلى
هذا كانوا سبعين صفا فلما ألقوا سحروا أعين الناس أي صرفوا أعينهم عن
حقيقة ما فعلوه من التوبة والتخيل وهذا هو السحروا سترهوههم أي
أفزعوههم وجأوا بسحر عظيم لانهم ألقوا حبلا وعصا فاذا هي حبات كمثل
الجلال قدملات الوادى وركب بعضها بعضا وكانت الارض الملقى فيها ميلا
في ميل فحين التي موسى عصاه سدت الارض وكان اجتماعهم بالاستكديرة
فيقال ان ذنب الحية بلغ من وراء البحيرة ثم فتحت فاها ثلاثين ذراعا فاذا هي
تلقف ما يافكون أي يكذبون ويزورون على الناس فابتلعت جميع ما لقوا

وقصدت الناس فهلك منهم في الزلحم خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذهم موسى
فصارت عصا كما كانت فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فلما آمن من
السحرة من آمن كما أخبر الله تعالى قال الباقر مهماتنا تنبه من آية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسل الله عليهم الطوفان وفيه سبعة
أقوال قبل الطوفان الماء دخل بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم
فمن جاز منهم غرق وكانت بيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مستبكة
مختلطة فامتثلت بيوت القبط ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قارة واحدة
ودام ذلك عليهم سبعة أيام وقيل الطوفان الموت وقيل الطاعون بلغة اليمن
وقيل أمر الله طاف بهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ما نحن فيه
وفحن نؤمن بك فدعا الله فرفع عنهم فما آمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكت
جميع ما يؤكل حتى اكلت الابواب والسقوف والاشباب والابواب
الحديد والمسامير ولم يدخل بيوت بني إسرائيل شيء فاستغاثت القبط بموسى
ووعدهم التوبة قال الزخشرى في الكشف فكشف عنهم بعد سبعة أيام
وكان موسى عليه السلام قد خرج إلى الصحراء وأشار بعصاه شرقاً وغرباً
فرجعت الجراد حيث جاءت فلما انكثروا ولم يرجعوا عما كانوا عليه أرسل
الله عليهم القمل وفيه سبعة أقوال للمفسرين قيل القمل السوس الذي
يخرج من الحنطة وقيل الذي يخرج من جميع الجيوب وقيل هو جنس من
القراد وقيل هو ما يطير من الجراد والجراد ما طار وقيل هو الذباب وهو
أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل هو البعوضة وقيل القمل يفتح القاف
وسكون الميم وقرئ بهم ما فكل ما بقي من زرعهم وكان يدخل من بين ثوب
أحدهم وجده فيصه وكان ياكل أحدهم طعامه فيميتله فنه قلا ودام
ذلك عليهم سبعة أيام فاستغاثوا بموسى عليه السلام فدعا لهم فرفع عنهم
فظم يزادوا الاتكذبياء وقالوا قد تحققتنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون
لا تصدك أبداً فأرسل الله عليهم الضفادع فدخلت بيوتهم وورقت
في أطعمتهم وكانوا يجلسون في الضفادع إلى رقابهم فاذا تكلم أحدهم

وثب الضفدع في فيه وكذلك ان أكل أو شرب نجس عليهم جميع معيشتهم
فبكوا وشكوا الى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة تنوب ولا ترجع
فأخذ موثيقهم على ذلك ثم دعا لهم فكشف عنهم بعد ان أقام عليهم سبعة
أيام فنقصوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل دما وضارت مياههم
دما فلا يجدون ماء الا دما عبيطا حار وكان فرعون يجمع بين القبطي
والاسرائيلي على انا واحد فخايلي الاسرائيلي يكون ماء وما يلي القبطي
يكون دما حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي لي
الماء في فيك ثم يجبه في في فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى
على الهلاك وكان يمس الامتجار الرطبة فاذا مصها صار ماء وها دما فقالوا
يا موسى ادع لنا ربك فدعا فكشف عنهم بعد ان أقام عليهم سبعة أيام
فعادوا الى عنادهم وكفرهم وفسادهم * آيات مفصلات أى يتبع بعضها
بعضا وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد سبعة أيام من السبت الى السبت
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز أى الطاعون وهو
العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم في يوم واحد
سبعون ألفا فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك من اجابة الدعوة
لئن كشفت عنا الرجز هو الطاعون لنؤمنن لك ولترسلن معك بنى اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه أى الفرق اذا هم سيكونون أى
ينقصون فانتقمنا منهم فاغرقتناهم في اليم أى البحر بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين * أقول وقبل ذكر قصة فرعون وغرقه نذكر نبذة من سيرته ومبدا
ولايته وصفته قال وهب كان فرعون قصيرا طول لحيته سبعة أشبار وقيل
كان طوله قدر ذراع قال ابن المبارك كان فرعون عطارا باصبعه ان فافلس
وركبه الدين فخرج منها هاربا من الدين فأتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى
مصر فرأى على باب المدينة رجل بطيخ فسأل عن سعره فقيل له هذا بدرهم
فدخل المدينة فسأل عن البطيخ فقيل له كل بطيخة بدرهم فقال من ههنا
أقضى ديني فاشترى جلابا بدرهم وأتى باب المدينة فنهبه البوابون فخافق منه

الا واحدة فباعها بدرهم فقال ما هذا ما ههنا أحد يتظر في مصاخر الناس
 فقالوا له ملكك مشغول بلدته وفوض الامور الى الوزير وهو لا يتظر في شئ
 فخرج فرعون الى المقابر فجعل لا يمكن أحد من الذين الانخمسة دراهم
 فأقام على ذلك مدة لم يعترض له أحد فانت بنت الملك فقال ها تو اخمسة دراهم
 فقالوا ويحك هذه بنت الملك فقال ها تو عشرة دراهم فلم يزل يضعفها الى أن
 بلغت مائة درهم فأخبروا الملك بجديته فقال ومن هذا فقالوا عامل الاموات
 فأرسل الى الوزير فسأل عنه فانكر حاله فأرسل اليه الملك وقال له من أنت
 فأخبره بنجر البطيخ وقال ما علمت عامل الاموات الا حتى يصل اليك خبري
 وتحضرني فأنتصحت لتستيقظ لنفسك ولتخفظ ملكك والاذهب منك
 فاستوزره وقتل الوزير فسار في الناس سيرة حسنة وكان عادلا سخيًا يقضي
 بالحق ولو على نفسه فاحبه الناس فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمان طويلا
 حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجب وطغي وقال أنار بكم الاعلى
 (قال) قتادة القراعنة ثلاثة أولهم سنان الاشل صاحب سادة كان في زمن
 الخليل بمصر الثاني الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن
 مصعب وهو فرعون موسى (قال) الجوهرى فرعون لقب الوليد بن مصعب
 ملك مصر وهو عات وكل عات فرعون والعنة القراعنة وفي الحديث
 أحدنا فرعون هذه الامة يعنى أباجهل وكانت الكهنة قد أخبرت فرعون
 وقالوا له يولد مولود في بني اسرائيل يكون هلاكك على يده فأمر فرعون بذبح
 كل مولود يولد في بني اسرائيل ووكّل الشرط مع القوابل كلما ولد مولود
 ذبحوه واسرع الموت في مشايخ بني اسرائيل فقال رؤساء القبط لفرعون
 قد أمرت بذبح الابناء وقد اسرع الموت في المشايخ فان دمت على هذا لم يبق
 لنا من يخدمنا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد موسى عليه
 السلام في سنة الذبح فلما تلقته القابلة لاح نور بين عينيه فها لها وهابته
 وقالت لامه احفظي ابنك فهذا هو المطلوب الذي أخبرتنا الكهنة أنه عدونا
 لانها كانت قبطية وكانت مصرية لام موسى عليه السلام فلما أدخلوا عليها

الشريطة وكان التنور يسجر فلقته في خرقة وألقته في التنور فلما خرجوا
 قامت الى التنور فوجدته سالما فألهـمها الله تعالى أن صنعت له نائونا
 وقذفته في البحر فساقتها القدر الى نهر يأخذ من النيل الى دار فرعون ووافق
 جلوس فرعون في ذلك الوقت على البركة ومعه آسية بنت مزاحم فدخل
 التابوت الى البركة فأمر فرعون باخراجه وفتحته فرآه فرعون فقال عبراني
 كيف أخطأه الذبح فأمر بذبحه فقالت له آسية انما امرت بذبح أبناء
 السنة وهذا أكبر من سنة فدعه عسى أن يكون قرعة عين لي ولك ولا تقتله
 عسى أن ينفعنا أو يتخذه ولدا وكان لا يولد لفرعون الا البنات فأحببه حبا
 شديدا بحيث كان لا يصبر عنه لحظة (قال) ابن عباس فذلك قوله تعالى
 وألقيت عليك محبة مني فجعلته آسية المراضع فلم يقبل منها ثديا فقالت
 مريم أخته وكانت خرجت في طلبه والقميص عن أمره كما أخبر الله تعالى
 ودخلت دار فرعون فقالت هل أدلكم على من يكفله أي يرضعه ويضمه
 قالت آسية نعم فأرسلت الى أمه فجاءته وأعطته ثديها فقبله وجعل يشرب
 فذلك قوله تعالى فرددناه الى أمه كي ترضعها وروى انه أفام سبعة أيام
 وقال الكواشي غمانية أيام بليلتين لا يقبل ثدي مرضعة واخوته تعلم بذلك
 فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم الآية فكث عند أمه الى أن
 فطمته ثم ردته فتبناه فرعون وآسية واتخذاه ولدا فلما بلغ أشده واستوى
 وقتل القبطي وخرج من مدينة مصر خائفا يترقب قال رب نجني من القوم
 الظالمين ولما توجه تلقاء مدين واستأجره شعيب رعى الغنم ثمانى حجج أي
 سنين وقصته مشهورة كما أخبر الله تعالى في قوله ثمانى حجج فان اتممت عمرا
 فمن عندك الاية فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله الى أرض مصر آنس
 من جانب الطور الايمن نارا أي أبصر (قال) مجاهد انما رأى نورا ولكن
 وقع الاخبار عما كان في ظنه فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن
 أي من جانب الوادي الذي عن يمينه في البقعة المباركة التي يورث فيها
 لموسى عليه السلام وبعث فيها نبيان الشجرة أي ناحيتها وكانت غنابا

ان يا موسى اني انا الله رب العالمين الذي جميع الخلائق تحت طاعتي وقهرى
 وأن ألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان أى حية تسير بسرعة ولى مدبرا
 ولم يعقب لم يلتفت فتم قيل له يا موسى أقبل ولا تخف انا من الآمنين فلا
 يالك مكره اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص
 واضم اليك جناحك من الرعب أى ضع يدك على صدرك لينذهب عنك
 الرعب من معاينة الحية (قال) مجاهد من فرغ من شئ ففرّ جناحه اليه ذهب
 عنه الفزع فذا لك أى العصا واليد البيضاء برهانان من ربك الى فرعون
 ومثله انهم كانوا قوما فاسقين (وفى الحديث) مما رواه وهب بن منبه قال
 دخل موسى عليه السلام فقال له اامن بالله ولك الجنة ولك ملكك فقال حتى
 أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال بينا أنت اله تعبد تصير تعبد فأنت
 واستكبر وكان فى بداية ولايته سلك العدل والانصاف وانما أهلكه الله
 حيث اتخذ بطانة سوء فاسقين مثل هامان وقارون ومن ضارعهما ومعلوم
 ان الله تعالى اذا أراد بملك سوءا قبيض له قرباء سوء ولله در القائل حيث
 يقول

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
 اذا كنت فى قوم فصاحب خبارهم * ولا تصعب الاردى تضل وترتدى
 (قال) ابن جبير كانت مدة ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ستمائة سنة
 وعشرين سنة لا يرى فيها مكر وهافلو كان له فى تلك المدة جوع يوم أو جى
 ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية فلم يرزل محمولا فى هذه النعمة حتى أخذه
 الله نكال الآخرة والاولى (قال) ابن عباس الاولى قوله ما علمت لكم من اله
 غيرى الثانية قوله انا ربكم الاعلى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل
 نكال الآخرة والاولى تعذيبه فى أول النهار بالماء وفى آخره بالنار (قال) ابن
 الجوزى فى بعض مجاز الس وعظه وقد ذكر قوله تعالى فيما حكاه عن فرعون
 أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتى أفلا تبصرون يقتضون
 بنهر ماء أجرا ما أحسن هذا الكلام وأوقعه فى النفس (وقال)

المهدوى في تفسيره عن هذه الانهار انها كانت سبعة خيطان خليج
الاسكندرية وخليج دمياط وخليج صردوس وخليج منف وخليج القيوم
وخليج بنها وخليج سخا متصلة لا تنقطع وبين الجنات زرع من اول ارض
مصر الى آخرها وقد مدح الله تعالى تلك المعالم وطمس على تلك الاموال فقال
وهو اصدق القائلين ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون
وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعميون وزرورع ومقام كريم (قال) بعض
المفسرين المقام الكريم القيوم (وقيل) المقام الكريم ما كان لهم من
المجالس والمنابر الحسنة وكان فرعون اذا جلس على سريره وضع بين يديه
ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليه اشرف قومه عليهم اقبية الدياج
مخوصة بالذهب وكان قد استعبد بني اسرائيل واتخذهم خدما في الاشغال
فطائفة يبنون وطائفة يزرعون وطائفة ينحتون السوارى وطائفة يضربون
اللبن وطائفة ينقلون الحجارة والنساء يغزلن الكتان ويشجن والضعفاء جعل
عليهم ضريبة يؤدونها في كل يوم فمن غربت عليه الشمس ولم يؤدوا ضريبة
غلت يمينه في عنقه شهر اولما أراد الله هلاك فرعون وخلص بني اسرائيل
من هذه الشدة أمر موسى عليه السلام أن يسرى بهم من مصر ليلافأمر
موسى عليه السلام قومه أن لا يسرجوا في بيوتهم الى الصبح فاخرج الله
كل ولد زنا في القبط من بني اسرائيل اليهم وكل ولد زنا في بني اسرائيل من
القبط الى القبط حتى رجع كل الى آبيه والى الله الموت في القبط فمات كل
بكر لهم واشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا وخرج موسى عليه السلام في ستمائة
ألف وسبع مائة ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين اصغره ولا ابن الستين
أكبره وكانوا يوم دخولهم مصر مع يعقوب عليه السلام اثنين وسبعين انسانا
ما بين رجل وراة (قال) ابن عطية قتلوا حتى بلغوا في زمن موسى العدد
المذكور فساروا وموسى على ساقاتهم وهرون على مقدمة ثم وبدرفيهم
فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في بني اسرائيل حتى يصبح
الديك فلم يصبح في تلك الليلة ديك فخرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته

ها مان في ألف ألف وسبع مائة ألف سوى سائر الشباب وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الالوان (وقيل) كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان من الدهم سوى غيرها من الالوان وكان فرعون في الدهم (وقيل) كان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف أصحاب الاعددة فأوحى الله تعالى الى البحر اذا ضربك موسى به صاه فانطلق له فبات يضرب بعضه بعضاً خوفاً من الله تعالى وانظروا الامر فساتر بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع هذا فرعون خلقنا ان أدركنا قتلنا وان دخلنا البحر غرقنا وذلك معنى قوله تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انالمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين (فأوحى الله) تعالى اليه ان اضرب بعضاً البحر فضر به فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه ان كنه فضر به وقال انطلق أبا خالد باذن الله تعالى فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريق كالجبل وأرسل الله تعالى الريح على قعر البحار فصارت ريحاً خاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا فأوحى الله تعالى الى الماء ان يتشبهك فصار الماء شبايبك يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلاماً بعض حتى عبروا سالمين فلما وصل فرعون الى البحر رآه منفلقاً فقال لقومه انظروا الى البحر قد انطلق من هيتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه فقالوا ان كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون أثني فجاء جبريل في صورة هامان على فرس أثني وديق أي حائل فتقدمه وخطب البحر فلما سمع أدهم فرعون ريجها اقم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئاً واقحم الخيول خلقه فلما صار آخرهم في البحر وهتم أولهم بالخروج انطلق عليهم طرفا البحر ولم الماء اسود وعلا ضجيجهم وتباراته وأما وجهه رغرغوا أبجعون فلما ألجم فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو

امراة بل فجعل جبريل عليه السلام يدس في فيه من طين البحر ويقول آلا ن
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وفي القصة أن نيل مصر أمسك عن
جريانه في زمن فرعون فقال القبط له ان كنت رباً فأجر لنا الماء فركب وأمر
بجنوده قائداً قائداً وجعلوا يعيشون على درجاتهم وتقدم هو حيث لا يرونه
ونزل عن فرسه ولبس ثياباً رثة وتضرع الى الله تعالى فاجرى الله تعالى له
الماء فأتاه جبريل وهو وحده بقسيماً يقول الامير في عبد لرجل نشأ في نعمته
ولاسيد له غيره فكفر نعمته وادعى السيادة فكتب فرعون فيها يقول ابو
العباس الوابد بن مصعب بن الريان جزاء العبد الخارج على سيده أن
يغرق في البحر فأخذم جبريل ومرفلاً أبلجهم الفرق ناوله جبريل خطه فعرفه
واغرقه الله تعالى وذلك في بحر القلزم من بحار فارس وقيل من بحار مصر
والله تعالى أعلم

(خاتمة الباب وجميع طائفة المستطاب)

(اولها) قيل ان مؤمن آل فرعون كان ابن عم فرعون وهو الذي قال لموسى
ان الملائكة يأتون بك ليقتلوك اي يتشاورون في قتلك فأخرج اتي لك من
الناصحين (روى) أن رجلين سعييا به الى فرعون وقالاه انه آمن بموسى
فامرهما فرعون باحضاره فلما أحضره قال لهما فرعون من ربكما قالاه
أنت فقال للمؤمن من ربك فقال ربى ربهما فتوهم فرعون أنه قصده بهذا
القول فقال للساعين سعييما الى برجل هو على ديني لاقتله ثم صلبهما وسلم
الرجل المؤمن فذلك معنى قوله تعالى فوفاه الله سيئات ما مكروا وحاق بال
فرعون سوء العذاب فقوبل كل منهما بسوء فعله وانعكست عليه حيلته ولا
يحقق المكر السيئ الا بأهله (ثانيها أقول) وفي معنى هذه الحكاية ما حكى
أنه كان لبعض الملوك وزير اذا أصبح كل يوم يسلم عليه ثم يقول بعد السلام
سيجزي المحسن بإحسانه وسيمكفك شر المسىء اسأته لا يترك هذا القول
كل يوم وكان مقر باعند الملك فحسده حاسد فسعى في هلاكه بأن اضافه
واطعمه طعاما فيه نوم كثير ثم جاء الى الملك فقال له ان هذا الوزير الذي

قدمته على كل أصحابك قد فضحك بين الناس وأشاع عنك الخبر فلما أصبح
الصباح جاء الوزير على عادته للسلام على الملك فغطى فيه ثلاثين من
رائحة الثوم فظن الملك أنه غطى فيه لاجل الخبر الذي أشاعه عنه فكتب
الملك رقعة الى بعض توابه وقال فيها اذا وصل حامل الرقعة فاقطع رأسه
واسلخه واملا جلده تبنام ختم الرقعة وكانت عادة الملك أن لا يكتب بيده
الارقعة الجوائز العظيمة واعطاها للوزير واهمه انها جائزة صلة فخرج بها
فوجد الحاسد الذي وشى عليه عند الملك واقفا على الباب فقال للوزير ما هذه
الرقعة فقال جائزة كتبها الى الملك فقال انفعها الى حتى اذهب فاحصلها
واحملها اليك فدفعها اليه فذهب بها ففعل به ما كان مكتوبا فيها فلما جاء الوزير
في اليوم الثاني على عادته للسلام على الملك تعجب الملك منه وسأله عن انقصة
فذكرها له فقال هل كان بينك وبينه شيء قال لا الا أنه اضافني واطعمني طعاما
فيه ثوم كثير فذلك غطيت في بالامس عند الملك بعد السلام عليه لا أعلم بيني
وبينه غير هذا فقال له الملك صدقت في قولك كل يوم ان المحسن سيجزي
باحسانه وسيكفيك شرا المسمى اسأته (أقول) وعلى ذكر هذه الصلة ذكرت
ما حكى عن المتلس وطرفة بن العبد وذلك انهما كانا يادمان الملك عمرو بن
هذافهمجوا وهجوا قبيحا فلم يظهر لهما شيئا من التغير ثم مدحا بعد ذلك فكتب
اياهما الى عامله بالحيرة وقيل بالبحرين كتابين وأمره بقتلهما اذا وصلا اليه
وأوهمهما أنه كتب لهما بصله وجائزة فخر جاحتي مر في بعض الطريق بشيخ
وهو يتحدث بيا كل خبز او يقتل القمل في ثيابه فقال المتلس ما رأيت شيئا
كاليوم أحق من هذا فقال له الشيخ وما رأيت من حق أخرج داء وأدخل
دواء واقتل عدوا ولكن أحق مني الذي يحمل حقه في يده فاستراب المتلس
وقال لطرفة كل واحد منا قد هجما الملك ولو أراد أن يعطينا شيئا لاعطانا
ولم يكتب لنا الى الحيرة فهم ندفع كايينا الى من يقرؤهما لانهما كانا لا يحسنان
القراءة فقال لطرفة ما كنت لافتح كتاب الملك فقال المتلس والله لا تفهمه
ولا أكون كمن يحمل حقه يده ثم نظر فاذا غلام خرج من الحيرة فقال له اقرأ

يا غلام فقال نعم فدفعت اليه الكتاب فلما نظر اليه قال شككت المتلس أمه واذا في الكتاب اذا أناك المتلس فاقطع يديه ورجليه واذنيه وادفنه حيا فقال لطرفة افتح كتابك فاعطيه الامثل ما في كتابي فقال ان كان اجترأ عليك فلم يكن لي جثتي على ويوغر صدور قومي يقتلي فألقى المتلس صحيفة في نهر الحيرة وفر هارباً الى الشام ودخل طرفة الحيرة ودفعت الكتاب الى العامل وأخبره بما كان من المتلس فحن عليه لصدقه ودمس عليه من أشار عليه بالهروب فلم يتصمح وجاء الى العامل وقال له أظنك ثقلت عديك جازني وبخلت بها علي ولم تمثل ما أمرك به الملك فقال أما اذا كان الامر هكذا أنا أجيزك وأخذه وفعل به ما كان في الكتاب فقطع يديه ورجليه واذنيه ودفنه حيا وطرفة بن العبد هو من أصحاب القصائد وأول قصيدته المعلقة قوله

لخولة أطلال بركة نهمد * تلوح بكافي الوشم في ظاهر اليد
وقوافها صهي على مطيهم * يقولون لا تهلك أمي وتجلىد
(وقد ضمنت) أنا بحر هذا البيت فقلت من مقامه علمت في الاهرام
لقدبت بالاهرام حول احبة * جفوني ببردياس وتسهد
يقول بها صهي لبرد جليدها * وهجرى لا تهلك أمي وتجلىد
ومن قصيدة طرفة المدكور قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيسك بالاخبار من لم تزود
ويأتيسك بالاخبار من لم توده * بقلب ولم تضرب له وقت موعده

(ثالثها أقول) وعلى ذكر ملامة الوزير وهلاك الذي وشى عليه ذكرت ما حكى عن أحمد بن طولون وذلك انه دخل على أبيه يوما وهو صغير فقال بالباب قوم ضعفا فلو كتبت لهم بشي فقال أمتني بدواة فذهب قرأ في الدهليز حظية من حظايا أبيه قد خلا بها خادما فأخذ الدواة ولم يتكلم بشي فغشيت الجارية أن يسبقها الى أبيه طولون فجاءت اليه وقالت أجدرا ودني الساعة في الدهليز فصدقتها وكتب كتابا الى بعض خدمه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مشورة وقال لا جد اذهب بهذا الكتاب الى فلان فأخذه ومصر على الجارية

فقال

فقال الى ابن فقال الى حاجة مهمة للامير ولم يعلم ما في الكتاب فدفعته الى
الخدام الذي كان معها وقالت اذهب به وانما قصدت ان يزداد طولون حنقا
على أحد فلما وقف المأمور على الكتاب قطع رأس الخادم وبعث به الى طولون
فلما رآه عجب واستدعى أحده وقال له اصدقني بالذي رأيت والاقامتك فأخبره
قصة الجارية فطلب الجارية وقال اصدقيني خدشته بقصة الخادم فقتلها
وحظي أحد عنده ونشأ على سيرة حسنة وطلب العلم وسمع الحديث وتنقلت
به الاحوال حتى ولى مصر والشام وكان حكمه من الفرات الى المغرب
وصرف على الجامع المعروف به بين مصر والقاهرة مائة ألف دينار وعشرين
ألف دينار ورتب للعلماء والقراء وارباب البيوت في كل شهر عشرة آلاف
دينار والصدق في كل يوم مائة دينار وكانت فيه خلال جيلة الا انه كان سقاكا
للدما ومات في حبسه ثمانية عشر ألفا توفي في سنة ثمان وستين وثمانين وقيل له
في المنام ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لانا لله الا الله تعالى
وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت
أرى شيئا يقرأ على قبره ثم تركه فسأله فقال كان له علينا بعض العدل
فأحببت ان أصله بالقرآن ثم رأيت في المنام فقال لا تقر على شيئا فانه مات على
آية الا وقيل أما سمعت هذه وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة عشر ذكرا
وخلف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن الممالك سبعة آلاف ومن
الغلمان أربعة وعشرين ألفا ومن الخيل سبعة آلاف فرس ومن البغال
والحمير ستة آلاف رأس ومن الجمال عشرة آلاف ومن الدواب الخاصة به
ثلثمائة ومن المراكب الشوانى الحربية والاغربة مائة مركب وكان له
خاصة في كل سنة أربع مائة ألف دينار (رابعها) اقول مثل جواب
مؤمن آل فرعون المتقدم ذكره ما اتفق لابن الجوزي رحمه الله تعالى قال
وذلك أنه وقع النزاع بين السنية والشيعة يبعد في المفاضلة بين أبي بكر
وعلى رضي الله تعالى عنهما فرضي الكل بما يجب به الشيخ أبو الفرج بن
الجوزي فأقاموا شخصا فسأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه

فقال أفضلهم ما بعده من كانت ابنته تحته ثم نزل في الحال للاباء ودوه
في ذلك فقال السنية هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه لان ابنته عائشة رضي الله
تعالى عنها وعن أبيها كانت تحت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت الشيعة
هو علي رضي الله عنه لان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تحته
وهذا من لطيف الاجوبة ولو حصل بعد الفكر التام كان في غاية الحسن فضلا
عن البديهة (خامسها) وسأله أيضا انسان رجه الله تعالى فقال ما لنا ترى
الكوز الجديد اذا صب فيه الماء ينش ويخرج منه صوت فما معنى ذلك فقال
له يا ولدي ذلك صوت شكواه فانه يشكو الى برد الماء ما لا فاه من حر النار
فقال السائل ما لنا نراه اذا ملائناه لا يبرد واذا انقص بردي فقال الشيخ حتى
تعلموا ان الهوى لا يدخل الاعلى ناقص (سادسها) وأنشد أيضا رجه الله
تعالى في بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر التسمي سري * على الرياض يكاد الوهم يؤاسي
من كل معنى لطيف أجتلي قدحا * وكل ناطقة في الكون تطربني
فقام اليه انسان وقصد العتب به فقال له يا مولانا وكل ناطقة في الكون
تطربني فان كان الناطق جارا فقال له الشيخ أقول له يا جارا سكت (سابعها)
قال رجه الله تعالى أيضا في بعض مجالس وعظه ما خلق الله رئيسا في الخير الا
وله مقابل من أهل الشر خلق آدم و ابليس والخليل وغرود و موسى وفرعون
ومحمد صلى الله عليه وسلم وأباجهله وهكذا أبدأ مقام اليه سائل فقال بالله
أنت من بجا ربك فقال ولا أحد وهذه كلمة بغدادية معناها ان الذي يجاري بني
ليس بشئ (وسأله) انسان عن الحسين الخلاج فقال ما يستل عن الخلاج الا
حائك (وقال) له انسان تركت الدنيا وحب الرياسة ما يخرج من قلبي فقال
المكاتب عبد ما بقي عليه درهم (ومن لطيف) أجوبته أن انسا قال له كيف
نسب قتل الحسين رضي الله تعالى عنه الى يزيد والحسين بكر بلا ويريد بمشقة
فأنشده

سهم أصاب وراميه بنى سلم * من بالعراق لقد أبعدت مر مالا

قسيحان من أعطاه سرعة الجواب مع اصابة الصواب (ومن غريب)
ما يحكى عنه انه حسب الكراريس التي كتبها مدة عمره فكان ما يخص كل
يوم منها سبعة كراريس وهذا من العجائب التي لا يكاد يقبلها العقل وجعت
برايات الاقلام التي كتب بها حديث النبي صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء
كثير وأوصى أن يسخن به الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت
وفضل منها

(الباب الثالث في ذكر نبذة يسيرة من أخبار الملوك السالفة بمصر وما كان
لبعضهم من السحر والاعمال العجيبة)

(أقول) ذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتاريخ الزمان أنه كان للترك
ملوك يقال لهم الخاقانية وللديلم ملوك يقال لهم الكاسانية وللفرس ملوك يقال
لهم الاكسرة وللروم ملوك يقال لهم القياصرة وللانباط ملوك يقال لهم
التماردة وللعرب ملوك يقال لهم التباغة وللقبط ملوك يقال لهم القراعنة
بادوا جميعا وانقرضوا سريعا فنسيت أخبارهم ودرست آثارهم فلم يبق
لهم حديث يروى ولا تاريخ يتلى قال صاعد في طبقات الامم ان أهل مصر كانوا
أهل ملك عظيم في الدهور الداخلية والازمان السالفة وكانوا أخلاطامن
الناس ما بين قبطى ويونانى وعلمنى الآن أكثرهم قبط وأكثر من ملك مصر
الغرباء فصار بعد طوفان نوح بمصر علماء بضروب من العلوم ولا سيما علم
الطلسمات والبرنجيات والكيمياء وطلسماتهم الى الآن باقية لم تنفد
وحكمهم باهرة وعجائبهم ظاهرة وكانت مصر خمسة وعثمانين كورة في كل
كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذى يعبد منهم الكواكب
السبعة سبع سنين يسمونه ماهرا والذى يعبد هاتسعا وأربعين سنة لكل
كوكب سبع سنين يسمونه فاطرا وهذا يقوم له الملك اجلا لا ويجلسه
الى جانبه ولا يتصرف الا برأيه ويدخل على الملك فى صيحة كل يوم ومعه
سبعة من الكهنة وجاعة من أرباب الصناعات فيقفون امامه وكل
واحد من الكهنة السبعة منفرد بخدمة كوكب لا يتعداه الى

سواء ويسمى بعد ذلك الكوكب اما عبد الشمس أو عبد القمر أو عبد زحل
فبقول الفاطر لاحدهم أين صاحبك يعني الكوكب الذي هو متكفل
بتخدمته فيقول له في البرج الفلاني في الدرجة الفلانية ويسأل الآخر كذلك
فيجيبه حتى اذا عرف مستقر الكواكب السبعة قال الملك ينبغي أن تعمل
اليوم كذا وكذا وتجمع في وقت كذا وكذا وتركب في وقت كذا وكذا
فيقول له جميع ما فيه المصلحة والكاتب بين يديه يكتب جميع ما يقول ثم
يلتفت الى أهل الصناعات ويأمرهم بوضع أيديهم في الاعمال التي يصلح
عملها في الوقت ويؤرخ جميع ما جرى في ذلك اليوم في صحيفة وتطوى وتودع
في خزان الملك وكان الملك اذا عزم على أمر مهم أمر بجمعهم خارج القصر
فتصطف لهم الناس في شوارع المدينة فيأتون ركباناً وبين أيديهم طبول
وأصناف الملاحى ويدخل كل واحد منهم باجوبة (منهم) من يعلو نور كنور
الشمس لا يقدر أحد أن ينظر اليه (ومنهم) من يكون على يديه جوهر احمر
واصفرو أزرق (ومنهم) من عليه ثوب مفسوج بالذهب ومنهم من يكون
راكباً اسداً متوشحاً بجياث عظيمة (ومنهم) من تكون عليه قبة من نور كل
واحد يصنع ما يدل عليه كوكبه الذي يتخدمه فاذا أقص عليهم الملك أمره
ضربوا فيه من الأمر ما يتفق وملك مصر (سبعة) من الكهنة وكانت لهم
الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الكاهن الاول) اسمه صيلم وكان
كاهنهم مل الأعمال العجيبة وهو أول من عمل مقياساً لزيادة النيل
وعمل بركة من نحاس عليها عقابان ذكر وأُنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان
اول شهر يذفيه النيل اجتمعت الكهنة ونسكاهوا بكلام فيصفر احد
العقابين فان كان الذكر كان الماء عالياً وان كان الانثى كان الماء ناقصاً
فيعتقدون لذلك (الكاهن الثاني) اسمه اغشاء مشر من اعماله العجيبة أنه
عمل ميزاناً في هيكल الشمس وكتب على الكفة الاولى حقاً وعلى الاخرى باطلاً
وعمل تحتها قصوراً فاذا حضر الظالم والمظلوم اخذ قصين وسعى عليهم ما يريد
وجعل كل قص منهما في كفة فتمثل كفة المظلوم وترفع كفة الظالم (الكاهن
الثالث) عمل امرأة من المعادن السبعة فينظر فيها الى الاقاليم السبعة

فيعرف

فيعرف ما أخصب منها وما أجذب وما أحدث فيها من الحوادث وعمل في وسط
 المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه فأى امرأة أصابها
 وجع في جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك المرأة فتبرأ من ساعتهما وهذا
 من العجائب (الكاهن الرابع) عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا
 تقرب منها ظالم اختطفته تلك الخطاطيف وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه
 وعمل صخامن كدان أسود وسماه عبد زحل يتحيا كمن اليه في زاع عن الحق
 ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينصف من نفسه (الكاهن الخامس)
 عمل شجرة من فحاش فكل وحش يصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ
 فشبت الناس في أيامه من لحوم الصيد والوحش وعمل أيضا على باب المدينة
 صئين عن عيين الباب وعن يساره فاذا دخل أحد من أهل الخير ضحك الصئمن
 الذي عن يمينه واذا دخل أحد من أهل الشر بكى الذي عن يساره وقيل غيره
 عمل ذلك (الكاهن السادس) صنع درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط
 ان يزن له برزته من النوع الذي يشتريه فاذا وضع في الميزان ووضع في مقابله
 كلما وجد من الصنف الذي يشتريه لم يعده ووجد هذا الدرهم في كنوز مصر
 في أيام بنى امية (الكاهن السابع) كان يعمل اعمالا عظيمة من بجلتها انه كان
 يجلس في السحاب في صورة انسان عظيم وأقام مدة ثم غاب عنهم وأقاموا بلا
 ملك الى ان رأوه في صورة الشمس وهى في الحمل فأعلمهم أنه لا يعود اليهم وانهم
 يملكون فلانا بعده (أقول) وعلى ذكر هذه الكهنة السبعة واعمالهم
 العجيبة حكى الزمخشري في كتابه ربيع الابرار انه كان بارض بابل سبع
 مدائن في كل مدينة عجوبة (في احداها) صورة تمثال الارض فاذا قصر
 بعض رعية الملك في حمل الخراج خرق انهار بلد هم عليهم في التمثال فلا
 يستطيعون سد الخرق حتى يؤدوا ما وجب عليهم وما لم يسد في التمثال لم يسد
 عليهم في ذلك البلد (وفي الثانية) حوض فاذا أراد الملك أن يجمعهم الى
 الطعام وشرا به أفى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض
 فتختلط الاشربة ثم تنقى السقاء وتسقى فلا يطلع لكل انسان في قدحه الامن

الشراب الذي جاء به (وفي الثالثة) طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن
 أهله قرعوه فاذا كان الغائب حيا سمع صوت الطبل وان كان ميتا لم يسمع له
 صوت (اقول) وعلى ذكر هذا الطبل حكى الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه
 البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استعرض
 حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقرض الدولة العبيدية الرافضة
 الزائفة بانها فاطمية حاشا لله وجد فيها من الامتعة والالات والملابس شيئا
 باهرا وأمر اهلها ثلاثين ذلك طبل اذا ضرب عليه أحد حصل له خروج ريح من
 دبره فيتصرف ما يجده من القولنج فاتفق أن بعض الامراء الاكراد اخذه
 في يده ولم يد رماشأته فلما ضرب عليه ضرب فخرق فالتقه من يده على الارض
 فكسره فبطل فعله وامره قال ابن خلكان كان عبد المجيد بن المنتصر الملقب
 بالحاظ الفاطمي كثير المرض بالقولنج فعمل له سبرة الديلي وقيل موسى
 النصري اني طبلا للقولنج وكان في خزائنهم وللملك السلطان صلاح الدين ديار
 مصر كسره وقصته مشهورة واخبرني حفيد شبرماء المذكور ان جده ركب
 الطبل من المعادن السبعة والكواكب السبعة في اشرافها كل واحد
 في وقته وكانت خاصيته اذا ضرب به انسان خرج الريح من مخرجه ولهذه
 الخاصية كان ينفع القولنج (وفي الرابعة) امرأة اذا أرادوا أن يعلموا حال
 الغائب نظروا فيها فابصروه على أي حالة هو عليها كانهم يشاهدونه حاضرا
 (وفي الخامسة) اوزة من فحاس فاذا دخل المدينة غريب صوتت الاوزة
 صوتا يسمعه أهل المدينة (وفي السادسة) فاضيان من خشب جالسان على الماء
 فيأتى اليهما الخصمان فيمشي المحق على الماء ويرسب المبطل فيه (وفي السابعة)
 شجرة عظيمة لا تطل الاساقها فان جلس تحتها واحد أظلمت الى ألف رجل فان
 زاد على الالف واحد زال الظل عن الكل وعادت الشمس عليهم وجلسوا
 كلهم فيها (اقول) وبابل التي كانت فيها هذه المدن هي بابل العراق وقيل
 بأرض الكوفة وجاء في تفسير قوله تعالى يا بابل هاروت وماروت ان الملائكة
 رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه

السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين اخترتهم في الارض انهم يعصونك فقال
الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبتم فيكم مثل ما ركبت فيهم لارتكبتم
ما ارتكبو انما لو اسجدناكم ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى
فاختاروا ملكين من اخياركم أهبطهما الى الارض فاخترارا الملائكة
هاروت وماروت وكانا من أصل الملائكة وأعبدهم فركب الله تعالى فيهما
الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما
عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس
يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم ثم صعدا الى السماء فلم ير
عليهما شهر حتى اقتننا وذلك انه اختصت اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من
أجل الناس وكانت من أهل فارس وكانت ملكة فلما رأياها أخذت
بقولهم ما فرادها عن نفسها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعل مثل
ذلك فأبت وقالت لاسيبل الى ذلك الا ان تعبد اما أعبد وتصليا لهذا الصنم
وتقتلا النفس وتشرب الخمر فقال لاسيبل الى هذه الاشياء فان الله تعالى
قد نهاها عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي
أنفسهما من الميل اليها ما فيها فرادها عن نفسها فعرضت عليهما
ما قالت لهما بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس بغير الحق
عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر وشربا وانتشيا ووقعنا بالمرأة فزينا بها
لما فرغنا رآهما انسان فقتلاه وقال الربيع بن انس وسجد الصنم فسيخ الله
تعالى الزهرة كوكبا وخير هاروت وماروت بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
فاختارا عذاب الدنيا لانه يتقطع فهما معلقان بشعورهما الى يوم القيامة
وقيل رؤسهما منصوبة تحت أجنحتهما وقيل كبلا من أنخاذهما الى اصول
قدميهما وقيل قد جعل في جب قدمي نارا وقيل منكسان يضربان
سياط من حديد (وروى) أن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما
معلقين بارجلهما من رقعة اعينهم ماء سودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين
الماء الاربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال

لا اله الا الله فلم يسمعها كلامه قال امن أنت قال رجل من الناس قال امن أى أمة
قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث محمد قال نعم قال لا الحمد لله
واظهر البشارة والبشارة فقال الرجل بم استبشاركم قال انه نبى الساعة وقد
دنا انقضاء عذابنا (أقول) وكان اصطلاح ملوك مصر من القبط فى النبروز أن
يأتى الملك رجل من الليل قد ارضى لما يفعله ويكون ملجج الوجه حسن
التياب طيب الرائحة فيقف على الباب حتى يصبح فإذا أصبح دخل على الملك
من غير استئذان ووقف بحيث يراه الملك فيقول له الملك من أنت ومن أين
أقبلت وأين تريد وما اسمك ولاى تشي وردت وما معك فيقول أنا المنصور
واسمى المباركة ومن قبل الله تعالى أقبلت والملك السعيد ارددت وبالهناء
والسعادة وردت ومعى السنة الجديدة ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه
طبق من فضة وفيه خنطة وشعير وجلبان وذرة وحصى وسمس وارز من كل
واحد سبع سنابل وسبع حببات وقطعة سكر ودينار ودرهم جلديدان فيضع
الطبق بين يدى الملك ثم تدخل عليه الهدايا ويكون أول من يدخل عليه
وزيره ثم صاحب الخراج ثم صاحب المعونة ثم الناس على مراتبهم ثم يقدم
للملك رغيف مصنوع من تلك الحبوب كبير موضوع فى سلة فىأكل منه
ويطعم من حضره ثم يقول هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان
جديد يحتاج ان يجدد فيه ما أخلق الزمان واحق الناس بالفضل والاحسان
الرأس لفضله على سائر الاعضاء ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفرق
عليهم ما حل اليه من الهدايا والتحف

(خاتمة الباب وسجع طائر المستطاب)

(أولها) كان من عادة القرم فى عيدهم أن يدهن ملكهم يدهن البان تبركا
ويلبس القصب والوشى ويضع على رأسه تاجا فيه صورة الشمس ويكون أول
من يدخل عليه الموبدان يطبق فيه اترجة وقطعة سكر وبنق وسفرجل وتفاح
وعذاب وعنقود عنب أبيض وسبع باقات آس قد زمرم عليها ثم يدخل الناس
على قدر طبقاتهم بمثل ذلك (أقول) ومن عادة العجم انهم فى أول يوم من سنتهم

يجمعون

يجمعون سبع سينات وياكلونها وهي السكر والسهمس والسמיד
والسنبوسج والسحاق والسذاب والسفرجل (ثانيها) كان اردشير
وانوشروان يأمران باخراج ما في خزائنهما في المهرجان والنيروز من
أنواع الملابس والقرش فيفرق في الناس على قدر مراتبهم ويقولان ان
الملك يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف
وليس من أخلاقهم ان تدخروا كسوتهم في خزائنههم ويساؤون العامة
في فعلهم (ثالثها) كتب ملك الهند الى كسرى انوشروان من ملك الهند
وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وياوان الباقوت والدر الى
أخيه كسرى انوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية المجد السيرة ملك
المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة وأهدى اليه ألف رطل من عود ديب
على النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجاء من الباقوت
الاجر فحمته شبر عودا وعشرة امانان كافور كالقستق وأكبر من ذلك
وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خذها وكان بين أجفانها
لمعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وافر اشامن
جلود الحيات أنعم من الحرير وأحسن من الوشي وكان كناية في لحاء الشجر
المعروف بالكادي مكتوبا بالذهب الاجر وهذا الكادي يكون بأرض
الهند والصين وهولون عجيب من النبات له رائحة طيبة تكتب فيه الملوك من
الهند والصين (رابعها) وكتب أيضا ملك الصين الى انوشروان (من يعصور)
ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان
العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين والذي تخدمه بنات ألف
ملك والذي في مربطه ألف قبل أبيض الى أخيه كسرى انوشروان وأهدى
اليه فارسا من درمنضد عينا فرسه من ياقوت أجم وقائم سيفه من درمنضد
بالجوهر وثوب صيني فيه صورة الملك في ايوانه وعليه حلة وتاجه وعلى رأسه
الخلد بما يدبهم المرازب والصورة منسوجة من الذهب وأرض الثوب
لازورد في سقف من ذهب تحمله جارية تعجب في شعرها يتلا أجمالها وغير

ذلك مما تهديه الملوك الى الملوك (خامسها) قوله تعالى في قصة بلقيس واني
مرسله اليهم بهدية فتناظرة بم يرجع المرسلون نقل المفسرون في وصف هذه
الهدية أقوالا منها أنها كانت خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة
كل لبنة مائة رطل وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وحقنة فيها درة ثمينة
وخزعة جعونة معوجة الثقب وخمسمائة جارية وخمسمائة غلام وألبستهم
لباسا واحدا وقيل البست الغلمان لباس الجوارى والبست الجوارى لباس
الغلمان وعمدت الى رجل من قومها يقال له المنذر بن عمرو ذى اب ورأى
وكبت معه كتابا فيه نسخة الهدية فقالت فيه ان كنت نبييا بين لنا بين الوصفان
والوصائف وأخبر بما في الحققة قبل ان تفحصها واثقب الدرة ثقباً مستويا من
غير علاج انس ولا جن وامرت الغلمان أن يكلموا سليمان عليه الصلاة
والسلام بكلام لين يشبه كلام النساء وامرت الجوارى أن تكلمه بكلام فيه
غلاظة يشبه كلام الرجال وقالت للرسول انظر اليه فان نظرت اليك نظرت مغضب
فاعلم بانه ملك فلا يهولنك منظره وان رأيت هشا لطيفا فاعلم بانه نبي مرسل
فافهم قوله ورد الجواب كما سمعت فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدى
مسرعاً نحو سليمان عليه السلام يخبره بالخبر فامر سليمان أن يضربوا اللبنة
الذهب واللبنة الفضة وأن يبسطوها في موضع الذي هو فيه الى سبعة
قراصخ وقيل ثمانية أميال في مثلها مبداناوا واحدا وأن يجعلوا حول الميدان
خطا مشرفا من الذهب والفضة ثم أمر الجن فحافوه باحسن دواب البر والبحر
فجعلوا حافى عين الميدان وشماله وأمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا خاليا
على قدر اللبنة اللاتي معهم وجلس هو في الميدان وحوله الانس والجن
والشياطين والطير والوحش قال فلما رأت الرسل ذلك الموضع الخالي من
لبنة الذهب والفضة خافوا أن يتهموا فتركوا امامهم من اللبنة فيه
وجعلوا يمررون على كراديس الانس والجن والشياطين وسائر الحيوانات حتى
وصلوا الى سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر اليهم بوجه حسن بهج طلق
وقال ما وراءكم فاخبره برئيس القوم الخبير واعطاء كتاب الملك بلقيس فنظر

اليه وقال أين الحق فجي معها فقال له جبريل ان فيها درة ثمينة وجوعة معوجة
 الثقب فقال ذلك الرسول فقال صدقت فأمر سليمان عليه السلام الارضه
 فأخذت شعرة في فيها ودخلت في تلك الدرة حتى خرجت من الجانب الآخر
 وجاءت دودة أخرى بيضاء فأخذت خيطا بفيها ودخلت في ثقب الجزعة حتى
 خرجت من الجانب الآخر ثم جمع بين طرفي الخيط وختمه ودفعه اليه ثم ميز بين
 الجوارى والغلمان وأمرهم بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية
 تأخذ الماء باحدى يديهما وتجعله في اليد الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
 كما يأخذ من الآنية يضرب به وجهه (وقيل) كانت الجارية تصب الماء
 على باطن ساعدها والغلام على ظاهرها فيميز بين الجوارى والغلمان ورد
 الهدية فلما رجع الرسول الى بلقيس وأخبرها الخبر قالت والله لقد عرفت
 انه ليس بملك والناب طاقه وأرسلت اليه انى قادمة عليك بملوك قومي حتى
 تنظر ما تدعوننا اليه من دينك قال الكواشي في تفسيره ثم جعلت سريرها
 داخل (سبعة) أبواب داخل قصرها وكان قصرها داخل (سبعة)
 قصور ثم أغلقت الابواب كلها وجعلت عليها حرسا وأوصتهم بحفظه ثم
 ارتحلت الى سليمان عليه الصلاة والسلام في اثني عشر ألفا وقبل في ألوف
 كثيرة فلما رأت على فراسخ من سليمان أراد عرشها قبل أن تصل اليه مسئلة
 فيحرم اذ ذلك وقبل ليربها قدرة الله تعالى وما أعطاه لانبائه من المعجزات
 فثم أقبل على جنوده وقال أيها الملا أياكم يأتي بعرشها قبل أن يأتي
 مسلمين أى مؤمنين طائعين قال عفريت من الجن وهو صخر الجنى أنا آتيك به
 ان اخترت قبل أن تقوم من مقامك أى مجلسك الذى تقضى فيه بين الناس
 وكان سليمان يقضى بين الناس من طلوع الشمس الى نصف النهار وانى
 على ذلك لقوى أمين أى قوى على جملة أمين على ما فيه من الجواهر فقال
 سليمان أريد أسرع من ذلك فثم قال الذى عنده علم من الكتاب قبل هو
 جبريل عليه السلام وقبل الحضر وقبل آصف بن برخيا وكان يعلم اسم الله
 الاظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى انا آتيك به قبل أن يرتد

الملك طرفك أي بقدر ما تفتح عينك ثم نغمضها أنا آتيك به وقيل بقدر ما ينتهي طرفك اذا مددته الى مداه والمعنى آتيك به في أسرع وقت فقال آصف بن برخيا سليمان مد عينك حتى ينتهي طرفك فتسليمان عينيه نحو اليمن فدعا آصف فغار عرش بلقيس ونبع من تحت كرسي سليمان وكانت المسافة بينهما شهرين (قيل) كان الذي دعا به آصف ياذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الهنا واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها فلما رآه استقر اعنوده ثابا لده قد جل من مارب الى الشام في أيسر مدة قال هذا من فضل ربي فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها فعرف سليمان عقلا حيث لم تقرو لم تنكر قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبه لجة أي ماء عظيم او قرئ عن رجلها فراها سليمان أحسن الناس ساقين لكنه رأى عليهم ما شعرا فصرف وجهه عنها ثم قال انه صرح عمر من قوارير رأى مملس مستوم من قوارير رأى من زجاج وليس ماء حقيقة ثم دعاها الى الاسلام فاجابت واسلمت وأراد تزوجها لكنه كره شعر ساقها فعملت له الشياطين النورة فأزال بها شعر ساقها فهي اول من اتخذ النورة فلما تزوجها أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها باليمن ثلاثة قصور لم يمثّلها حسناً وارتقاها وكان يزورها في ملكها كل شهر مرة (سادسها) قال الكواشي في تفسيره بعد ذكر هذه القصة عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا اياتنا لا يوقنون أي وقع القول على الكفار وقيل على جميع أهل النار والمراد بالقول العذاب (قال) وروى أن الدابة لها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل ولون غمر وصدراً أسد وخالصة هرة وذنب ابل وقرن كبش وقوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً وقيل لها وجه رجل وسائرهما طير (وقيل) لها زغب وریش وجناحان رأسها عيس السحاب ورجلاها في الارض (وعن) النبي صلى الله عليه وسلم بينما عيسى يطوف بالبيت

فتضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة معللة أقول
ما يمد ومنها رأسها ذات وبر وریش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
معها عصا موسى وخاتم سليمان (وعن) ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه
قال لو أشاء أن أضع قدمي اليوم لفعلت وجاء أنها تختم أنف الكافر بالخاتم
وتجلبو وجه المؤمن بالعصا حتى أن أهل البيت ليجمعون ويقولون لهذا
يامؤمن ولهذا يا كافر (وعنه) صلى الله عليه وسلم إنما تسم الكافر بين
عينيه كافر وتسم المؤمن بين عينيه مؤمن (سابعها) وذكر أياً في قوله تعالى
أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض أنهم ثلاثة أصناف صنف
كأمثال الارز الارز شجرة بالشام وصنف طوله مائة ذراع وعشرون
ذراعاً وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعاً وهذا الصنف
لا يثبت له جبل ولا حديد وصنف يقترش إحدى أذنيه ويلتحف بالآخرى
ولا يمزون بفيل ولا خنزير ولا وحش إلا كلوه ومن مات منهم أكلوه
مقدتهم بالشام وساقهم بخراسان يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية
على أن منهم من طوله ثبر ومنهم من هو غرط في الطول (وعن) ابن
عباس رضي الله تعالى عنهم ما يأجوج ومأجوج عشرة أجزء وبنو آدم كلهم
جزء واحد (وعن) حذيفة بن اليمان مر فرعاً أن يأجوج أمة ومأجوج
أمة وكل أمة أربع مائة أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر له ألف ذكر من
صلبه كاهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا
وخرجهم بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال في تحصن
عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين منهم فلا يقدر أن
يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس وهلاكهم أن يرسل الله تعالى عليهم
الدود فيها كما أنهم يحملهم طير كما عناق البخت قطرهاهم حيث شاء الله تعالى
ثم يرسل الله تعالى عليهم طرافيفسل آثارهم (وجاء) أن الترك سرية
خرجوا من يأجوج ومأجوج لا مفازة فسددوا القربين دونهم الجميع الترك
منها (قال) قتادة هم اثنتان وعشرون قبيلة سدذو القرنين على إحدى

وعشرين وترك واحدة فلذلك سموات كآفسادهم في الارض أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط وقيل كانوا يأكلون الناس فشكوا ذلك الى ذى القرنين فبني عليهم سدا كما اخبر الله تعالى قبل عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتا ذراعا وطوله فرسخ وقيل ان مابين السدين مائة فرسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره أنه رآه فقال كيف رأيته فقال كالبرود المحبرة طريقة سوداء وطريقة جرافة فقال رأيته وكان الوائق بالله تعالى قد رأى ان السد قد فتح فهاله ذلك وارسل سلاما للرجان فسار من سامرا الى أن وصل السد وجاء فأخبره بخبره وحكايته طريقة صحيحة وقد ذكرتها في كتابي غرائب العجائب وعجائب الغرائب

(الباب الرابع في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سيرة الحاكم أحد الخلفاء الفاطميين بمصر وذكر طرف يسير من أموره الشنيعة وأحكامه المخالفة للشرعية)

قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه البداية والنهاية كان يعني الحاكم جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وسنذ كرشيا من صفاته القبيحة وسيرته الملعونة اخراجه الله تعالى ولا وفاء مشرا كان قبحه الله تعالى كثير القتلون في أقواله وافعاله وكان يروم أن يدعى الالهية كما ادعاه فرعون في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وكان أمر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوم الناس صفوفًا اعظاما لذكوره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر مملكتيه حتى في الحرمين الشريفين وكان اهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتى انه يسجد بسجودهم من في الاسواق من الرعا وغيرهم انتهى كلامه (وقال) شيخنا الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام ثم زاد ظلم الحاكم وعن له أن يدعى الربوبية كما فعل فرعون فصار قوم من الجهال اذا راوه يقولون يا واحديا واحديا محي يا ميمت (وادعى) علم الغيب في وقت وكان يقول فلان قال في بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن الى بيوت الامراء وغيرهم ويعرفنه بذلك فرفعت

اليه في أثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماة

ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقة

فحين قرأها سكنت عن الكلام في المغيبات وكان هو وأسلافه من الخلفاء
بمصر يدعون الشرف والسيادة ويقولون نحن من ولد فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريدون الافتخار بذلك على بني العباس خلفاء بغداد
فيقولون ابونا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وأمننا فاطمة رضي الله
تعالى عنها وكان الحاكم في كل سبعة أيام يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع
ترفع اليه وهو على المنبر في أشغال الناس فرفعت اليه رقعة مكتوب
فيها

انا سمعنا نسباً منكرا * يتلى على المنبر في الجامع

ان كنت فيما قلته صادقا * فانسب لنا نفسك كالطائع

أو كان حقا كل ما تدعى * فاعد لنا بعد الاب السابح

فرماها من يده ولم يتسب بعدها (وحكى) سبط ابن الجوزي في مرآة
الزمان ان المحضر الذي برز من ديوان القادر بالله بالقدرح في الحاكم وفي
أنسابه كان منه يشهد من اثبت اسمه ونسبه في هذا الكتاب من السادة
الاشراف والقضاة والعلماء والعدول والاكابر والامثال ما يعرفونه من
نسب الديبانية الكفارة نطق الشياطين المتسوين الى ديصان بن سعد
الخرقي شهادة يتقربون بها الى الله تعالى معتقدين ما أوجب الله تعالى على
العلماء أن يدينوه للناس ولا يكتوه شهدوا جميعا ان الحاكم عصره وهو منصور
ابن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والغزى والنكال
والاستئصال ابن معد بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله تعالى
وانه لما صار الى الغرب تسمى بعبد الله ولقب نفسه المهدي ومن تقدمه من
سلفه الانجاس الروافض الكلاب الارجاس عليه وعليهم لعنة الله تعالى
ولعنة اللاعنين أذعيا لانسب لهم في ولد علي بن ابي طالب رضي الله تعالى

عنه ولا يتعاقون منه بسبب وانهم كفار فجار مخلدون زنادقة معطلون
والاسلام جاحدون ولذهب الثنوية والمجوس معتقدون قد عطلوا الحدود
وأباحوا القروج واحلوا الخجور وسفكوا الدماء وسبوا الابناء وادعوا
الربوبية وكتب فيه من الاعيان الرضى والمرضى وأبو حامد الاسفراينى
والشيخ أبو الحسن القدورى وجماعة من العلماء يغداد وأعيانها (أقول)
وكانت امور الحاكمة متضادة لانه كان عنده شجاعة وقادام وجبن واحكام
ومحبة في العلم واتقام من العلماء وسبيل الى الصلاح وقتل الصلحاء والغالب
عليه السخاء ويجنل بالقليل ولبس الصوف (سبع) سنين وأقام سبع سنين
يوقد عليه الشمع ليلا ونهارا ثم جلس في الظلام مدة وقتل من العلماء
ما لا يحصى وأمر بسب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأمر بكتب ذلك على
أبواب المساجد والشوارع ثم محام بعد مدة وأمر بقتل الكلاب ثم نهى عنه
ونهى عن النجوم وكان مع ذلك يرصدها وبني جامع القاهرة وجامع راشدة
ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم اباحها وهدم قمامة وبني مكانها مسجدا
ثم أعادها كما كانت وبني المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم
وهدمها وكانت افعاله كلها في هذه النسبة (ومنها) انه كان يعمل الحسبة
بنفسه فيدور في الاسواق على حمار له فن وجدته قد غش في معيشته أمر عبدا
اسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وهذا أمر منكروم
يسبق اليه غيره الله تعالى (ومنها) انه منع النساء من الخروج الى الطرقات
ليلا ونهارا قال القاضى شمس الدين بن خلكان وكانت مدة منعهن
سبع سنين وسبعة أشهر (ومنها) انه أمر بعلق الاسواق نهارا وفتحها ليلا
فامتدوا ذلك دهر اطويلا حتى مر ليله بشيخ يعمل التجارة بعد العصر فوقف
عليه وقال أمانهم بكم عن هذا فقال ياسيدى اما كانوا يسهرون لما كانوا
يتعيشون بالنهار فهذا من جلة السهر فقبسهم وتركوا أعاد الناس الى أمرهم
الاول قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى هذا من احكامه الشنيعة
وأوامره المخالفة للشريعة وكل ذلك تغيير للرسوم واختيار لطاعة العامة

ليترقى الى ما هو اطم واعم من ذلك لعنه الله تعالى (ومنها) أنه نهى عن أكل
 الملوخية والجرجير وعلى تحريم الملوخية بميل معاوية اليها وعلى تحريم
 الجرجير بكونه منسوباً الى عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ايها وعذره
 عمره الله تعالى أنفحس من ذنبه ثم انه اطلع على جماعة اكوا الملوخية
 فضر بهم بالسباط وطاف بهم القاهرة ثم ضرب رقابهم بياب زويلة (ونهى)
 عن بيع الرطب ثم جمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه وكان مقدار النفقة على
 أحراقه خمسمائة دينار (ونهى) عن بيع العنب وانفذ شهوداً الى الجيزة
 حتى قطعوا شيئاً كثيراً من كرومها ورموها الى الارض وداسوها بالبقرة
 وجميع ما كان في محارنهم من جزارا مسل حملت الى شاطئ النيل وكسرت
 وقلبت في البحر وكانت خمسة آلاف جرة (ونهى) عن بيع الزبيب كثير موقليه
 على اختلاف أنواعه (ونهى) التجار عن حمله الى مصر ثم جمع منه بعد ذلك
 شيئاً كثيراً وأحرقه (ونهى) عن بيع السمك الذي لا قشر له ثم طفر عن باعه
 فقتله (ومنها) انه أمر النصارى أن يحملوا في أعناقهم الصلبان وأن يكون
 طول الصليب ذراعاً وزنته خمسة أرتال وأمر اليهود أن يحملوا في أعناقهم
 قرأى خشب زينة الصلبان وأن يلبسوا العمامة السوداء ولا يكتروا من مسلم
 يهيمه ثم أفرد لهم حمامات وأمرهم أن يدخلوا اليها والصلبان والقراى
 الخشب في أعناقهم وأمرهم في وقت بالدخول في الاسلام كرها ثم أمرهم
 بالعود الى أديانهم فارتد منهم في سبعة أيام ستة آلاف نفر وخرب كائسهم ثم
 أعادها (ومنها) انه كان يعاقب بسلب اللقب حتى انه يبق الانسان اذا
 غضب عليه مدة طويلة لا يدعى الا باسمه وهو مع ذلك في حزن حتى يرد عليه
 لقبه فمكون عنده البشارة العظيمة (ومنها) انه ادعى الربوبية وكتب لهم
 باسم الحاكم الرحيم واجتمع له كثير من الجهال وبذل لهم الاموال
 ونادوه باسم الاله قال ابن الجوزي فصار قوم من الجهال اذا رأوه يقولون
 يا واحدياً أحد يا محبي يا محبت وصنف له بعض الباطنية كتاباً ذكر فيه ان روح
 آدم انتقلت الى علي وان روح علي انتقلت الى الحاتم وقرئ هذا الكتاب

بجامع القاهرة فقصده الناس قتل مصنفه فسيره الحاكم الى جبال الشام
فنزله بوادي التيم وناحية بانياس فاستمال الناس وأعطاهم المال وباح لهم
الجور والفروج واقام عندهم مدة يدعوهم الى معتقد الحاكم فأضل
منهم خلقا كثيرا وفي وادي التيم قرى كثيرة الى يومنا هذا يعتقدون خروج
الحاكم وأنه لا بد ان يعود ويعهد الارض وتلك خيالات فاسدة وظنون كاذبة
نحو ذب الله منها (وكانت) الاسماعيلية يعتقدون أن افعاله لا غرض صحيحة
استأثر بعلمها وتفرد بعرفتها (وحكى) عنه انه كان لا يتكلم من القبل حتى
انه ركب جاره وجاء الى باب الجامع بمصر فنزل عن جاره واخذ بيده بعض
ركب اريته وأرقده وشق بطنه بيده واخرج أمعاءه وغسل يديه وتركه
ومضى وأكثر في وقت من قتل الركبدارية حتى رغبوا أن يخرج اليه من
الخزانة سيف ماض فان السيف النابية تعذيبهم وأحرق جماعة من
خواصه بالنار وكان يأمر بتكفين من يقتله ودفنه ويلزم اهله بملازمة قبره
والميت عنده وهو مع هذا القتل العظيم والاذى العميم يركب جاره
ويدور وحده في القاهرة تارة في البرية وتارة عند الجبل المقطم وغيره
والجند على اختلاف طبقاتهم وتباين اجناسهم وهم الترك والديلم والروم
ومصامدة وسودان وخدام وصقالب وغير ذلك وهو فيهم كالاسد
الضاري بين البقر فقام على ذلك مدة الى ان ادعى الالهية وصرح بالحلول
والتناسخ وعن له ان يحمل الناس على ذلك وكان اهل بيته من قبله
يعتقدون ذلك ويكتمونه خوفا من تفسر الكلمة (وكان) السبب
في هلاك الحاكم أنه اراد قتل اخته سيدة الملوك وهم ان يرسل اليها القوايل
ليتحقق بكارتها وقال لبعض قهارمتها سمعت أنكم تجمعون الجوع
وتدخل اليكم الرجال ولا بد لي من قتلكم اجمعين وتكره هذا القول منه
مرارا فعملت اخته سيدة الملوك انه يقتلها لا محالة لما تعلمه من خبث
طويته وداخذه بالصغار واصراره على الكبار وصاحب البيت أدري
بالذي فيه وكانت من النساء المدبرات فأخذت في تدبير الحيلة والعمل

على قتل اخيها الحماكم وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير سيف الدولة بن
دواس وكان الحماكم قد اقبل وعزم على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به
وعرفته أنها اخت الحماكم فاعظمها واكرمها فقالت له انت تعلم ما يجري من
أخي في سفك الدماء وخراب البلاد وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلك
وقتي فقال لها كيف الخيلة في امره فقالت الرأي عندي ان تجهز له رجالا
يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينقرد بنفسه وأنت تكون المدبر لدولة ولده
والوزير له فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صيحة النهار خرج
الحماكم على عادته وانقرد بنفسه في المقطم وكان ابن دواس قد أحضر عشرة
عبيد وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوه
الى الجبل فلما انفرد خروجا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على
عادتهم يلتسون رجوعه ومعههم دواب المواكب والجنائب ففعلوا ذلك
سبعة ايام ثم خرج مظفر صاحب المظلة ومعه جماعة فبلغوا الى دير القصر ثم
امتنعوا من الدخول في الجبل فبينما هم كذلك اذ أبصروا جواره الاشهب
المدعو بالقمر وقد قطعت يداه وعليه سرجه وجامه فنبعوا أثر الجمار الى أن
انتهوا الى المقصبة التي شرقي حلوان فنزل رجل اليها فوجده فيها بنديابه وهي
سبع جباب من ردة لم تحل ازراوها وفيها آثار السكاكين فلم يشكوا في قتله
وذلك في شوال سنة احدى عشرة واربعمئة وفي جبال الشام خلق كثير
من المتغالبين في حبه من الحقي يعتقدون حياته وانه لا بد ان يظهر ويخلقون
بغيبه الحماكم لعنه الله تعالى ولعن تابعه آمين

* خاتمة الباب وسمج طائر المستطاب *

(أولها) من جملة من قتله الحماكم من اهل العلم ابو شامة جنادة اللغوي
الهروي من اقليم هراة لما قدم مصر كان من الفضلاء النبلاء محكي عنه المسيحي
في تاريخ مصر انه أراد في وقت الدخول على صاحب بن عباد فنع اشعث
زبه وذناة اطماره وومخ ثيابه قال فلم ازل اترصد الفرصة الى أن وجدت غفلة
من الحجاب فدخلت فجلست بحضرة بقرب الدواة وكان مشغولا يكتب فلما

فرغ من كتابه نظر الى قرآني فقطب وقال قم يا كلب من ههنا فقلت الكلب
الذي لا يعرف للكلب ثلثمائة اسم قال فذبيده وأخذ بيدي وقال قم الى ههنا
فما يجب أن تكون حيث جلست ورفعتني الى جانبه (ثانيها) قدم رجل من
سجلماسة يريد الحج فاودع عند رجل من أهل السوق أحسن به النطق ألف
دينار فلما عاد من الحج طلب ماله فأنكره ومجده فشكا أمره الى الحاكم سراً
فقال له اقعدي السوق تجاه الرجل فاذا مررت عليك فاطهر أني أعرف
فاني سأقف معك وأطيل السؤال عنك وعن حالك فلما فصل ذلك وانصرف
الحاكم جاء الرجل الذي عنده الوديعه اليه وأكب على يديه فقبلهما وسأله
الصفح وأحضر له الذهب فغضى الى الحاكم وعرفه القصة فاصبح الرجل
مقتولاً له لقاء على دكانه برجليه (ثالثها) كان الحاكم جالساً في بعض الايام
وفي مجلسه جماعة من أعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى فلا
وربنا لا يؤمنون حتى يحكموك فيه اشجبر بينهم الآية والقارئ يشير بيده
الى الحاكم في أثناء ذلك فلما فرغ قام شخص يعرف بابن المشجر بضم الميم
وفتح الشين المعجمة المشددة وفتح الجيم وبعد هارامو كان رجلاً صالحاً وقرأ
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذباباً الاية فلما انتهت الى قراءته وسكت تغرب وجه الحاكم وأمر له بجائة دينار
ولم يعط المقرئ الا قول شيئاً فلما خرج ابن المشجر قال له بعض أصحابه أنت تعلم
خلق الحاكم وما تأمن ان يحقد عليك ويهمل بك سواء ومن المصلحة ان تغيب
عنه فتجهز للحج وركب البحر فغرق فقرأ بعض أصحابه في المنام فسأل عن حاله
فقال له ما قصر الريان أرسى بنا على باب الجنة (رابعها) أقول وعلى ذكر هذا المنام
(روى) عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه رأى رب العزة نبارك وتعالى
في المنام تسعاً وتسعين مرة ثم قال لئن رأيته غلام المائة لاسألنسه بماذا ينجو
الخلائق يوم القيامة فراه وسأله فقال الله سبحانه وتعالى من قال عند الصباح
والمساء سبحان الابد الابد سبحان الواحد الاحد سبحان الفرد الصمد
سبحان من رفع السما بغير عمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً لم يله ولم يولد ولم يكن

له كفواً أحدهما من عذابي يوم القيامة (خامسها) كان أبو العلاء بن عبد
الرحمن من أهل الأدب والظرف وكلفت به جارية من أحسن النساء وكان
يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية على الغاية من العشق له والميل إليه
فلم ير الا كذلك حتى ماتت الجارية كلفا ومحبة فيه فذكرها بعد ذلك وأسف
عليها وعلى ما كان من تقصيره في حقها واعراضه عنها فآهاليله في منامه
فجعل يبكي ويثلافاها فأنشدته

أبكي بعد قتلك لي عليا * فهلا كان ذا اذ كنت حيا

انسكب دمع عينك لي وفاء * ومن قبل الممات تسي اليا

أقل من البكاء على واعلم * بانى ما أرا لصنعت شيئا

قال فاستيقظ وقد زال ما به من الغم والاسف عليها وصاح صيحة فارق منها
الدنيا (سادسها) حكى عبد الحق في العاقبة مما أبلى الله تعالى به الهادى من
المحبة وعاقبه بها هو انه كان مغرما بجارية له اسمها غادر وكانت من أحسن
الناس وجهها وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب
مع ندمائيه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقبل له ما بال أمير المؤمنين
فقال وقع في فكرى انى أموت وان أخى هرون بلى الخلافة ويتزوج غادرا
فامضوا فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله
فجعل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك
به انى اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا غليظة ثم قام ودخل
على الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات
وولى هرون الخلافة فطلب الجارية فقالت كيف تضع في الايمان التى حلفت
بها فقال قد كفرت عنى وعنك ثم تزوج بها ووقعت من قلبه موقعا عظيما
وافتنى بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يصحرك
ولا يتقلب حتى تتسبه فيفيها هي في بعض الليالى في حجره اذ انتهت فزعة
مذعورة فقال لها هرون ما بالك فديتك فقالت رأيت أخاك الهادى الساعة
في النوم وأنشدنى

أخلفت وعدى بعدما * جاورت سكاك المقابر
ونسيتني وحننت في * إيمانك الزور القواجر
ونكحت غادرة أخى * صدق الذي سماك غادر
لايمنك الألف الجديد * ولا تدر عنك الدوائر
ولحقني قبل الصبا * وحصرت حيث غدوت صائر

(قالت) ثم ولي عني وكان الأبيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال هذه
احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت
في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون وما لقي بعدها وقد ذكرت لهذه
الحكاية اشباها ونظائر في كتابي ديوان الصبا (سابعها) حكى القاضي شمس
الدين بن خلكان وغيره من ارباب التاريخ عن دلف بن أبي دلف أنه قال
رايت في المنام آتيا أتاني وقال اجب الامير فقامت معه فادخلني دارا وحشة
وعرة سوداء الحيطان معلقة السقوف والابواب وأصعدني على درج منها
ثم ادخلني غرفة في حيطانها أثر النيران والرماد واذا بأبي وهو عريان واضح
رأسه بين ركبتيه فقال كلمت فقلت دلف فانشأ يقول

بلغن أهلنا ولا تحف عنهم * مالمينا في البرزخ الخفاف
قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا * فارجوا وحشتي وما قد ألقى
ثم قال افهمت فقلت نعم فهمت ثم انشد

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعد ذاعن كل شي

ثم قال افهمت فقلت نعم فهمت ثم انتبهت وأنا مرعوب (اقول) كان
أبو دلف من قواد المأمون ثم المعتصم بن بعده وكان جوادا ممدوحا شجاعا
(حكى) عنه انه لقي اكراد اقد قطعوا الطريق فطعن منهم فارسا فقتل
الطعنة الى ان وصلت الى فارس آخر فقتلهم سماما وفي ذلك يقول بكر بن
الطاح

قالوا أيظن فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراهم كليل

لا تعجبوا

لا تعجبوا لو أن طول قناته * ميل لما طعن الفوارس ميلا

وفيه يقول ايضا

يا طالب الكيمياء وعلمه * مدح بن عيسى الكيمياء الاعظم

لولا يكن في الارض الادرهه * ومدحته لا تالك ذاك الدرهم

(وروى) أنه أجاز على هذين البيتين عشرة آلاف درهم (وقد) ألم بهذا

المعنى أبو بكر بن هاشم حيث قال

ما صبح علم الكيمياء لغيركم * فيماروينا عن جميع الناس

تعطيمهم البدر النضار اذا هم * رفعوا اليك الشعر في قرطاس

*(الباب الخامس في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في الحوادث الواقعة

بمصر وما في معناها على سبيل الاختصار) *

(اقول) سنة سبعمائة فيها البس النصارى الازرق واليهود الاصفر

والسامرة الاجر لعنهم الله تعالى ليقل اذا هم ويعرف المجرمون بسميهم

وسبب ذلك ان مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند الجاشنكير وسلا رخصه

بعض الكتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربي وتوهم أنه مسلم ثم

ظهر له انه نصراني فدخل الى السلطان الملك الناصر وفاوضه في تغيير زي

اهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم ويحترزوا منهم فأجاب السلطان الى ذلك

وفي ذلك يقول شمس الدين الطيبي يصف اختلاف ألوان عمامتهم

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمو واخرقا

كأثما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فأضحى فوقهم درقا

(واستمر) ذلك من سنة سبعمائة الى هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين

وسبعمائة وفي هذه السنة وقع ربيع عند جامع قوصون على الثلاثين نفسا من

الفلحين فمات منهم ثلاثة وعشرون وسلم سبعة وسبعت بعض المصريين

يقول ان السبعة الذين سلموا من الردم رجعوا الى بلدهم في شحنتور فهبت

ريح شديدة ففرق الشحنتور بالسبعة الذين سلموا من الردم فلم يبق منهم أحد

وهذا اتفاق غريب وآجال متقاربة (قيل) وأهدى أربك ملك الشرق الى

السلطان الملك الناصر هدية من جلته جلد دب أبيض طوله سبعة أذرع وذلك في سنة أربع وعشرين وسبعمائة وأهدى إليه أيضاً أبو ثابت ملك الغرب هدية من جلته اسبعمائة دابة ما بين خيل وبغال وحمير وجمال على يد رسوله ايدى غدى الخوارزمي فخرت عليها العرب في الطريق عند المربة فأخذتها بمجموعها وكان سيف الدين بكتر الجوكندار عزيزاً عند السلطان بحيث انه كان يقول له يا غي فانفق انه أخرجه في وقت الى صفد نائباً فكان لا يحب سفك الدماء فاذا حضر اليه القاتل ضربه سبعمائة عصا وحبسه فاذا قيل له لاى شئ لا تقتله قال الى خير من لميت (ولما) قتل الملك المظفر بيبرس وجد في خزانته ختمه مكتوبة بالذهب في سبعة أجزاء في قطع البغدادى كتبها له الشيخ شرف الدين بن الوحيد بقلم الاشعار أخذها اليه ذهب بألف وسبع مائة دينار وانفق عليها جله من الاجرة وسرق في أيام عمله من خزانة سيف الدين بكتر الحاجب سبعمائة ألف فبات صاحبها المذكور غمماً في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقيل سنة ثمان (وحصل) للمظفر مرض في سنة أربع وعشرين أشرف منه على الموت فتصدق صدقة كثيرة وأطلق المجائيس فحصل له البرء ففرح الناس وزال الباس وأقام المطربون في القلعة في بيوت الامراء سبعة أيام (ولما خلع) من الملك وملك الملك العادل ~~كتب~~ فوقع غلاء عظيم في مصر فبيع القروج بعشرين درهماً والسفرجلة بثلاثين درهماً وبيع اللحم كل رطل بسبعة دراهم والبيض سبعة بدرهم وبلغ الارب من القمح الى سبعمائة وسبعين درهماً ولقي الناس من الغلاء ما لا يدخل تحت حد ولا يحصر بعدو في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة حدث من الجراد والكآبة على جبل المقطم ما لم يعهد مثله فأكلت منه الناس وبيع الجراد أربعة أرطال بدرهم والكآبة سبعة أرطال بدرهم وفي سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق عظيم بمصر في سوق البزازين وقسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها فباتت النار تعمل والناس على خطر عظيم فركب كافور الاحشيدى صاحب مصر رحله اليه تعالى

وأمر بالنداء من جاء بقربة أو جرة أو كوز فله درهم فكان مبلغ ما صرف
عشرة آلاف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والاقشة ما قيمته
ألف ألف وسبعة آلاف دينار وألف وسبع مائة دار وكان راتب كافور كل
يوم من اللحم ألني رطل وسبع مائة رطل ومائة طائر دجاج وثلاثمائة فرخ
حمام وثلاثمائة فروج وعشرة أطيوار اوز وعشرين رميسا أي خروفا
وعشرة فراخ - هك بياض وثلاثمائة صحن حلوا والى كاجه وسبعة افراد
نقل وألف كوز فقاغ ومائة قربة شراب تفرق على خاصته وكان يعطى الجزاء
الجزيل اتفق في أيامه زلزلة فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر فأشده
قصيدة منها قوله

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها * لـكنها رقصت من عدله فرحا
فأجازه كافور بألف دينار وهذه الجائزة هي التي حث المتنبى على الحضور
الى كافور يقف بين يديه بحقين ومنطقة وعمامة خضراء ويحضر سباطه
وصحبه غلام أسود ومعه قدور خرف فيها فضلات الطعام وكان مع كثرة ماله
وأخذ الجوائز العظيمة على جانب من البخل حكى عنه انه طلب نذافا ليعمل له
جبا بالعلمانه ولحفافا فرشافا فأقام عنده سبعة أيام فأعطاه سبعة قراريط ذهباً
فصعب ذلك عليه فقال له كم ظننت أنى أعطيتك فقال سبعة دنائير فقال له المتنبى
والله لو وضعت إحدى رجلتيك على طور سيناء والاخرى على طور زيتا
وتناولت قوس قزح وقائمة العرش بيدك وندفت قطن الغمام على جباب
الملائكة ما أعطيتك سبعة دنائير وذ كرسبعة أشياء يفتخر بها في بيت واحد
وهو

الخيل والليل والبيداء تعرفنى * والسيف والرمح والقرطاس والقلم
وعارضه أبو الحسن الجزار بن شعراء مصر وذ كرسبعة أشياء أيضا فقال
فان يكن أجد الكندى منهم * بالفخر يوما فاني غير منهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفنى * والخلع والقطع والساطور والوضم
وقال المتنبى أيضا في قصيدة مدح بها سيف الدولة بن جردان جاء منها بيت

في كل نصف منه سبعة أفعال أمر وهو

أقل أمل أقطع أجل اعل سل أعد * ردهش بش تفضل ادن سر صل
(حكى) ان سيف الدولة وقع له تحت كل كلمة منها بمسأل حتى انه وقع له تحت
قوله أقطع لانه من قول القائل أقطع فلانا أرض كذا بسبعين قرية على
باب حلب وفيها يقول المتنبي

واسسلى اقطاعه من ثنائه * على طرقة من داره بجنابه

حكى انه لما وقع تحت كل كلمة بمسأل قال له شيخ ظريف من ندماثة يقال له
المعقل قد أجبته الى كل مسأل فلم تقل عندهش بش هي هي بمعنى بذلك
تضحك قال ذلك حسدا له وتندير اعلميه وفي سنة احدى واربع مائة توفي بصبر
الحافظ ميسر وذكر المسيحي عن حفظه أشياء وكان معه درج طويل طوله
سبعة وثمانون ذراعا مملوء الوجهين فيه أوائل ما يحفظه وكان يحفظ سبع
عشرة آلاف أرجوزة وعشرة آلاف بيت من الهجاء ومثلها في الغزل ومثلها
في التشبيهات ومثلها في التهاني وغير ذلك وفي سنة ثمان وخمسين شنق
الكوبراني الذي ادعى أنه المهدي ومن كان معه وادعت زوجته أنها حامل
فحبست لتضع وتقتل فأقامت محبوسة سبع سنين وهي تدعى الجل وأن
الجنين يتكلم في بطنها ثم أطلقت بعد ذلك أقول ومن غريب الاتفاق
العجيب أن الملك الظاهر أول جلوسه في مرتبة السلطنة يوم الجمعة سابع
عشر ذي القعدة واول ما افتحه من البلاد قيسارية العجم وآخر ما افتحه
قيسارية الروم وأول من بنى انطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر وأول من
خربها الملك الظاهر المذكور وكان القائم بالدولة التركية السلجوقية
السلطان ركن الدين وهذا السلطان الملك الظاهر يبرس أقام الدولة التركية
من حين المنصور وركن الدين اذ ذلك هو الذي ردت الخلافة لبني العباس
باقامة الخليفين المستنصر الاسود والامام الحاكم بامر الله أمير المؤمنين
والخطبة في الدولة المصرية كانت للظاهر بعد الحاكم بامر الله أمير المؤمنين
والخطبة على المنابر لهذا الظاهر على سرير الملك في التاريخ المذكور ولقب

نفسه بالملك القاهر فقال له صاحب زين الدين بن الزبير ما لقب أحد هذا
 اللقب فافلح لقب به القاهر بن المعتصم فلم تطل أيامه وخاع ولقب به القاهر
 صاحب الموصل فسم ولم تزد أيامه على (سبع) سنين فترك اللقب
 المذكور وتلقب بالظاهر واتفق أن ملوك مصر العبيديين قالوا في أول
 دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب لنا في ورقة ألقابا كثيرة تصلح للخلافة
 حتى إذا تولى منا أحد لقبناه منها بلقب فكتب لهم القابا كثيرة آخرها
 العاضد فاتفق أن آخروا من ملك منهم العاضد وزالت في أيامه دولتهم على يد
 السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى وجزاه
 خيرا (ومن غريب) الاتفاق أيضا أن أولهم المهدي وكان اسمه عبد الله وآخرهم
 العاضد وكان اسمه عبد الله ومثله في الغرابة أن أول ملوك الاسلام من بني أبي
 سفيان معاوية بن أبي سفيان ثم ابنه يزيد بن معاوية ثم معاوية بن يزيد وانقرض
 هذا البطن المفتح بمعاوية المختم بمعاوية ثم ملك مروان بن الحكم من
 بني أمية وكان آخر بني أمية أيضا مروان الملقب بالحمار وهذا من غريب
 الاتفاق الذي قل من نبه عليه ومثله في الغرابة أيضا ما حكاه الصولي أن
 الناس يرون كل سادس يقوم بالامر منذ أول الاسلام لا بد أن يخضع فأنبي
 صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن خلع
 ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير
 خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام
 والوليد بن يزيد خلع وقتل ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية فكان السفاح
 والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين فخلع وقتل ثم
 المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل
 ثم المعتز بالله والمهدي والمعتد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع
 في قسمة ابن المعتز ثم رذاتهي قول الصولي قال صاحب رأس مال النديم
 ثم القاهر ثم الراضي ثم المقتفي ثم المستكفي ثم المطيع ثم الطائع
 فخلع انتهى ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد

والراشد فخلع ثم المقتنى والمستعبد والمستنصر والناصر والظاهر
والمستعصم فخلع وقتل وكذلك العبيدون أولهم المهدي عبد الله والظاهر
بامر الله والمنصور صاحب افریقیة والغربانی القاهر والعزیز والحاکم
فقتلته اخته ووات ابته الظاهر والمنصور والمستعلى والآخر والحافظ
والظاهر فخلع وقتل ثم ابنه الفائز والعاذ وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب
فی ملک مصر أولهم صلاح الدین یوسف وولده العزیز وأخوه الفضل بن
صلاح الدین والعدل الاکبر أخو صلاح الدین والکامل ولده والعدل
الصغیر قبض علیه امرأء دولته وأحضروا أخاه الصالح نجم الدین أيوب
وكذلك دولة الأتراك فأولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر
یسبرس وابنه السعيد وأخوه العدل سلامش فخلع ثم الملك المنصور
قلاوون رحمه الله تعالى وولده الاشرف وأخوه الملك الناصر والملك
المنصور أبو بكر وأخوه الاشرف بکن وأخوه الناصر أحمد فخلع وقتل
ثم أخوه الصالح ثم أخوه الکامل شعبان ثم أخوه المظفر حاجی ثم أخوه
مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدین والدين جعله الله وارث الاعمار
على المنار ملاح صباح وهبت رياح

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) أقول قد تقدم ان الغلاء وقع في أيام العدل زين الدين كتبغا واتفق
انه وقع في أيام العدل الكبير سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأكل الناس بعضهم
بعضا وهلك خلق كثير من الاغنياء والفقراء ثم وقع عقبه فناء عظيم حتى حكي
أبوا مامة في الذيل ان السلطان الملك العدل كف من ماله في مدة يسيرة
من هذه السنة فحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت وقيل ثلثمائة ألف
من الغرباء وأكلت الكلاب والاموات في هذه السنة وأكل من الصغار
والاطفال خلق كثير يشوى الصغير والداموياً كلانه وكثر هذا في الناس
حتى صار لا ينكر بينهم ثم صاروا يجتالون على بعضهم بعضاً فبأى حال
يقدرون عليه واذا غلب القوى الضعيف ذبحه وأكله وفقد خلق كثير

من الاطباء في هذه السنة يستدعون الى المريض فيذبجون ويؤكلون
واستدعى رجل طبيباً يخاف الطبيب على نفسه فذهب معه وهو على وجل فجعل
الرجل يكثر من ذكر الله والصدقة على من يجده في طريقه فسكنت نفس
الطبيب بذلك فحين وصل الى الدار وجدها خربة فارتاب الطبيب من ذلك
فخرج رجل من الدار وقال لصاحبه ومع هذا البطء جئت لانا بصيد فلما سمع
الطبيب قوله ولى هارباً فخلص الابد جهد جهيد أقول ووقع أيضاً في زمن
المستنصر العلوي أحد خلفاء مصر واكت الناس بعضهم بعضاً حتى ان
الوزير ركب بغلة توما الى دار الخلافة فلما نزل عن البغلة اخذت من علماته
واكت في الحال فأمسك الذين اكلوها وشتمهم فأكلوا على الخشب ولم يصح
الا العظام ولما رجع هلاكاً من الشام وقتل الملك الكامل صاحب ميفارقين
بعد حصارها مدة بلغ ثمن مكوك القمح فيها بكيل ميفارقين
خمسة وأربعين الف درهم والرطل الخبز وهو سبعة مائة وعشرون درهما
بستائة درهم واللحم بستائة والبن بستائة والاقية العسل بستائة
درهم والبصلة بثلاثة وخمسين درهما ويسع رأس كب بستين درهما ويسعت
بقرة النجم الدين مختار بستعين ألفاً فاشترى الملك الأشرف رأسها وكوارعها
بستة آلاف درهم وخمسمائة درهم ومن ذلك أشياء كثيرة (ثانيها) نقلت من
خط الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه ما نصه وفي وسط شهر ربيع الاول
سنة احدى وأربعين وسبعمائة ورد كتاب من جملة يخبرني انه وقع في هذه
الايام بيارين من عمل جملة برد على صور حيوانات مختلفة منها سباع وحيات
وعقارب ومعز وطيور ورجال في اواسطهم حوائص وان ذلك ثبت بمحض
شرعي عند القاضي بالناحية المذكورة ثم نقل ثبوته الى قاضي جملة انتهى
أقول وفي أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب ابن هبيرة فيه ان عمدة بخاري
سمع قعقة عظيمة في السماء ودوى كالكراع عند القاصف وقت السحر
اسقطت منه الحوامل فظنوا فاذا قد انفرج في السماء فرجة عظيمة ونزل
أشخاص عظماء رؤسهم في السماء وأرجلهم في الارض وقائل يقول
يا أهل الارض اعتبروا بأهل السماء هذا صفوا من الملوك عصي الله تعالى

فعذب فالماطلع النهار أتى الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما
 لا يدرك له قرار يصعد منه دخان اسود كل ذلك مثبت على يد قاضي بخاري
 باربعين عدلا وفي سنة اربع وعشرين وخمسمائة طلعت محاربة على بلد
 الموصل فامطرت نارا احرق ما امطرت عليه وظهر بالعراق عقارب طيارة
 قتلت خلقا كثيرا وفي سنة اربع وأربعين وخمسمائة امطرت باليمن مطرا
 كله دم فبقى أثره في الارض وفي ثياب الناس وفيها نهبت العرب الحاج بمكة
 ووقفوا الهيم بين المدينة ومكة وقتلواهم فظهروا على الحاج وأخذوا من
 خاتون اخت السلطان مسعود ما قيمته مائة ألف دينار ومن الحاج ما يزيد على
 مائة ألف دينار ومنهم والجمال ومات الناس عطشا وجوعا وحرا (نالها)
 في سنة اثنين وخمسين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وشرار
 وانطاكية وطرابلس وهلك خلق كثير حتى ان معلما بحماة قام من المكتتب ثم
 عاد فوجد المكتتب قد وقع على الصبيان فأتوا كلهم ولم يأت أحد يسأل عن
 ولده لان آباءهم قد ماتوا أيضا وهلك كل من في شرار الامراء وخادموا واحدا
 وانشق تل حوران وظهر فيه بيوت وعمائر وفواويس وانشق في الاذقية
 موضع وظهر فيه صنم قائم في الماء وخربت صيدا وبيروت وعكا وطرابلس
 وصور وجميع قلاع الفرج وانفرد البحر الى قبرس وقذف المراكب الى
 ساحله وتعدى الى ناحية الشرق ومات خلق عظيم قال صاحب المرأة مات
 في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف انسان نسأل الله
 العافية في العاقبة وفيها أيضا وقع وباء عظيم بين الحجاز واليمن وكانوا يسمون
 في عشرين قرية فبادت ثمان عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافع نار وبقيت
 انعامهم وأموالهم لا قاني لها ولا يستطيع أحد ان يسكن تلك القرى
 ولا يدخلها ومن دخل اليها هلك من ساعته فسبحان من يده ملكوت كل شيء
 واليه ترجعون واما القرى التي الباقية ان فانه لم يمت منها أحد ولا عندهم
 شعور بما جرى على من حولهم من القرى بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد
 منهم احد (رابعها) في سنة ثمان وثلاثين وستمائة قال الشيخ عماد الدين

ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية فيما ورد من ملك التتار نوكي بن
جنكزخان الى ملوك الاسلام يدعوهم الى طاعته ويأمرهم بتخريب اسوار
بلدهم وعنوان كتابه من نائب رب السماء مامح الارض ملك الشرق والغرب
خافان وكان الكتاب مع رجل مسلم من اهل اصفهان لطيف الاخلاق فأول
ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل فاخبرهم بمخائب في أرضهم غريبة
منها ان بالبلاد المتاخمة للسند اناسا أعينهم في مناصبهم وافواهم
في صدورهم يأكلون السمك واذارأوا أحد من الناس هربوا ومنها ان
عندهم برزاي نبت الغنم يعيش اطروف منها شهرين وثلاثة ولا يتناسل ومنها
ان بأزبدان عينا يطلع منها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة فتقيم
طول النهار فاذا غربت الشمس غاصت في العين فلا ترى الى مثل ذلك الوقت
وان بعض الملوك احتال عليها ليمسكها فسلسلها بسلاسل من الحديد فغارت
وقطعت السلاسل ثم كانت اذا طلعت يرى فيها تلك السلاسل وهي الى الآن
كذلك وهذا أمر عجيب (خامسها) في سنة ثنتي عشرة واربع مائة ورد كتاب
من السلطان محمود بن سبكتكين الى الخليفة يذكر فيه ما اقتحمه من البلاد
بالهند وأنه كسر الصنم المشهور بسوميان وأن اصناف الهند اقتنوا به
وكانوا يعتقدون انه يحيى ويميت ويقصدونه للنج من كل فج عميق فيتقربون
اليه بالاموال حتى بلغت اوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلات
خزائنه بالاموال ورتب له ألف رجل يخدمونه وثلاثمائة يحلقون رؤس
حججه ولحاهم عند القدوم وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون
ويرقصون عند بابه ولقد كان العبد يمتني قلع هذا الصنم ويعترف الاحوال
فتوصف له المفا وزو كثره الرمال فاستخار العبد الله تعالى في الانتداب لهذا
الواجب طلبا لثواب الاجور ونهض في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين
ألف فارس سوى المطوعة ففرق في المطوعة خمسين ألف دينار معونة وقضى
الله تعالى بالوصول الى بلد الصنم المذكور وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن
وأوقد عليه النار حتى تقطع وقتل خمسمائة ألف من أهل هذا البلد رحمه الله

تعالى وجراء خيرا قال الشيخ شمس الدين الذهبي في تاريخه وجدوا حوله
 أصناما كثيرة من الذهب والفضة من صعدة بالجواهر محيطة بعرشه يزعمون
 أنها الملائكة ووجدوا في أذنيها ثيابا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن ذلك
 فقالوا كل حلقة عبارة عن عبادة ألف سنة وورد منها أيضا كتاب آخريه انه
 وفي مدينة لم ير مثله فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ
 ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال من الذهب وقلع من أصنام الفضة
 ما يزيد على ألف صنم ولهم صنم عظيم عندهم يؤرخون مدته بجهالتهم العظيمة
 بثلاثمائة ألف عام وقد بنوا حول تلك الاصنام المنصوبة زهاء عشرة آلاف
 بيت فعنى العبد بتخريب تلك المدينة اغتناما للالاجر وعمدها المجاهدون
 بالاحراق فلم يبق منها الا الرسوم وافرد خمس الرقيق فبلغ خمسة وخمسين
 ألفا واستعرض ثلاثمائة وخمسين فيلا (سلاسلها) كان باليمن ورجل
 خارجي استولى على البلاد وكان يدعى مذهب القرامطة وينتقي الى صاحب
 مصر الفاطمي ويتستبرأ بالاسلام قتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح
 الاطفال فمات ومالك بعدد ولده ففعل أشد مما فعل أبوه وبني على قبره
 قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والفضة والجواهر وقناديل الذهب وستور
 الحرير بحيث لم يعمل مثلهما ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم
 بالحج الى القبة فكانوا يحملون اليها من الاموال في كل سنة ما لا يحصى
 ويطوفون بها ومن لا يحمل شيئا قتلته وأقام على الفسق والفجور وذبح
 الاطفال وسبي النساء وسفلت الدماء مدة فكانت أهل اليمن يستعبدون
 السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فسير اليهم أخاه شمس الدولة ففتح اليمن
 وقتل ابن الخارجي وكان اسمه عبد النبي بن المهدي وهدم القبة وأخذ
 ما فيها من المال والجواهر فكان وسق ستمائة حمل ونبس القبر وأحرق
 عظام اللعين الخارجى لارجه الله تعالى (سابعها) سنة أربع وخمسين
 وستمائة في نصف جادى الاخيرة منها ظهرت النار بأرض الحجاز وقال
 الشيخ الامام الحافظ شيخ الحديث وامام المؤرخين في زمانه شهاب الدين

الملقب بابي شامة في تاريخه انها ظهرت في التاريخ المذكور واستمرت شهرا
وأزيد منه وذكر كتب متواترة عن اهل المدينة الشريفة في كيفية ظهورها
شرقي المدينة من ناحية وادي شطاط لقاء احد وأنما ملأت تلك الاودية وأنه
خرج منها شررا ككل الحجارة وذكر ان المدينة زلزلت بسببها وانهم سمعوا
اصواتا من عجة قبل ظهورها بخمسة أيام أول ذلك يوم الاثنين مسهل الشهر
فلم تزل ليلاتها حتى طلعت يوم الجمعة خامسة فانبجست تلك الارض عند
وادي شطاط عن نار عظيمة جدا فصارت مثل الوادي العظيم طوله اربعة فراسخ
في عرض اربعة اميال وعمقه قامة ونصف يسيل منها الصخر حتى يبقى مثل
الابل ثم بصير كالقعم الاسود وذكر ان من الناس من كتب على ضوءها في الليل
وكان في كل بيت منها صياح ورأى الناس سناها من مكة قال الشيخ عماد الدين
ابن كثير في تاريخه اخبرنا قاضي القضاة صدر الدين علي التميمي الحنفي قال
أخبرني والدي وهو الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى انه اخبره غير
واحد من الاعراب بصيغة تلك الليلة بمن كان حاضره ببلد بصرى انهم رأوا
صفحات اعناق ابلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز قال ابو
شامة ان اهل المدينة لجؤوا في هذه الايام الى المسجد الشريف النبوي على
ساكنه افضل الصلاة والسلام وتابوا الى الله تعالى من ذنوب كانوا عليها
واستغفروا عند قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سلف منهم
وأعتقوا عبيدهم وتصدقوا على فقرائهم وقال قائلهم في هذه النار آياتا
وهي

بحر من النار تجري فوقه سفن * من الهضاب لها في الارض ارساء
نرى لها شررا كالقصر طائشة * كأنها ديمة تنصب هطلاء
منها تكاثف في الجوادحان الى * أن عادت الشمس منه وهي دهما
فيها آية من معجزات رسو * ل الله يعقلها القوم الالباء
يشير الى الحديث الشريف الذي رواه البخاري رضى الله عنه وصححه عن
أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة

حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل بمصرى في آخر كتاب
الفتن في باب خروج النار

*(الباب السادس في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في القاهرة

وضواحيها والاهرام ونواحيها من اقليم مصر)*

أقول قد تقدم ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله تعالى كان
قد بنى في قلعة الجبل المحروسة (سبع قاعات) وكان فيها في الخزانة الكبرى
(سبع) حواصل وهي حاصل الزرديات وحاصل الاعمدة وحاصل الجوخ
وحاصل السيوف وحاصل القسي وحاصل لبوس الخيل وحاصل الخود
والزود والاراس (والقاهرة) نفسها (سبع) حارات وهي حارة زويلة
وحارة الروم وحارة الديلم وحارة ككامة وحارة بهاء الدين وحارة بيرجوان أحد
أمراء الحاكم الذي بنى جامع القاهرة داخل باب النصر سنة (سبع) وثمانين
وثلاثمائة وحارة العرب وفيها مكان يعرف بالسبع خوخ والاصل فيها انها
كانت (سبعة) أبواب في دهليز قصور الخلفاء الفاطميين وآثارها باقية الى
الآن وفيها قيسارية الصاغة ولها (سبعة) أبواب وفيها أيضا قيسارية
جهاز ركس ولها (سبعة) أبواب وعند قنطرة السباع مكان يعرف (بالسبع)
سقايات وهو عبارة عن (سبع) أنابيب ماء يشرب منه الناس وبالقرافة مكان
يعرف بالسبع قبيبات بالقرب من الحفائر وهي في الحقيقة ستة لا غير
والاصل فيها أنه كان بين بنى المغربى الوزير وبين أبي نصر وزير الحاكم عداوة
فسعى عليهم عند الحاكم فامر بضرب اعناقهم فقتل منهم ستة وهم والد الوزير
المغربى وأخوه وثلاثة من أهل بيته فاستتر أبو القاسم الوزير المغربى
وهرب من مصر الى الشام والتجأ الى بنى الخراج فى الرملة وحسن لهم
الخروج على الحاكم ونزع أيديهم من طاعته فطاوعوه وأحضروا آباء الفرج
الحسينى من مكة وأقاموه خليفة وقبلوا الارض بين يديه وبايعوه بالخلافة
ولقبوه الراشد بامر الله فعند ذلك صعد أبو القاسم بن المغربى منبرا وخطب
خطبة بليغة وحرّض فيها على قتال الحاكم وافتتحها بقوله تعالى طسم تلك

آيات الكتاب المبين تلو عليك من بناموسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون
 ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
 أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين وزيدان نحن على الذين
 استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم
 في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون فلما بلغ
 الحاك ذلك ازعمه ازعا جاعظيا وسير الى بنى الخراج وبذل لهم مالا جريلا
 وخوفهم العاقبة فقالوا اليه بعد خطب طويل وكتب الى ابن المغربي أمانا
 واسترضاه بنى على الستة الذين قتلهم من أهل بيته ست قباب وهي المعروفة
 الآن (بالسبع) قبيبات والظاهر انه كان الى جانبها قببة أخرى فسميت
 (بالسبع) قبيبات بهذا الاعتبار وبالقرافة أيضا شجرة تعرف بالاهليجة
 في جامع محمود بسفح الجبل المقطم تقبل الندى ومن النساء من يأخذ منها
 (سبع) ورقات وينذر لها يفعل ذلك من النساء من تريد الزواج وفيها أيضا
 القبور (السبعة) التي اشتهرت عند المصريين بقضاء الحاجة والدعاء عندها
 مستجاب وذلك ان من زارها في يوم السبت وسأل الله تعالى حاجة قضيت
 وهي قبر ذى النون المصرى وقبر أبى الخير الاقطع وقبر أبى الربيع وقبر
 القاضى بكار وقبر القاضى كئانه وقبر أبى بكر المزنى وقبر أبى الحسن الدينى
 رضى الله عنهم (أقول) ومن الادعية المستجابة ما جاء في الحديث عن أنس بن
 مالك رضى الله عنه انه قال كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يتجبر من بلاد الشام الى المدينة ولا يصحب القوافل تو كلامه على الله تعالى
 فيبئها هو قافل من الشام اذ عرض له اص على فرس فصاح به قف فوق التاجر
 وقال له شاك ومالى فقال له الاصل المالى وانما أريد روحك فقال له أنظرنى
 حتى أصلى قال افعل ما بآل الله وصلى أربع ركعات ثم رفع رأسه الى السماء
 وقال ياود وياود وياود وياود ياذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد
 أسألك بنور وجهك الذى ملاء أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت
 بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا انت يا مغيث

اغثنى يا مغيث اغثنى واذا بقارس يده حربة فلما نظره للص
ترك التاجر ومرضه فلهما رآه لحقه وطعنه طعنة فأرداه عن فرسه ثم قتله
وقال للتاجر أعلم انى ملك من ملوك السماء الثانية دعوت اولاً فسمعت لآبواب
السماء تصعقة فقلت أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء
ولها مشرور ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل ينادى من لهذا المكروب فدعوت
الله تعالى أن يوليني قتله وأعلم يا عبد الله ان من دعا بدعائك في كل شيء اغناه
الله تعالى وفتوح عنه ثم جاء التاجر سالماً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره
فقال لقد لقتك الله أسماء الحسنى التي اذا دعيت بها أجاب واذا سئل بها
أعطى وشكركم جل الى الحسن البصرى رجلاً ظلمه فقال اذا صليت الركعتين
بعد المغرب وسلت فاسجد وقل يا شديداً القوي يا شديداً المحال يا عزيزاً ذلك
بعزتك جميع خلقك صل على سيدنا محمد وآله واكفى مؤنة فلان بما شئت
ففعل ذلك فسمع صيحة عظيمة في الليل فسأل عنها فقيل مات فلان فجأة (وكان)
أبو مسلم الخولاني اذا دهمه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد ويا اياك
نستعين قالوا وكلمات الفرج عند الكرب لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين (وقال) جعفر بن محمد
لسفيان الثوري اذا كثرت همومك فاكثر من الاحول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم واذا ذرت عليك النعم فاكثر من الحمد لله رب العالمين واذا أبطأ عنك
الرزق فاكثر من الاستغفار ومن قال في ليل أو نهار اللهم أنت ربى لا اله
الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ
لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم انى
اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على
صراط مستقيم ثلاث مرات لم يضره شيء ومن قال سبحان الله وبحمده
والاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أمن كل
غم وجذام وبرص وفالج (أقول) ومما جاء في آداب الدعاء ان يترصد الانسان
الافاق الشريفة كما بين الآذان والاقامة وحالة السجود ووقت السحر

وان يدعوه مستقبلاً القبلة ويرفع يديه ويمسح بهما وجهه بعد الدعاء وان لا يرفع بصره الى السماء عند الدعاء لما ورد في النهي عن ذلك وأن يخفض صوته لقوله تعالى تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول وان لا يتكلف السجع ويأني بالكلام المطبوع غير المسجوع وكانوا لا يزيدون في الدعاء على (سبع) كلمات فادونها كما ترى في آخر سورة البقرة وبالقرب من القراءة ايضاً مكان يعرف ببساتين الوزير وهي (سبعة) بساتين في بركة الحبش وواجهات مصر (سبعة) منها واحدة تسمى النابية وحكايتها غريبة مشهورة عند المصريين والتاج (والسبع) وجوه مكان مشهور ظاهر القاهرة وهو من منتهياتها الحسنة يقصده الناس في أيام الربيع للفرجة وقد ذكره الشيخ أثير الدين أبوجمان رحمه الله في موشحته التي يقول فيها

مهلاً أبا القاسم * على أبي حيمان
ما ان له عاصم * من لحظك الفتان
وهجر كالدائم * قد زاد في الهيمان
قدمعه أمواج * وسره قد لاح
نكته ما عاج * ولا أطاق اللاح
يارب ذي بهتان * يعذلني في الراح
وفي هوى الغزلان * دافعت به بالراح
وقلت لاسلوان * عن حبه يا صاح
سبع الوجوه والتاج * هي منية الارواح
فاختر لي يا زجاج * ممال وزوج أقداح

(وقال آخر) يعرض بذكر انسان يلقب بالتاج

تبالكوم الريش من بلدة * ليس بها ريفد لمحتاج
والسبعة الاوجه لاتنسها * ولعنة الله على التاج

(وقال) بعضهم يمدحها بقوله

انظر الى كوم ريش قد غدا نرها * للب كل سليم الطبع يجتلب

به بحار لآل قد حوت قضا * من الزبرجد منها يحصل الذهب
ولا تنقل كوم ريش ماله من * فان بالريش حقا يجتنى الذهب
وقلت أنا في رسالتى السجع الجليل فيما جرى في زمن النيل ما جاء منه
وفل من الجزيرة أسارى من يد الجذب وأنه قد هم من حر حرب وكرت كرب
فانشأ بها لاصحاب القصب الطرب ورصع التاج بجوهر الحب وأدار
بسوق الاشجار من جد اوله المحجرة خلاخل الذهب وأحيما في موانئهم
ميت الرمس وأحاط بالوجوه (السبعة) من الجهات الست فشكرته الخوام
الخمس وفي جزيرة الفيل أيضا مكان يعرف بالهمائل هو عبارة عن (سبع)
سواق تدور بالماء أيام النيل للفرجة ومن أحسن ما قيل في دولاب الساقية
قول مجير الدين بن تميم مضمنا وهو قوله

ودولاب روض كان من أغصن الزهر * تيس فلما فارقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فسلكه * عيون على يوم الصبا أبدا تجرى
وقوله أيضا سامحه الله تعالى

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودعهما بين الرياض غزير
كان نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا مجرى وذال يدور
وذكر الشريشى في شرح المقامات ان بين الجزيرة والاهرام (سبعة) أميال
والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والاصبع
ست شعيرات توضع بطن هذه لظهور تلك والشهيرة ست شعرات من ذنب بغل
والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ وقال الزمخشري وهما يعني
الهرمين على فرسخين من القسطاط كل واحد أربع مائة ذراع عرضا
والاساس زائد على ذلك وهو مبني بالحجارة المرمر وهى منقولة من مسافة
أربعين فرسخا من موضع يعرف بذات الحمام فوق الاسكندرية ولا يزالان
ينخرطان في الهواء حتى يرجع دورهما في نهاية علوهما الى مقدار خمسة
أشبار في خمسة وليس على وجه الارض بناء أرفع منهما موصور فيهما بسند
كل حجر وطلسم وطب وفيه انى بينهما بلكى فمن ادعى في ملكه قوة

فليدعهما

فليهدمهما فان خراج الارض لا يفي بهدمهما وقالوا لا يعرف من بناهما
ومعاقل في بنائهما وعظمهما (شعر)

خليتي ما تحت السماء بنية * تشابه في بنيانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على الارض يحشي دائما سطوة الدهر
وقال المسعودي طول كل واحد منهما وعرضه أربع مائة ذراع وأساسهما
نازل في الارض مثل طولهما في العلو وفي كل هرم منهما (سبعة) بيوت
على عدد الكواكب (السبعة) السيارة كل بيت منها باسم كوكب ورسمه
وجعل في جانب كل بيت منها صنم ذهب يحوف واحد يديه موضوعة على
فمه وفي جبهته كتابة كاهنية اذا قرئت فتخفاه وخرج منه مفتاح لذلك القفل
وان لتلك الاصنام قرابين وبخورات في أيام وأوقات العبادات ولها أرواح
موكلة بها مسخرة لحفظ تلك البيوت والاصنام وما فيها من التماثيل والعلوم
والعجائب والجواهر والاموال وكل هرم فيه ملك في ناووس من الحجارة
يطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وحكمته وطلسم عليه لا يصل أحد اليه
الا في الوقت المحدود فيه الفساد وذكر بعضهم ان فيها مسارب الماء يجري
فيها النيل وان فيها مطاير تسع من الماء بتدريها وان فيها مكانا ينقذ الى صخر
القيوم وهي مسيرة يومين وروى في أخبارها ان عليها مكتوبا بيننا هذه
الاهرام في ستين سنة فليهدمهما من يريد ذلك في ستمائة سنة فان الهدم أهون
من البناء وكانكده وهاحرير افليسها من ياتي بعدنا حصر او دخل جماعة
في أيام أجد بن طولون الهرم الكبير فوجدوا في إحدى بيوته جام زجاج غريب
اللون والتكوين فحين خرجوا به فقدوا منهم واحدا فدخلوا في طلبه فخرج
عليه - م عريانا وهو يضحك وقال لا تتبعوا في طلبي ورجع هاربا الى داخل
فعلوا ان الجن استهوته وشاع أمرهم فأحضروا عند أجد بن طولون فحكوا
له القصة فنع الناس من الدخول في الهرم وأخذ منهم ذلك الجام الزجاج
فقال له انسان عارف بأموال الاهرام وأحوالها هذا لا بد فيه من سر فأخذ
وملا ماء ووزنه ثم صب ذلك الماء ووزنه فوجد زنته وهو ملا آن كزنته وهو

فارغ لا يزيد ولا ينقص فتعجبوا من ذلك غاية العجب * ولما فتح المأمون الثلثة
الموجودة في الهرم الكبير الآن وانتهى الى عشرين ذراعا وجد مطهرة
خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار منه أوقية وكان ألف دينار فعجب
من جودة ذلك الذهب وحسن حجرة فقال ارفعوا حساب ما أنفقتموه في هذه
الثلثة فوجدوه بقدر ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فعجب من معرفتهم مقدار
ما ينفق عليه وتركهم ما يوازونه في مكانه غاية العجب قال وكان هؤلاء القوم بمنزلة
لا توازي ولا نذكر كهاتين ولا أمثالنا (وحكى) ان جماعة من المصريين دخلوا
في الهرم الكبير فوجدوا فيه بيوتا فيها تماثيل عليها ذهب وتراب صبيغ مصنوعة
فأخذوا منها ما قدروا عليه فلما خرجوا فقد منهم واحد فبينما هم يفكرون
في أمره واذا به قد خرج اليهم من أقصى النقب وهو عريان ضاحك كالابله
وهو يقول صل صلبوا صل صلبوا ورجع داخل الهرم فكان آخر العهد به
(وحكى) ان الذي بناها ملاك يقال له سلوق بن دره سيد الذي أغرقه نوح عليه
السلام بالطوفان وله حكايات عجيبه غريبة في سبب بنائها ذكرها صاحب
علوى الاجرام في اخبار الالهram وانه لما بناها وكل بكل هرم منها روحانيا
يحفظه فوكل بالهرم البحري وهو المفتوح الآن روحانيا في صورة امرأة
عريانة مكشوفة الفرج ولها ذوائب تصل الى الارض فاذا أرادت أن تستغفر
الانسى ~~تضمكت~~ في وجهه وجرت الى نفسها فتقطعهم وتسخر به وحكى من
رأها عريانة عند هذا الهرم انه امتلا قلبه رعبا وعدل عنها ولم يكلمها ولم تكلمه
ووكل بالهرم الذى الى جانبه روحانيا في صورة غلام أمر داصفر عريانا وذكر
جماعة أيضا أنهم رأوه الى جانبه مرة بعد مرة ثم يغيب عنهم ووكل بالثالث
وهو الصغير روحانيا في صورة شيخ في يده مخضرة وهو يخبرهم واعليه ثياب
الرهبان وذكر قوم من أهل الجيزة أنهم رأوه مرار في اطراف النهر فاذا
قربوا منه يغيب عنهم ولم يظهر فاذا بعدوا عنه عاد الى حالته اتى كان عليها
وأحوال الالهram عجيبه وحكاياتهم اغريبة وللناس فيها كلام كثير وهى من
عجائب البلدان وغرائب البنيان وهذا القدر كاف هنا والله تعالى أعلم

(خاتمة)

(خاتمة الباب وسجع طائر المستطاب)

(أولها) أقول ومن عجائب البلدان الغربية ما وجد بالاندلس حين فقت
 في مدينة يقال لها مدينة الملوك قال جماعة من المؤرخين انه وجد في قصر
 المملكة بها أربعة وعشرون تاجا بعدد من ملكها لا يدري ما قيمة كل تاج
 منها على كل تاج اسم صاحبه وكم ملك من السنين ووجد فيه مائدة سليمان
 ابن داود عليه ما السلام قال في مرآة الزمان وهي من الذهب وقيل من
 الياقوت وعليها أطواق الجوهر الثمين فحملت الى الوليد بن عبد الملك
 ووجد فيه باب مقفل عليه أربعة وعشرون قفلا لا يعلمون ما وراء هذا الباب
 فلما ملك ابن زريق وهو آخر ملوكها قال لا بد لي من معرفة ما في هذا الباب
 فاجتمعت اليه الاساقفة والرهبان وسألوه أن لا يفعل ذلك وان يقتدي بمن
 سبقه من الملوك ولا يتعرض لفتح ذلك الباب فلم يقبل وفتحها فاذ فيه تصاوير
 العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ورمائحهم وسيوفهم فلم يلبث ان وصلت
 العرب بلده في تلك السنة وملكوها وهذا من العجائب (ثانيها) حكى القاضي
 أبو اليسر عطاء بن نيهان ان خبلا يقال له جبل كورة رسم بالشرق فيه
 غار في أعلى الغار نقب كهم السكور اذا دخل اليه انسان وجد في ذلك النقب
 حزمة من قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يدري من أي شيء هي فاذا حلت
 تلك العقدة لا يقدر أحد أن يعقد مثلها واذا أخذ الانسان تلك الحزمة
 وخرج بهامن الغار سقطت أخرى مكانها هكذا دائما أبدا وهذا من أعجب
 ما يكون (ثالثها) وبالقرب من دريكن جبل عظيم في أسفل ضيعة يقال لها
 زورة كاد ان معنى ذلك صنعة الدروع والجواشن وذلك لان نساءهم
 وأولادهم وجميع من فيها ليس لهم شغل سوى عمل الدروع وآلات الحروب
 وليس لهم زراعة ولا بساكنين وهم أكثر الناس خيلا وما لا يقصدهم الناس
 بجميع النعم من سائر الأفاق ومن عجب أمرهم انهم اذا مات فيهم الميت
 فان كان رجلا أسلوه الى رجال في بيوت تحت الارض يقطعون أعضائه
 وينقون عظامه من اللحم والمخ ويجعلون له ناحية يضعونه للغربان

السود تأكله ويقفون بالقسي يمنعون غيرها من الحيوان والطير أن يأكل منه وإن كان الميت امرأة أسلوها إلى نساء تحت الأرض فيخرجن عظامها ويطعنن لجها للعداء ومن حسرة الملوك أن لا يقدروا على واحد منهم لأنهم ليس لهم دين يعرف ولا يعطون لاحد طاعة وحاصرهم الأمير سيف الدين محمد بن خليفة المسلمين صاحب دربيك رحمه الله وكان في عسكر عظيم فحين رأوا العسكر قد أحاط بهم خرج من تحت الأرض جماعة منهم عليهم الأسلحة المحسكة فوقوا وأشاروا بأيديهم إلى الجبال وتكلموا بكلام لا يفهم ثم غابوا تحت الأرض واذابريح عظيمة وثلج وبرد وكادت السماء أن تنطبق على الأرض فلم يبق من العسكر الا من سقط على وجهه وهرب فيصدم بقرسه صاحبه فمقتله فحين بعدوا عن القرية انكشفت تلك الثلوج وفقد من العسكر خلق كثير وذلك من سحراً واثلك الذين يجردون اللحم عن عظام الموتى تحت الأرض وهذا من العجائب (رابعها) قال في مرة الزمان جبل الفتح من أعظم جبال الدنيا فيه ام كثيرة وممالك وهم اثنتان وسبعون أمة كل أمة لها لسان ومالك وفيه شعاب وأودية ومدنية باب الابواب على إحدى شعابه بناها كسرى وجعلها حدا فاصلا بين الحور وبينه وجعل حده السور ومبدأه من البحر إلى أعلى الجبل وذلك نحو من أربعين فرسخا حتى انتهى إلى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا الجبل بابا من الحديد وعنده حفظة وأسكن هنالك أمما مختلفة ليحفظوا الخدم من العدو مثل الحور والتركة وغيرهم وفي هذا الجبل قروديقف القرد على رأس الملك فإذا كان الطعام مسموما غمز القرد الملك بعينه فامتنع من الأكل (خامسها) حكى ابن الجوزي رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما أنه قال بين الهند والصين بطة من نحاس على عود من نحاس فإذا كان يوم عاشوراء مدت عنقها إلى نهر تحتها فتربت منه ثم عادت على ما كانت عليه ثم تقف منقارها فيفيض منه من الماء ما يكفي سكان تلك البلاد وزرعهم ومواشيهم إلى مثل عاشوراء من السنة القابلة فتفعل كما فعلت في العام الماضي وهذا من

العجائب (سادسها) في أرض الموصل جبل قريب من ناحية الشرق عليه دير
يقال له دير الخنافس للنصارى فيه عيدين في ليلة من العام قال سبط ابن الجوزي
حكى لي جماعة من أهل الموصل أنه في تلك الليلة تصعد إليه جميع الخنافس
التي في الدنيا وتبيت فيه ألوف من الناس عشون عليها طول الليل فإذا طلع
الصباح لم يوجد للخنافس أثر وبأرض المغرب مثله أقول وحكاية دير الزراري
أيضا مشهورة وذلك أنه كان يوم معلوم في السنة يقصده كل زورور على
وجه الأرض ومع كل واحد ثلاث زيتونات واحدة في مقاره واثنان
في رجليه فيلقون ذلك جميعه في الدير فيعصر منه الرهبان ما يكتفونهم
لسرحهم وإدامهم ويبسح منه الرهبان لكلفتهم إلى العام الآتي وهذا الدير
في رومية وهو من العجائب (سابعها) قال الزنجشري في كتاب ربيع الأبرار
قبت مدينة بناها سبع وسماها باسمه سبع فغير اسمها الترك وهي مدينة ينسب
إليها اسم التتبي يقال إن من أقام فيها أصابه سرور لا يدري ما سببه ولا يزال
ضاحكا متبسما حتى يخرج منها والصين بلاد موصوفة بالصناعات الدقيقة
والتصاوير العجيبة يفرق مصورههم في تصويره بين من هو ضاحك ومن
هو بخلان ومن هو مستهزئ ومن هو مسرور يضحك

*) (الباب السابع في ذكر السبع زهرات التي تجتمع عصر في صعيد
واحد وذكر ما قيل فيها من منظوم ومنثور وغير ذلك) *

وهي الترجس وهو أول ما تقدم ذكره والبنفسج والبان والورد المستوى
ويعرف أيضا بالقعاني والزهر والياسمين والورد النصيبيني وهو آخرها فهذه
السبع زهرات التي تلهم المصريون بكراها وتجتمع في مصر في وقت واحد
وأما النسرين فانه وإن كان في مصر من أعطر الزهور رائحة فانه غير معدود
في السبع زهرات لانه انما يأتي في آخر أيام الورد النصيبيني فلا يلحق الترجس
ولا البنفسج فلم يكن معدودا في جملة السبع زهرات لأجل ذلك
فما في الترجس ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال شموا
الترجس ولو في اليوم مرة واحدة ولو في الشهر مرة ولو في الدهر مرة فان

في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الاشم الترجس أقول
وهو حار رطب في الثانية نافع من الرطوبات والبلغم ومن الصداع البارد
ومن سائر الامراض الباردة وقال كسرى انوشروان الترجس ياقوت
أصفر بين ورد أجم على زمرد أخضر وقال ابو عون في كتاب التشبيهات له من
جيد ما قيل في الترجس ما أنشده المبرد

نرجسة لا حظني طرفها * تشبه ديناراً على درهم
أقول أخذه التلعفري فقال وأحسن في المقال

قد أكثر الناس في تشبيههم أبدا * للترجس الغض بالاجفان والحدق
وما أشبهه بالعين اذ نظرت * لكن أشبهه بالعين والورق
(وقال ظافر الحداد وأجاد)

كان أوراقه والشمس تقصرها * أوراق شمع في خام ومقصور
(وقال ابن الرومي)

وأحسن ما في الوجوه العيون * وأشبه شئ بها الترجس
يفضل بلا حظوجه النديم * وحيد افريدا فيستأنس
(وقال آخر)

كانه والعيون ترمقه * دراهم وسطها دنانير
(وقال آخر)

وعندنا نرجس انيق * تحيا بأنقاسه النفوس
كان أجفانه بدور * كان احداقه شمس
(وقال آخر)

اما تراه ومتر الريح يعطفه * كأنه زعفران فوق كافور
اذ بدا في اختلاف في محاسنه * أراك كيف اختلاط النار والنور
(وقال آخر)

قم يا غلام فهاها مشمولة * ان الرياض بكل زهر تحتشئ
والترجس الغض الذي كانه * ثغر بعض على بقية شمس

(وقال)

❖ (وقال آخر)

ناولني من أحب نرجسة * أحسن في ناظري من الورد
كأنما يضيها مرصعة * من خده والصقار من خدي

(وقال آخر)

في روضة تهدي لنا * نفس الشهول بها الشمال
في كل نرجسة بها * شمس يحيط بها هلال

(وقال ابن الرومي يهجو الترجس)

انظر الى ترجس تبدي * يوما لعينيك منه طاقه
واكتب بأبطل واصفيه * بالحسن في دفتر الحاقه
وأى حسن يرى لعين * مع برقان يحمل ما قه
كراية ركب عليها * صفرة يبض على رفاقه

(وقال أيضا في تفضيل الترجس على الورد)

أيها المحجج للورد * دب زود ومحال
ذهب الترجس بالفضيل * فأنصف في المقال
لاتقاس الاعين النجس * بأصرام البغال

(وقال أيضا)

نجلت خدود الورد في تفضيله * نجلا يوردها عليه شاهد
للترجس الفضل المبين اذا أتى * آت واحد عن المحبة حائد
فصل القضية أن هذا قائد * زهر الرياض وأن هذا طارد
ينهى النديم من القبيح بلطفه * وعلى المسرة والسماع يساعد
هذه النجوم هي التي ربيتها * بحيا السحاب كإيربي الوالد
فانظر الى الولدين من أرباهما * شهابا والله فذاك الشاهد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس القاسد
(وقد ناقضه احمد بن عبد الصمد فقال من آيات)

ان كنت تشكر ما ذكرنا بعد ما * قامت عليه دلائل وشواهد

فانظر الى المصفر لوناً منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

(وقال آخر)

ايا جاعلاً للترجس الغض رتبة * على الورد قد أخطأت عن سنن القصد
بعيني رأيت الترجم الغض قائماً * على ساقه بالامس في خدمة الورد
(وقال الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف التلساني في مقامه على

لسان البنفسج)

اذا وصفوا زرق البواقيت اظنبوا * وقالوا لها لون ككون البنفسج
كان مع الورد الجني بقية * كما تارقرص فوق خدم مخرج

(وقال ابن الرومي)

بنفسج سر لاني اذا * رأته أشرب ما شيتا
ليس من الزهر ولكنه * زمرذ يحمل يا قوتا

(وقال أيضاً)

رأيت البنفسج في روضة * واحداقه للندى ساهره
يحاكى بها الزهر زرق العيون * واجفانها بالبكاء طاره

(وقال ابن المعتز)

بنفسج جعت أوراقه فحكت * كحلا تشرب دمعاً يوم تشيت
كأنه فوق طاقات يلوح بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(وقال الحسين بن القضاة)

اشرب على زهر البنفسج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه * أنارقرص في حدود

(وقال شمس الدين محمد بن العفيف في البان)

تبسم زهر البان عن طيب نشره * وأقبل في حسن يجمل عن الوصف
هلوا اليه بين قصف ولذة * فان غصون البان تصلح للقصف

(وقال آخر)

أو ما ترى البان الذي يزهر على * كل الغصون بقده المياس

وافي يبشر بالربيع وقربه * يَحْتَمَلُ فِي السَّجَابِ وَالْبُرْطَانِي
(وقال آخر)

قد اقبل الصيف وولي الشتا * وعن قليل تشتكى الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب القسرو الى برا
(حكى) عن شهاب الدين بن جلندك انه كتب رقعة الى بعض الحكام يسأله فيها
شيئا فوقع له برطلين خبزا فتوجه الى بستانه وكتب على يابه

لله بستان حللنا دوحه * في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنائرا رأت * قاضي القضاة فنقشت أذنائها
(وقال أمين الدين بن جويان القوام)

نفس غصن البان أذنايه * واهتز عند الصبح زهرا وفاح
وقال هل في الروض مثلي وقد * يعزى الى قدى قدود الملاح
فخدق الترجس بهزوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا * مقصوف مجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ما هذه الاعيون وقاح
(وقال أبو حاتم الوراق)

كأن نور شجر الخلاف * أذنايه سنور بلا خلاف
(وقال سيف الدين بهجوه)

وردي بان خلته * لما تناثر دود قز
بع الروائح يابس * فكأنه من زروق وز
(وقال القاضي الفاضل في زهر الناربج)

ندى هيا قد قضى النجم نجمه * وهب نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد أزهى الناربج ازرا فرضة * تزول على الاشجار أوراقها الخضرا
(وقال ابن تميم مضمنا في زهر اللوز)

أزهى اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يا تينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدنيا ابتسام

(وقال أيضا)

قد اتتنا الرياض حين تجلت * ونجلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

(وقال أيضا)

خرجنا للتنزه في رياض * يعود الطرف عنها وهو راض
ولاح الزهر من بعد فلنا * ضبابا قد تقطع في رياض

(وقال البدر الذهبي)

ما نظرت مقلتي بعينا * كالكواكب اذا نواره
اشتعل الرأس منه شيئا * واخضر من بعد اعداره
(وقال القاضي يحيى الدين بن عبد الظاهر في الياسمين)

وياسمين قد بدت * اشجاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر * عليه قطن قد ندف

(وقال عبد الملك الذي فيه)

أرى ياسمينًا طريا غدا * الى الندى نشره ينقي
كمثل قصاصة نصفية * تلوث اطرافها بالدم

(وقال آخر)

كان الياسمين الغض لما * ادبرت عليه وسط الروض عيني
سماه للزبرجد قد بدت * لئلا فيها تخجوم من — ين
(وقال آخر فيه قبل انفتاحه)

خليلي هيا يتقضى الهم عنكما * وقوما الى روض وكاس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منورا * ككواكبا درقعت بعقيق

ومما جاء في الورد ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال حياني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالورد وقال اما انه سيد رياض الجنة بعد
الاس وقال جعفر بن محمد ربح الملائكة ربح الورد وربح الانبياء عليهم
السلام ربح السقري جيل وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني في الورد

قامت

قامت حروب الزهرا * بين الرياض السندسية
وأنت جيوش الآس تغزو روضة الورد الجنية
لكنها كسرت لان الورد شوكة قوية

(وقال أيضا بن ججاج)

للورد عندي محل * لانه لا يـسـل
كل الرياحين جند * وهو الامير الانجل
إن جاء عزوا وناها * حتى اذا غاب ذلوا

(وقال ابن تميم واحسن)

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأنتك قبل أوانها تطفلا
طمعت بملكك انما أنتك في جمعت * فها اليك كطالب تقيلا

(وقال ابن المعتز)

وفردة في بيان معطار * حياها في خفي اسرار
كانها وجنة الطيب وقد * تقطها عاشق بدينار

(أخذ القاضى النفيس فقال)

ناولنى وردة منعمة * كان بها من رضاء اشعار
وقال خذ وجنتى مضاعفة * وفوقها للقبول دينار

وقال شهاب الدين بن مسعود وقد بعث الى بعض أصحابه وردا ليستخرج ماء
ياسيدا أصبحت خلاقه * كالروض ريح الصبا تدمنها
بعثت وردا جنى اليك عسى * تقبض لى روحه وتبعثها

(وقال ابن تميم)

ولم أنس قول الوزد والنار قسط * عليه فأسى دمعته يحدرد
ترفق فاهدى دموعى التي ترى * وانك بها روى تذوب فتقطر

(وقال آخر فى شجر الورد)

أما ترى شجرات الورد طالعة * فيها بدائع قدر كفى فى القضب

كانهن يواقبت أطيف بها * زمر ذو وسطها شذر من الذهب
(وقال آخر في زرا الورد)

ووردة تحكى امام الورد * طليعة سابقة للجنة
قد ضمها في الوشي غصن الرد * ضم قم لقبلة من بعد
(وقال أبو حفص الطوسي في أطباق الورد)

ألست ترى أطباق ورد وحوالها * من الترجس الغض الجنى قدود
فتلك خدود ماله من أعين * وهذى عيون ماله من خدود
(وقال الخالدي في الورد القماني)

وورد بستان قفايه * رتبه الحسن بنوعين
ظاهرها من قشر ياقوتة * وباطنها من ذهب عين
قبلتها حبالها اذ بها * حيا في البدر على عين
كانها خدى على خده * يوم اجتماع غدوة الين
(وقال آخر في الورد الاسود)

لله أسود ورد جاء يلحظنا * بين الرياض بالخاظ العافير
كانه وجنى الريح يقطفها * كف المحب بأصناف الدنانير
(وقال آخر أيضا)

وورد اسود خلنا ملما * تضوع نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غص وفيها * بقايا من سحق الزعفران
(قال الطغرائي من أبيات في الورد الاصفر)

شجرات ورد اصفر بعثت * في كل قلب مقيم طربا
يا من رأى من قبلها شجرا * سقى اللجين فأنتبت الذهبا
(وقال في الورد الايض)

ومدل حيا المحب بوردة * بيضاء قد شربت زواجر نده
فكانها وبها اجر ارحائل * ماء الحياة على صفة خده
(وقال ابن المعتز في الورد الاحمر والايض)

أهدت الى يد تنقى القداء لها * الورد نوعين مجموعين في طبق
كان أبيضه في وسط أحمره * كواكب أشرقت في جرة الشفق
(وقال ابن جلنك)

أرى الترجس الغض الذكي مشمرا * على ساقه في خدمة الورد قائم
وقد دل حتى لف من فوق رأسه * عما في فيها لليهود علائم
(وقال ابن تميم في تفضيل الورد على الترجس وأحسن)

من فضل الترجس وهو الذي * يرضى بحكم الورد أذيرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * أذ قام في خدمته الترجس
(وقال محي الدين بن عبد الوهاب يعكس عليه هذا القول)

ليس جالوس الورد في مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خذا ليمشي فوقه الترجس
(وأنصف سعيد الخالدي بينهما فقال)

أبحت الترجس البلدي وذى * وما لي باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق واني * ارى التفضيل بينهما حاقه
هما في عسكر الازهار هذا * مقدمة يسبروذا لساقه
(خاتمة الباب وسجع طائر المستطاب)

(أولها) حكى المسعودي في شرح المقامات قال أخبرنا الفقيه أبو العزأجد
ابن عبد الله العكبري في كتابه بسنده عن أيوب الوزان قال قال الفضل
دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد وعند جارية مليحة أديبة شاعرة
قد اهديت اليه فقال يا فضل قل في هذا الورد شيئا يشبهه فقلت

كانته خدي موق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا
(فقال الجارية)

كانته لون خندي حين تدفعني * كف الرشيد لامي يوجب الغسلا
فقال الرشيد قم يا فضل فأخرج فان هذه المباحنة قد هيئتنا فقمت وأرخت
الستور وني عاجلا (ثانيها) قال ابن رستم في العهدة وقد سئل عن التشبيه

انما هو تقريب المشبه من فهم السامع وايضا حله قسبه الادنى بالا على اذا
أردت مدحه وتشبه الاعلى بالادنى اذا أردت ذمه فتقول في المدح تراب
كالمسك وحصى كالباقوت وما أشبه ذلك فاذا أردت الذم قلت مسكا
كالتراب وباقوتا كالحصى وما أشبه ذلك انتهى أقول ومن هذا النوع الذي
هو تشبيه الاعلى بالادنى قول ابن الرومي في هجو الورد وما أحسنه

يا ماحد الورد لا يتقن عن غلظه * الست تبصرة في كتم ملتقطه
كأنه سرم بغل حين سكر جبه * عند البراز وبقي الزوث في وسطه
أقول انظر هذا الرجل الذي قد افتتن وقبح الجذ وتجاوز الحد وهجا الورد
فهو وان كان قد أصاب في التشبيه تحقيقا فقد أخطأ في أصابته ومن البر
ما يكون عقوقا على انه لم يأت في فعله شيئا فريانا ونما هجا الورد لانه كان جعلها
ومن تأذى من شئ ذمه وسب أباه وأمه قولي لانه كان جعلها هون نسبة الى
الجعل وهو نوع من الخنافس قيل ان الخنافس اذا دفنت في الورد تكاد
تموت لانها تتأذى برائحته واذا دفنت في الزيل رجعت تغيبها اليها وابن
الرومي كان يتأذى برائحة الورد وفي كتب الطب ان شم الورد يهيج العطاس
لمن دماغه بارد وشغفه نافع لاصحاب المرة الصغرى واية أو من به حرارة سكن
الصداع المتولد منها ومن حرارة الدم وليس في الادوية المفردة ما يقبه قوتان
غيره لان فيه قوة مسهلة وقوة قابضة وذكر جالينوس في الافستين من ذلك
وهو بارد يابس في اخر الثانية واذا ربي بالعسل نفع الجبات الباردة واذا
البلغم من المعدة واذا ربي بالسكر كان فعله دون ذلك وكان ابن الجوزي
يهجو الحسن ويمدح القبيح وهو القائل

في زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغير
يقول هذا الججاج التحل بمدحه * وان يعب قال ذاق الزناير
مدح وذا وما جلوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور
(وقال ابن المعتز دعى ابن الرومي في هجو الورد فقلقه دهره)

ياهاجى الورد لاجيت من رجل * غلظت والمرء لا يؤتى على غلظه
هل تنبت الارض شيأ من أزهارها * اذا تحلت بحلى الوشى من غظه
أحلى وأشهر من وردله أرج * كأنما المسك مذرور على وسطه
كانه لون جى حين ملكنى * حل السراويل بعد البعد من سخطه
(ثالثها) حكى عن أبى نواس رحمه الله تعالى انه روى بعد موته فى المنام فقيل له
ما فعل الله تعالى بك قال غفرلى وادخلنى الجنة بآيات قلتها فى الترجس
وهى هذه

تأمل فى رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لحين شاخصات * باخداق هى الذهب السيلك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك
وان محمدا عبدا رسولا * الى الثقلين أرسله المليك
أقول على ذكر المنام والترجس حكى المرزبانى عن ابن دريد انه رأى فى المنام
رجلا طويلاً أصفر الوجه كوسجاء دخل عليه وأخذ بضادى الباب وقال
أنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما نزل أنو نواس لأحد شيئاً فقال أنا أشعر
منه فقلت ومن أنت فقال أنا ابن ناجية من أهل الشام وأنشدنى
وجراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا * عليها من اجافا كتست لون عاشق
فقلت له أسأت فقال ولم قلت لانك قلت وجراء قبل المزج صفراء بعده
ثم قلت بدت بين ثوبى نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فهـ الا آخرتها كما فعلت
فى أول البيت فقال وما هذا التحرير والاستقصاء فى هذا الوقت يا بغيض
ثم انصرف فانتبهت وأنا متعجب مما رأيت (أقول) وفى معنى البيتين
المذكورين قول بعضهم يصف تفاحة

وتفاحة من سوسن صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كان الهوى قد ضم من بعد فرقة * به اخذ معشوق الى خد عاشق
وعلى ذكر التفاحة رأيت فى بعض الجمايع الادبية ما صورته ما تقول السادة

الفضلاء أهل الآداب وعرفة الحساب في مدينة لها (سبعة) أبواب من دخل
من كل منها أخذ نصف ماله وان بالمدينة رجلاً ضعيفاً اشتفى نقاحه واحدة
صحيحة فكيف تصل إليه على هذا الحكم المذكور فالجواب عن ذلك انه
يأخذ مائة وعشمة وعشرين نقاحاً فيعطى في الباب الأول أربعة وستين
نقاحاً وفي الثاني اثنتين وثلاثين وفي الثالث ست عشرة وفي الرابع ثمانية
وفي الخامس اربعة وفي السادس اثنتين وفي السابع واحدة ويدخل بالآخرى
للضعيف (رابعها) حكى عن المتوكل انه كان يقول أنا ملك الناس والورد ملك
الرياحين وكل واحد منا اولى بصاحبه وكانت ملوك فارس تأمر برفع الحلو
أيام الرطب و برفع الاشنان أيام البطيخ و برفع الرياحين أيام الورد وقال
اردشير بن بابك الورد درأبيض وياقوت أحر على كراسي من زبرجد أخضر
بوسطه شذر من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر وهر **كسرى**
أنوشروان يوماً وردة مساقطة في الطريق فقال أضاع الله من أضاعك ونزل
عن فرسه فأخذها وقبلها وشرب مكانها (سبعة) أيام ذكر ذلك الزمخشري
في ربيع الابرار (خامسها) قال **الكواسي** في نفسه قوله تعالى في قصة
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم قالوا احرقوه وانصروا آلهتهم ان كنتم
فاعلين لما اجتمع قومه على احراقه حبسوه وجعلوا أصناف الحطب من أقطار
الارض حتى كان المريض يقول ان عافاني الله من مرضي لاجعن حطباً لحرق
ابراهيم وكذلك المرأة تغزل وتشتري من غزلها حطباً لحرق ابراهيم يفعلون
ذلك احتساباً وتقر باحتي جمعوا جلة عظيمة من الحطب ثم أضرموا النار في
نواحيه (سبعة) أيام فاشتعلت واشتد وهجها حتى ان الطير لتمر بها فتحترق
في الجحيم من شدة وهجها ولم يدروا كيف يلقونه فيم افرقهم الخبيث ابليس
لعنه الله تعالى عمل المتجنين ثم عدوا اليه وشدوا وثاقه ووضعوه في كفة
المتجنين فثم قال ابراهيم عليه السلام لا اله الا انت سبحانك الحمد والملا
لاشريد لك وصاحت السموات والارض ومن فيهما الا الثقلين أي ربنا
خلعك يلقي في النار وليس في الارض من يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته

فقال

فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الله ليس له اله غيري فان
استغاث بشي منكم فأغيثوه وانصروه فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري
فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فأنا خازن المياه فقال اذا أذنت أخذت
النار وأنا خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال لا حاجة لي
اليكم حسبي الله ونعم الوكيل * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما
نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل ولما ألقوه آناه جبريل عليه السلام وقال
له أأنت من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سل الله فقال حسبي من سؤالي علمه
بحالي قالوا وما وقع في النار جعل كل حيوان يطفى عنه النار الا الوزغ فانه
كان ينفخ في النار ولم تأكل النار سوى وناقه فلما استقر فيها أخذت الملائكة
بضبعيه وأجلسوه على الارض فاذا به من ماء عذب وروضة تهتز وورد أجر
وزر جس غص وأقام في ذلك الموضع (سبعة) أيام (سادسها) من غريب
ما سمعته عن الورد ما حكاه القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري عن محمد
ابن علي الانصاري انه رأى في مدينة نهاوند وردا أصفر في الوردة ألف ورقة
وذكر انه عدّها فسكانت كذلك قال القاضي شهاب الدين أيضا ورأت أنا ورقة
نصفها أحر فاني أحرّة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة التي وقع الخط
فيها كأنها مقسومة بقلم (سابعا) حكى ابنه كان ينفد ادمؤدب اذا لاحت
له وردة ينغمس في بلعة فصفه الى أن يمضي زمن الورد وكان ينشد سامحه الله
تعالى قوله

يا صاحبي اسقياني * من قهوة خندريس
على جنبات ورد * يذهبن هم النفوس
ما تظن ان فهذا * وقت لحى الكؤوس
فبادروا قبل فوت * لا عطر بعد عروس

أقول وبالجملة فهاسن الورد كثيرة وأنواره مستتيرة طامخ النديم في
ايامها العذار واشرق عليه من أحره وايضه في لياليه القمر شمس
واقار فهو عذر النديم وحياة عظمه الرميم قل من لا افتن ايام وورده

وزوج ابن غمام بآنية عنقوده ولهذا كان ابراهيم الخواص يسأل الله تعالى في ايامه الاخلاص ويقول اذا جاء الورد امرضني على بكثرة من يعصى الله تعالى وقيل ان أعطر الزهور ورد جور وينفج الكوفة ورجس جرجان ومنشور بغداد ومن أحسن ما سمعته في المنشور قول مجير الدين بن تميم

مذعن المنشور طرف الترجس الك * مزور قال وقوله لا يدفع
ففتح عيونك في سواي فانه * عندي قبالة كل عين اصبع
(وقال غيره)

ومذقت للمنشور اني مفضل * على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولي وزاد اضفراره * وفتح كفيه وأوما الى وجهي
وقال مجير الدين بن تميم أيضا رحمه الله تعالى وسامحه

حاذر اصابع من ظلمت فانها * تدعو بقلب في الدجى مكسور
الورد ما ألقاه في جحر الغضى * الا الدعا باصابع المنشور

أقول هذه الايات أصبحت نجوم زهرها في النجوم وجعت بين حسن
المنشور والمنظوم فهي في الذروة العليا ومن زهرة الحياة الدنيا قد علمتها
من النضارة نضرة النعيم وغت بها بين الادباء محاسن بنى تميم وبقاه هاتم
الكلام على (السبع) زهرات التي هي زهرة أهل القاهرة ومصر الجميع
وريحانة الداعي السميع فهي ريحانة العمر وعذراء ليس لتارك طيب
نشرها عذر فهي مما تسلب اب الخليع ويهيم بها كل قائل (امن ريحانة
الداعي السميع) وكيف لا وقد اطلعت كل وردة كلالهان وبان بها فضل
البان فاقبل عليه الايض كالبدري شروقه وغار منه على أخيه وشقيقه
وخلع فيه البنفسج العذار فواغها من عاشق احسن من معشوقه

وبد الترجسه الجنى من الهوى * عين مسهدة رقاب يخفق
واجز وجه الورد حتى قال لي * عزق على عرق ومثلي يعرف
ما كان فضل البان الا انه * ابداله خدام جيش ضيق
ان كنت بعد الزهر جئت فان لي * كالناصر السلطان جيشا يسبق

ملك جنائبه الجنوب نود لو * أمست بذيل غبارها تتعلق
ما شرق في مصر أرض مذغدا * ونذاه منه مغرب ومشرق
لا زال مخضر الجنب ويبيضه * يصفر منهن العدو الأزرق
ما حشر شفق الاصيل ودب سواد عارضه الاسمر بخده الاسيل وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما توفيق الا بالله عليه
توكلت واليه أنيب والحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على أشرف
خلقه المختار وعلى آله وصحبه الاحبار ماتعاقب الليل والنهار

بعد حمد الله على آله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء يقول
مصحح دار الطباعة والتمثيل راجيا من الله استره الجليل

تم بعون الملك المنان طبع كتاب السكردان المنسوب للامعي البارع ذي
الاطلاع الواسع والقلم الذي ما باراه اديب الأتجله الامام الفاضل ابي
العباس أحمد بن أبي حنبله بالمطبعة العامرة ذات الادوات الباهرة
المتوفرة دواعي مجدها المشرقة كواكب سعادها في ظل من تعطرت
الافواه بثنائيه وبلغ من كل وصف جليل حد انتهائه حيث نشر ألوية
العدل بعد طيها وطهر نفوس رعاياه من جهلها وغياها ومحاطم الظلم بسنا
صورته القمرية وأثبت مراسم العدل بحسن سيرته العمريه واسبل
على أهل مملكته غيوث انعامه واخسانه وشملهم بعظيم رأفته ومزيد
حنانه وبسط اهم بساط عدله وحلاهم بجلى جوده وفضله فازرى كرمه
بفيض النيل جناب الخديو اسمعيل

لا زال في عون الاله وحفظه * متمسكا بسرويه وبحفظه
ولا برحت مصر مشيدة الدعائم وباتجاه مؤيدة العزائم خصوصاً كبير
اتجاله وأرشد أشباله الوزير الشهير والنيل الاصيل صاحب المعارف

المشهوره والعارف المشهوره من زادت به روح المروءة انتعاشا
 سعادته محمد توفيق باشا لازالت الايام متقطرة بطبيب ربا. واللبالي منيرة
 بيدرجباه وكان طبعة اللطيف وغنيله الطريف مشهولا بادارة مدير
 المصلحتين المطبعة والكاغد خانة سعادة البيك حسين ونظارة وكيله
 السالالة جادة سبيله من لم يزل لثمة ذكائه يجني حضرة محمد افندي
 حسنى وملاحظة ذى الرأى الاسد حضرة أبي العينين افندي أحمد وقد
 وافق تمام طبعه وكال غنيله ونفعه أواسط شهر شعبان المعظم
 التالى لرجب الاصح من شهر سنة ثمان وثمانين ومائتين
 وألف من هجرة من كان كما يرى من الامام
 يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه
 وعلى آله وكل منتسب اليه
 ملاح بدر مقام وفاح
 مسد ختام

تم



المشهوره والعارف المشهوره من زادت به روح المروءة انتعاشا
 سعادة محمد توفيق باشا لازالت الايام متعطرة بطبيب ربا واللبالي منيرة
 بيد رحماه وكان طبعة اللطيف وتمثله الطريف مشهولا بداره مدير
 المصلحين المطبعة والكاغد خاتمة سعادة البيك حسين ونظارة وكيله
 السبالات جادة سبيله من لم يزل لثمة ذكائه يجنى حضرة محمد افندي
 حسنى وملازمة ذى الرأى الاسد حضرة أبي العينين افندي أحمد وقد
 وافق تمام طبعه وكال تمثله ونفعه أواسط شهر شعبان المعظم
 التالى لرجب الاصح من شهر سنة ثمان وثمانين ومائتين
 وألف من هجرة من كان كما يرى من الامام
 يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه
 وعلى آله وكل منتسب اليه
 ملاح بدر مقام وفاح
 مسد ختام

تم





*Restored through
a grant from*

The Cartwright Foundation





32101 077781373